





مصر التى لا تعرفونها

د. وسيم السيسى

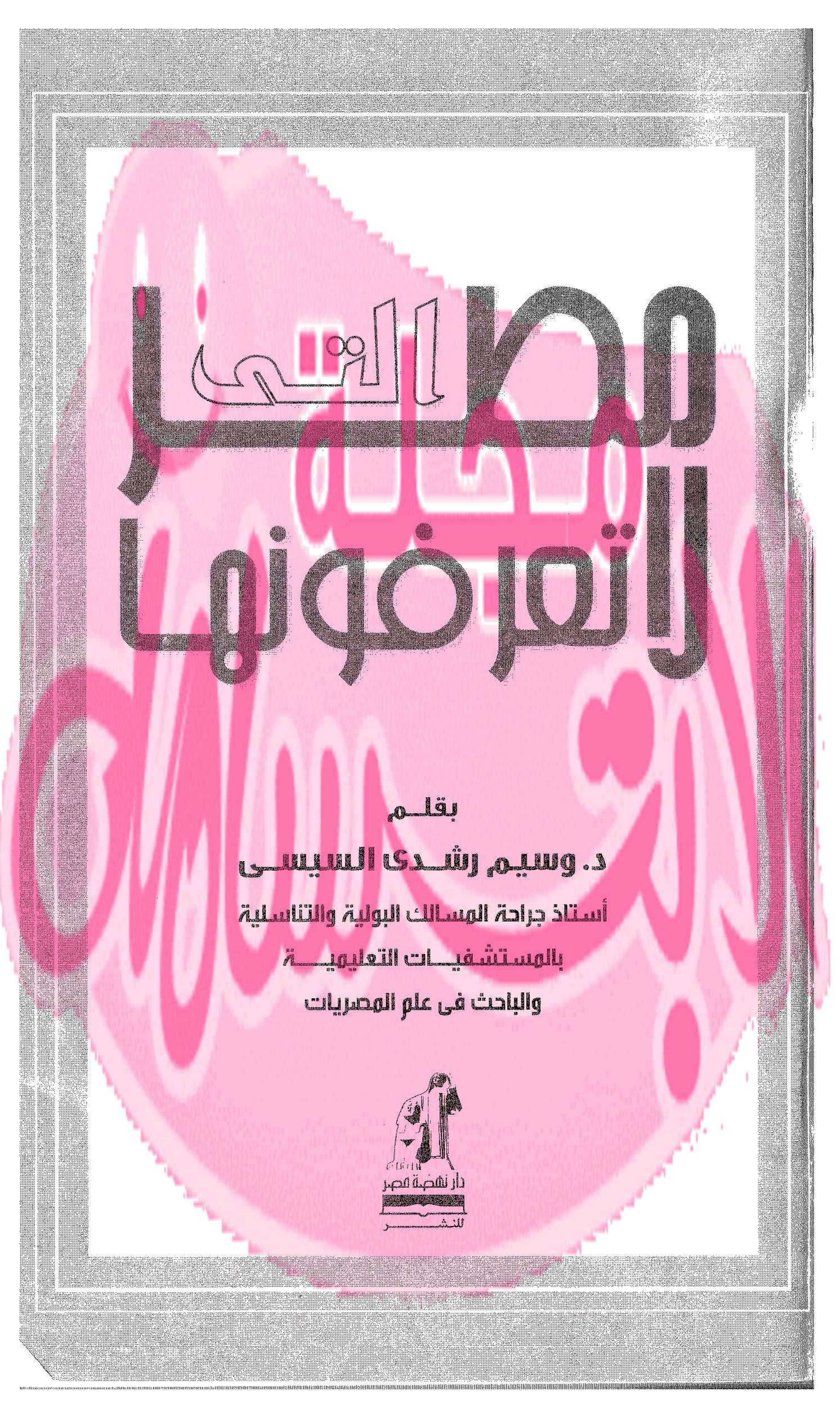


الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر فبراير 2016 **
WWW.IBTESAMH.COM

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي


مصر التي لا تعرفونها
بقلم
د. وسيم رشدى السيسى
أستاذ جراحة المسالك البولية والتناسلية
بالمستشفيات التعليمية
والباحث فى علم المصريات
دار نهضة مصر
للنشر

العنـــوان:
مصـــر التـــى لا تعرفونهـــا

المؤلـــف:
د. وسيـــم رشـــدى السيســـى

إشـراف عـــام:
داليـــا محمـــد إبراهيـــم



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

الترقيـم الدولـى: 3-4147-14-977-978
رقـــم الإيـــداع: 22287 / 2007
الطبعـة السادسة: أغسطس 2014

تليفـــون: 33466434 - 33472864 02
فاكـــس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

21 شارع أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة

إهـــداء

إلــى

كل من أحب مصر من أعماق قلبه .

وكل من آمن أن أمة بلا تاريخ إنما هى أمة بلا مستقبل .

وكل من وعى كلمات الشاعر الإغريقى : هزمناهم . ليس حين غزوناهم .. بل حين أنسيناهم تاريخهم وحضارتهم .

وكل من ردد ... مصر أم الدنيا .. وفجر الضمير .

وكل من فهم أن حب مصر لا يتعارض مع العروبة ..

فالعرب أحفاد أمِّنا هاجر ... وأعز ولد هو ولد الولد .

وكل من صدق أن مصر كانت رائدة فى العلوم والأخلاق ولها أن تتحدث عن نفسها :

إن مجدى فى الأوليات عريق ... فمن له مثل أولياتى ومجدى

وكل من يريد أن يعرف أن مصر كانت سباقة فى التوحيد كما خصها الله بأول نبى رسول وهو إدريس عليه السلام .

وكل من أحس أن مصر مظلومة .. ويريد أن يعرف من الذى ظلمها فى دينها وعدالتها .

وكل من يجرَّح فى أجداده وهم أنبياء ... علماء ... عظماء .

أهدى هذا الكتاب :

(مصر التى لا تعرفونها)

المعادى أبريل ٢٠٠٦

دكتور

وسيم رشدى السيسى

مقدمة

هالنى الكم الهائل من المفاهيم الخاطئة عن مصر القديمة ... والهجوم عليها... وعجبت كيف يشوه الأبناء تاريخ الأجداد إلى هذا الحد ... !

فبدأت الدراسة والبحث ... حتى أضاءت الدنيا من حولى ... عرفت أن مصر هى الأصل .... وأن الله أرسل لها الأنبياء والعلماء ... حتى إن المفكر الإسلامى خالد محمد خالد قال: جاءت الديانات السماوية كختم إلهى تبارك ما وصل إليه الإنسان فى كفاحه الحضارى الطويل .

يا نوك واع واعو نن سنو إف

هذه كلمات مصرية على متون الأهرام منذ آلاف السنين تقول: أنا واحد أحد ليس لى كفوا أحد.

ويتشدق الحاقدون والحاسدون أنهم كانوا يعبدون الجعران والعجل أبيس!

ناهيك عن العلوم خصوصًا الطب والرياضيات .. ويكفى أن علماء المصريات تشين، مانج، بل، أرشيبالد جمعوا ٣٦ وثيقة أصلية فى قوانين الدائرة، والمثلث، ومنها النسبة التقريبية التى

لا تخلو معادلة من معادلات أينشتين أو بوهر أو ماكس بلانك منها .

لذا وجدت أنه من الضرورى إضاءة المساحات المظلمة فى تاريخنا العظيم الذى يعرفه الغرب ويجهله الشرق . خصوصًا مصر! لذا اخترت عنوان الكتاب: مصر التى لا تعرفونها .

دكتور . وسيم رشدى السيسى

■ طب الفراعنة !

كنت فى المتحف البريطانى بلندن.. جناح الـEGYPTOLOGY وحولى الناس من كافة أجناس العالم.. ووقفت أمام جمجمة أجريت عليها عملية تربنة منذ ألفى سنة قبل الميلاد، ومكتوب على لوحة بجوارها (أول جراحة مخ فى التاريخ.. مصر الفرعونية) وكان واضحا أن المريض أنقذ من النزيف الداخلى فى المخ وعاش بعدها بدليل نمو قشرة العظام.

شهقت سيدة إنجليزية بجوارى وقالت لرفيقتها: LOOK AT THAT

ردت زميلتها أنه شيء يصعب تصديقه فى هذا الزمن البعيد السحيق، ولكنها كانت أول حضارة عرفها التاريخ.

كنت أسمع هذا الحوار وكاد الدمع يطفر من عينى فرحًا وفخرًا وألما.. أبناء بلدى فى غيبوبة حضارية والناس جميعا مبهورون بالحضارة المصرية القديمة ومع ذلك فإن أحفاد هذه الحضارة لا يبدون القدر المناسب من الاهتمام بها، مع أن جذور الإنسان، أى إنسان هى التى تدعم كيانه وتحافظ على تماسكه واستمراره.

كان بودى أن أقول لهما – للسيدتين الإنجليزيتين – أنا من مصر، أنا مصرى.. أنا واحد من أحفاد هؤلاء العظماء...

أكملت زيارتى للمتحف البريطانى، وخرجت.. وصوت حافظ إبراهيم تشدو به أم كلثوم:

وقف الخلق ينظرون جميعا كيف أبنى قواعد المجد وحدى

وبناة الأهرام كفونى الكلام عند التحدى

إن مجدى فى الأوليات عريق فمن له مثل أولياتى ومجدى

الشىء العجيب أن الآلة التى استخدمها الفراعنة فى إجراء عملية التربنة أفضل كثيرا من التى نستخدمها فى الوقت الحاضر! ذلك لأن آلة التربنة الجراحية اليوم تسقط منها العظمة الدائرية التى تم نشرها بينما آلة التربنة عند قدماء المصريين كانت قُمْعية الشكل حتى تحتفظ بالعظمة المنشورة بداخلها فلا تسقط على سطح المخ.

اخترع أجدادنا العظماء المشرط ذا الحدين للشق الحنجرى، ولازال هذا المشرط بتصميمه هذا.. هو المعمول به فى حالات الشق الحنجرى حتى الآن.

عرفوا التخدير الموضعى بخلط حامض الخليك على رخام من حجر ممفيس بنسب وتركيز معينين، مما سهل عليهم إجراء عمليات ختان الذكور، وأورام الأوعية الدموية عن طريق ربط الشريان المغذى لهذا الورم النابض أو الأنيورزم.

كما توصلوا للخيوط الجراحية من أمعاء القطط، وكانوا يصنعون من أمعائها أوتار الهارب والقيثارة، وأيضا الكات جت للعمليات الجراحية، كما كانوا يستخدمون دهن القطط لمكافحة الفئران.

كنت أعمل فى مستشفى أدنبروك فى كمبردج، وهو أول مستشفى نجح فى تجارب زراعة الكبد فى العالم، وكانت إحدى

المجلات الطبية تعلن عن خيوط جراحية صناعية جديدة – ديكسون وفيكريل – وكانوا يضعون صورة لتوت عنخ آمون، ويكتبون تحتها (ليس من المعقول أن نظل نستخدم الكات جت الذى يستخدم منذ خمسة آلاف سنة حتى الآن...! استخدم الديكسون أو الفيكريل) فما كان من رئيس القسم الذى أعمل فيه إلا أن قال (إنهم أغبياء.. هذه دعاية للكات جت... لأنه تحدى اختبار الزمن خمسة آلاف سنة أما هذه الخيوط الجديدة فلا أحد يدرى إلى متى ستصمد لاختبار الزمن).

وتمر الأيام ويثبت فعلا أن الكات جت أفضل كثيرا فى بعض الجراحات كجراحات التجميل فى حالات التشويه الخلقى عند الذكور. جدير بالذكر أنهم كانوا يحشون الجروح النازفة باللحم الطرى، وأذكر فى فترة النيابة أن جاءنى مصاب بضربة فأس فى رأسه مع نزيف من وريد كبير بالمخ، فما كان منى إلا أن أخذت جزءا من عضلة الفخذ، وبعد الطرق عليها عدة مرات حشوت بها الجرح النازف بالمخ وصباح اليوم التالى كان المريض جالسا فى فراشه ويقول صباح الخير يا بيه! لو عادت الأيام لكنت قلت له: (بل قل صباح الخير يامصر).

■ وعرف الفراعنة نوع الجنين ذكرا.. أم أنثى

حين سألتنى مدام فريدة الزمر فى أحد برامجها (أنت مين) هذا السؤال التقليدى الذى تقدم به المدعوون، قلت لها: أنا ابن حضارة قال عنها شامبليون «يتداعى الخيال ويسقط بلا حراك تحت أقدام الحضارة المصرية القديمة» وصفق الجمهور لا لشخصى، ولكن لأننا جميعًا ننتمى إلى هذه الحضارة العظيمة. •

هو ذا وارن داوسن يقول «إن أسس العلوم جميعا - خاصة الطب - وضعت فى مصر منذ خمسين قرنا من الزمان».

فإذا ارتحلنا لليونان، نجد الأطباء اليونانيين كانوا يكملون تعليمهم فى مصر ويؤمون مكتبة منف للاطلاع على أحدث ما وصلت إليه مصر فى العلوم الطبية (ديودور الصقلى).

بل نجد أن خارسيس يخاطب مواطنيه الإغريق ويؤنبهم على ارتحالهم وتفضيلهم الأطباء المصريين على الأطباء الإغريق، وأهم البرديات الطبية ثمانٍ:

١-إدوين سميث ٢- إيبرز ٣- كاهون

٤- هرست ٥- برلين ٦- لندن

٧- كارلزبرج ٨- شستربتى.

فإذا اطلعنا على بردية كاهون نجد طريقة عبقرية لمعرفة أهم سبب من أسباب العقم عند النساء، ألا وهو انسداد أنابيب فالوب، كان الطبيب المصرى القديم يضع فصين من الثوم داخل مهبل الزوجة العاقر، ولأن الثوم به زيوت طيارة أهمها الألسين فنجد أن هذه الزيوت تذهب لعنق الرحم، ثم الرحم، ثم أنابيب «فالوب» ثم إلى التجويف البريتونى - إذا كانت الأنابيب سليمة وغير مسدودة، ثم إلى الدورة الدموية - امتصاص البريتون لها - ثم إلى الرئتين، ثم إلى الخارج مع التنفس، وعلى هذا يشم الطبيب رائحة تنفس الزوجة العاقر، فإن كانت هناك رائحة الثوم، يقول لها ولزوجها... إن الحمل والإنجاب محتملان، أما إذا لم يشم رائحة الثوم، فيخبرها أن احتمالات الحمل والإنجاب ضعيفة جدا.

وحين نوقشت هذه الطريقة فى ڤيينا - أحد مؤتمرات النساء والتوليد - كان تعليق بروفسور جرين أرميتاج رئيس المؤتمر:

هذا يدل دلالة واضحة على دراية قدماء المصريين بدقائق الجسم البشرى وفن التشريح.

كما نعرف الآن أن بول المرأة الحامل به هرمونات الحمل، ونحلل البول لذلك، أيضا عرف أجدادنا المصريون أن بول الحوامل يختلف عن بول غير الحوامل، بوضعه على الحنطة - القمح - والشعير، وكانوا يعرفون إذا كان الجنين ذكرا أم أنثى تبعا لنمو الشعير أو الحنطة.

ولقد أجرى الأستاذ الدكتور رشدى عمار، أستاذ النساء والتوليد، تجاربه المثيرة على القمح والشعير بثلاثة أنواع مع البول ١-بول حوامل ٢- بول غير حوامل ٣- بول ذكور، والعجيب أنه حدث إنبات فى ٤٠٪ من بول الحوامل، ولم يحدث إنبات على الإطلاق مع بول غير الحوامل أو الذكور.

وماذا عن سرطان الثدى؟ لو فتحنا أى مرجع من مراجع الجراحة طبعة ٢٠٠٦ فسنجد نفس الوصف وطريقة الفحص التى تركها لنا الرواد فى مصر الفرعونية.. هيا بنا نسمع للطبيب المصرى القديم وهو يعلم طلابه فى جامعة منف أو جامعة أون (عين شمس)، إنه يقول: (إذا تحسست ورما براحة اليد - وليس بالأصابع - فوجدته فجا كالفاكهة غير الناضجة، قل لأهل المريضة - ولم يقل قل للمريضة - هذا داء لاحيلة لى فيه) وواضح أنه يعنى السرطان، خصوصا أنه فى برديات أخرى، وصف السرطان بورم الإله خونسو، وخونسو هو الإله الخبيث أو الشرير، ومازلنا نقول حتى الآن إنه ورم خبيث، ولكن ماذا نقرأ فى المراجع الأجنبية عن سرطان الثدى؟ طريقة الفحص براحة اليد وليس الأصابع، وسوف تجده كالكمثرى غير الناضجة Like An Unripe Pea.

وماذا عن طريقة الولادة؟ هل رأيتم كرسى الولادة فى المتحف المصرى؟ هذا هو الكرسى الذى عادت إليه الولايات المتحدة الأمريكية منذ خمس سنوات ولكن بعد مرور آلاف السنين! وثبت أن الولادة على الكرسى أصح وأسهل من الولادة على السرير!

وماذا عن الزواج فى مصر القديمة، كان الزواج يتم عند البلوغ، كانت الفتيات عند الرابعة عشرة، والفتيان عند ١٨.

أما عن رضاعة الطفل فكانت ثلاث سنوات.

ما ذكرته اليوم إنما هو تخصص واحد من فروع الطب فى مصر الفرعونية، فقد تخصصوا فى طب العظام، والعيون، والحميات، والجراحة، حتى الأمراض المجهولة، حتى أمراض الشرج والمستقيم، وكان المختص اسمه راعى الشرج، وكما ترى عزيزى القارئ تعيش مصر أزمانها سلفا وإلى الأمام، وما كنا نصفه منذ آلاف السنين - كرسى الولادة - عاد إليه العالم الآن!

لشوقى أمير الشعراء أن يغرد:

وبنينا فلم نخل لبان..

وعلونا فلم يجزنا علاء

قل لبان بنى فشاد فغالى..

لم يجز مصر فى الزمان بناء

■ فن التحنيط

كثيرون يعتقدون أن التحنيط عند قدماء المصريين ما زال سرا، ولكن الواقع أننا عرفنا عنه الكثير، فلماذا كان التحنيط؟ ومتى بدأ؟ وما الطرق المختلفة للتحنيط بين الأغنياء والفقراء فى العصور المختلفة؟

كانت العقيدة الدينية فى مصر الفرعونية أن الإنسان مكون من:

١ – الجسد.

٢– النفس (با) وترسم على هيئة طير.

٣– الجسم الثانى (أثيرى) واسمه (كا) ويرسم كذراعين مرفوعتين.

٤– الروح (خو) ومعناها النور.

٥– القلب (أب) وهو الذى يوضع على الميزان أمام أوزيريس عند المحاكمة. وكانوا يعتقدون أن الجسد يجب أن يظل سليما حتى يوم البعث لكى تتعرف عليه الروح، ومن هنا بدأ التحنيط، عثر العلماء على أقدم جثة محنطة للملكة «حتب حرس» والدة الملك خوفو، وكان التحنيط مقصورا على الملوك والأمراء والأغنياء ثم انتقل بعد ذلك إلى باقى طبقات الشعب.

وصف هيرودوت فى القرن الخامس ق.م طقوس التحنيط، كما وصفها ديودور الصقلى فى القرن الأول ب.م، وقد اهتم علماء المصريات فى العصر الحديث بالتحنيط، فنجد الفريد لوكاس يحلل ملح النطرون الذى استخدم فى التحنيط، ويفعل ماسبيرو الشيء نفسه، أما باريسو فكان يرى أن التحنيط لمنع انتشار الأمراض، أما كاسبان فاعتقد أن التحنيط كان لحفظ الجثة وقت الفيضان؛ لأن الدفن كان فى الجانب الغربى من النيل، نحن نقول الآن «عنيه غربت» أى اتجهت للغرب، وبهذه المناسبة كان الأجداد يسمون القبور مراقد السعادة، وتبدأ عملية التحنيط بتفريغ الجمجمة من المخ بواسطة سيخ طرفه ملتو كالسنارة، وهذا التفريغ يتم من الأنف خلال العظام المصفاوية، وهى عظام رقيقة تفصل بين الأنف والجمجمة، لذا نجد نزول سائل المخ من الأنف فى إصابات الرأس وكسر قاع الجمجمة، ثم يفرغ المخ بهذا السيخ من الأنف، ثم يملأ فراغ الجمجمة بالصمغ أو الصمغ والشاش أو قطران الخشب (عهد البطالمة)، ثم يفتح البطن بسكين حاد من الحجر وتنتزع أحشاء البطن والصدر ما عدا الكليتين (وراء البريتون ويصعب انتزاعهما) أيضا يترك القلب، لأنه سيدافع عن صاحبه أمام محكمة العدل الإلهية (أوزيريس) ومما سيقوله:

لم أظلم أحدا، لم أسرق، لم أكذب، لم أشته زوجة قريبى، لم أقتل، لم أغش فى الميزان، لم أسبب بكاء لأحد، لم أحرز مالاً حرامًا، أطعمت الجائع، آويت الغريب، كنت أبا لليتيم، ويدًا للمشلول، وقدمًا للأعرج، قلبى نقى ويداى طاهرتان.

فإذا كان الحكم بالبراءة يقول أوزيريس (فليخرج الميت فائزا من قاعة العدل، وتفتح له أبواب الجنة ويجلس عن يمينى فى الفردوس السماوى).

أما إذا كان الحكم بالإدانة (ليشطب اسم المتوفى من سفر الحياة ويلق فى أتون النار).

عودة إلى عملية التحنيط، يملأ تجويف الصدر والبطن بالراتنجات العطرية مثل المستكة والحبهان واللبان الدكر، أو يملأ بالصمغ المصهور، وتغلق فتحة البطن وتسد فتحات الأذنين والعينين والأنف والفم بشمع النحل، ثم تبدأ العملية الأساسية فى التحنيط، ألا وهى التجفيف بوضع الجثة فى ملح النطرون الجاف سبعين يوما، ثم بعد ذلك تغسل الجثة فى محلول من ملح النطرون، ثم تدهن بالزيوت العطرية، ويلف بالكتان كل إصبع.. كل عضو، ويوضع شمع البارافين داخل العينين، ثم تدهن الوجنتان باليثارج الأحمر (أحد مركبات الرصاص) ثم تدفن الجثة وبجوارها اهتمامات صاحبها، فتوضع معها لعب إن كان طفلا، أو آلات جراحية إن كان جراحا، أو القلم والورق إن كان كاتبا.

هناك طرق أخرى مختلفة فى التحنيط أهمها طريقة الفقراء وهى حقن زيت الأرز من الشرج وغلق الشرج ثم وضع الجثة فى ملح النطرون سبعين يوما، ووظيفة زيت الأرز أن يهرى الأمعاء وينزل بها من فتحة الشرج عند إعداد الجثة للدفن.

وقد يتساءل البعض ولم كل هذا العناء وما الفائدة من ورائه؟

أما لماذا فكما بينت أنها عقيدة، أما ما الفائدة فكانت عظيمة جدا، هو ذا وارن داوسن يقول: «إن أسس العلوم جميعا - خاصة الطب- وضعت فى مصر منذ خمسين قرنا من الزمان» هذا التقدم العظيم فى علوم الطب، خاصة الجراحة، يرجع إلى فن التحنيط الذى أعطى للقدماء فكرة واضحة وصحيحة عن الجسم البشرى.

■ فن التوليد الفرعونى

بألم أم بدون ألم؟ هذا هو السؤال الذى يطرح على أية امرأة فى فرنسا تتأهب للولادة؛ ذلك لأن هناك مدرسة جديدة للولادة بدون ألم تدعى مدرسة دكتور فرناند لامين، وهذه المدرسة ترى أن الألم قرين المرض والولادة عملية فسيولوجية وليست مرضية، فلماذا الألم؟!

ولكن كيف كانت الولادة والتوليد فى مصر الفرعونية؟ إننى أبحث عن أجدادى الأطباء.. هاهم هناك تحت صفصافة جميلة باسقة، هاهم حليقو الرءوس والذقون، ملابسهم من الكتان النظيف، يشربون فى كئوس برونزية (عرفوا السبائك) هاهو أمحوتب وزير الملك زوسر ورئيس كتبة الغلال؛ لأنه أنقذ مصر من المجاعة حين تأخر الفيضان سبع سنوات، والذى وصفه سير وليم أوزلر بأنه أقدم شخصية طبية واضحة فى ظلام التاريخ القديم، هاهى الطبيبة بيسيشيت رئيسة الطبيبات، الطبيب تاوى، الطبيب أيوتى رئيس الأساتذة، الطبيب عكمو، والذى تخصص فى الطب العسكرى والأطباء بيبى، توتو، ميرا، بتاح حتب، بسماتك، خوى وغيرهم من الزملاء والزميلات، أهديتهم السلام وجلست معهم، رحبوا بأحد أحفادهم وسألتهم عن تخصصاتهم، عرفت منهم الباطنى (سونو) والجراح، والروحانى (النفسى) (ساو) البيطرى، المضمد، المتخصص فى الأمراض المجهولة، تذكرت كلمات هيرودوت (وفن الطب فى مصر موزع بينهم توزيعًا مبنيًا

علـى الحكمـة، وكـل طبيب يتقن فرعًا واحدًا من فروع الطب) تذكرت هيلانة فى اليونان، قورش فى فارس كيف شفوا من أمراضهم على أيدى أطباء مصر الفرعونية.

قلت لهم لقد اكتشف أستاذى الدكتور محمد فياض، وهو أحد أحفادكم، أن أول مستشفى تخصصى لرعاية الحوامل ليس فى باريس (آخر القرن ١٩) ولا فى أدنبرة ١٨٩٩، ولا فى الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٠٩، ولكن عندنا فى مصر القديمة منذ ٤٠٠٠ سنة مضت، ويقول فى كتابه (فن الولادة فى مصر القديمة): «إننى أنحنى بكل التقدير والإجلال أمام العبقرية الطبية فى ميدان الولادة لأجدادنا المصريين القدماء». قالت رئيسة الطبيبات: بيسيشيث بارك الله فيه.. ليس كل الأحفاد مثله، نعم بنينا هذه المستشفيات التخصصية كما كنا نبنى تكعيبة النفاس (ماميزى) فى حديقة منزل الوالدة أو فوق سطوحها لعزلها (خوفًا عليها من حمى النفاس) لمدة أسبوعين كما كنا نطهر شعرها ونسرحه (اخترع الأجداد المشط) ثم نصففه وهذه هى تسريحة النفاس؛ لأن الشعر مصدر من مصادر العدوى، وهذا ما عرفتموه على يدى باستير؛ أعنى الميكروبات!.

قلت لها: لقد اكتشفتم دور الميكروبات ولكنكم لم تكتشفوا البنسلين، ابتسمت الطبيبة الحسناء وقالت: كنا نستخدم لباب الخبز العفن، وملح الطعام أو عسل النحل على الجروح المتقيحة، ألا تعرف أن لباب الخبز العفن به بنسلين؟ قلت لها: حدثينى عن معارفكم بخصوص الحمل، ومنع الحمل، والإجهاض، وعملية

الولادة، قالت: عرفنا دور الرجل في الحمل، وكنا نسميه (الدور الجميل) واعتقدنا أن السائل المنوى يتكون في قلب الرجل ويخزن في صلبه أو العظمة المقدسة وهي الفقرات العجزية، وكنا نقول: «لقد وضع الرجل قلبه في المرأة» كما عرفنا أن بول المرأة الحامل مختلف؛ لأنها تحمل بداخلها كائنًا حيا، كما حرمنا الإجهاض بالقانون، كما عرفنا وسائل منع الحمل، وقد شاهدها الدكتور محمد فياض في مؤتمر سنغافورة ١٩٩١ وملأ الفخر والاعتزاز قلبه بأجداده العظماء على حد قوله، كما عرفنا انسداد أنابيب فالوب بالثوم (بردية كاهون) أما عن الولادة، فقد عرفنا الحقن الشرجية حين شاهدنا طائر الكركى وهو يملأ منقاره بالماء ويحقنه في مؤخرته لتنظيف أمعائه، كما عرفنا القطّارات حيت استخدمنا ريشة النسر كقطارة للعيون، أما الولادة نفسها فكانت الوالدة تجلس القرفصاء وهي تثنى ركبتيها كأنها تتبول، ولكننا لم نعرف أبدًا هذه الأوضاع الغريبة في عصركم! وهي أن تنام على السرير، ويقول الدكتور محمد فياض عن وضع الولادة عندنا: «هذا الوضع أفضل أوضاع الولادة.. لأن إحساس الوالدة بالألم لا يكاد يذكر ولا يقارن بالمتاعب والآلام التي تعانيها من تلد وهي في الوضع الأفقي. سألتها عن كرسي الولادة؟ قالت: نعم استخدمناه في الأسرات من ٢٠: ٣٠ وقد عادت إليه أمريكا وأنتم في نهايات القرن العشرين، سألتها عن الدايات؟ قالت رئيسة الطبيبات نعم موجودات وكانت اثنتان تقومان بمساعدة الحامل على الولادة، أما نحن الطبيبات فكنا للحالات العسرة،

تدخل حسى رع كبير أطباء الأسنان ٢٨٠٠ق.م وقال لبيسيشيث هل تحدثينه عن الأسنان أثناء الحمل؟ قالت: هذا دورك يا طبيب الأسنان.

استأذنت منهم بعد ان شكرتهم ووجدت نفسى أردد كلمات مأمون الشناوى فى أغنية عبد الوهاب:

نحن شعب حكم الدنيا وساد   ونما والدهر فى المهد وليد

■ شجرة الصفصاف

عدت إلى زملائى الأطباء والطبيبات تحت شجرة الصفصاف، وهم وهن جميعًا زملاء فى المهنة، والمكان مصر.. وإن لم يكونوا زملاء فى الزمان؛ لأن الفارق آلاف السنين، قابلت «حسى رع» كبير أطباء الأسنان، إنه من الأسرة الثالثة؛ أى ٤٧٠٠ سنة مضت أو خمسين قرنًا من الزمان.

قلت له يا سيدى الطبيب من حسن حظكم أن الفك والأسنان تتحدى الزمان، وقد عرفنا بأجهزتنا الحديثة مدى التقدم الذى وصلتم إليه فى طب الأسنان، سألنى «حسى رع»: ومن الذى قام بهذه الدراسة؟ قلت له إنه الباحث ليك ١٩٧٩ وعالم المصريات بالدوك ١٩٩٤، وقال الاثنان إن ما نراه من مهارتكم فى طب الأسنان لا يقل بحال من الأحوال عما وصلنا إليه الآن (الطب فى مصر القديمة – J.NUN ص ٢٠٢)، ولكن نحن وصلنا لزراعة الأسنان فى العصر الحديث فهل وصلتم أنتم إليها؟ قال «حسى رع» لو عدت يا ولدى للكتاب السنوى لدائرة المعارف البريطانية ١٩٩٤ ص ٢٦٥ فسوف تجد روبرت كوب يقول إننا كنا نقوم بعمل تجويف فى عظام الفك، أو نستخدم تجويف سنٍّ أو ضرس قد تم خلعه حديثا ثم نثبت ضرسًا سليمًا أو سنًّ فى ذلك التجويف بسلك من ذهب مع الضرس، أو السن المجاورة.

سألته: وهل كان يثبت فى مكانه بعد ذلك؟ قال: كان يثبت إذا كان الضرس من توءم، ولكن نسبة نجاح زرع الأسنان كانت أقل فى الأقارب وشبه معدومة بين الغرباء، بالطبع لم نعرف فى ذلك الوقت موضوع المناعة والقبول أو الطرد؛ ولكننا عرفنا بعد ذلك حين أصبحت صفحة الزمن واحدة بالنسبة لنا.

عدت إلى دائرة المعارف البريطانية قرأت المقالة، ولكن دكتور «حسى رع» كان متواضعًا لأنه لم يذكر ما كتبه روبرت كوب: كان قدماء المصريين تكنولوجيين مهرة.

قلت: حدثنى يا جدى عن تسوس الأسنان؟ قال: لو عدت لبحث بيرى ١٩٩٣، سميث جونز ١٩١٠ لوجدت أنه حدثت زيادة فى تسوس الأسنان عندنا من ٣٪ ما قبل عصر الأسرات إلى ٢١٪ فى عصر الاحتلال الرومانى، والسبب فى هذا أن السكريات عندنا كانت قليلة وكنا نشرب الجعة - البيرة - وأنتم تقولون أن بها تتراسيكلين وهو مضاد حيوى، أما فى تسوس الأسنان فكنا ننظف التجويف ونحشوه بكربونات النحاس، والصمغ، ومواد أخرى، وكنا أحيانًا نحشوه بالذهب عيار ٢٤، أما إذا كانت السنُّ قلقة، فكنا نثبتها بسلك دقيق رفيع من الذهب الخالص، أما إذا حدث خراج تحت الضرس، فكنا نجرى عملية تربنة صغيرة فى عظام الفك لتصريف الصديد، كان مبدؤنا فى الجراحة.. «ضع وليس شيل»، صحيح أننا كنا نخلع فى الضرورة القصوى، وإن كانت آلات الخلع لم تعثروا عليها حتى الآن.

سألته: وماذا عن الأسقربوط؟ قال «حسى رع» كنا نسميه آكل الدم؛ لأن اللثة كانت تتورم وتنزف والمريض يبلع لعابه الملوث بالدماء.

قلت أيها الجد العظيم لقد قرأت فى بردية أدوين سميث الفصل الثامن وصفًا تفصيليًّا لطريقتكم فى رد الفك المخلوع إلى مكانه، ويقول أدوين سميث إن طريقتكم لا تختلف إلا قليلاً عن طريقتنا فى الوقت الراهن فما تعليقك؟ قال: هذا صحيح وينطبق أيضا على طريقتنا فى رد الكتف المخلوعة، لقد علق عليها أستاذكم الدكتور محمد كامل حسين مؤلف «قرية ظالمة» والوادى المقدس بقوله: «ليست هناك طريقة أفضل من طريقة قدماء المصريين فى رد الكتف المخلوعة وعلاج الترقوة المكسورة ولكن هذا تخصص عظام».

سألت «حسى رع» نحن نسمى الصيدلية فارماسى وأنا أعرف أنها كلمة فرعونية ألا وهى فارماكا.. فهل أستطيع أن أتحدث إلى واحد من المتخصصين فى علم العقاقير؟ ولا تنس أن تسترد لنا كتاب العالم المصرى النباتى ديسكوريدس.. خواص العقاقير من بغداد فى عصر خالد بن يزيد بن معاوية.

وهل هذا الكتاب هو الوحيد لنا هناك؟ ابتسم «حسى رع» وقال: آه يا ولدى، لقد عمرت خزائن بغداد بنفائس الإسكندرية.

والعقاقير.. أصلها مصرى

اتجهت إلى شجرة الصفصاف فى حديقة الزهور، كان الأطباء والعلماء والعاملون بالدواء يتحلقون حولها.. نهض كبير أطباء الأسنان حسى رع ٢٧٠٠ق.م مرحبا بى وقدمنى إلى دكتور عكمو المتخصص فى الطب العسكرى وإلى سنو (طبيب) أيوتى المتخصص فى الطب الباطنى وإلى دكتورة بيسيشيت، وإلى دكتور بيبى المتخصص فى الدواء، قال بيبى: «لقد طلب منى حسى رع ان أقابلك هذا الأسبوع حتى نتحدث فى العقاقير والعلاج، قلت له: أشكرك كثيرًا، أنا أعرف أنكم صنعتم الدواء من النباتات، الحيوانات، المعادن، حدثنى عما استخرجتم من النباتات. قال عالم العقاقير: هذه الشجرة التى نستظل بها شجرة الصفصاف استخرجنا من جذورها مادة مسكنة للألم (بردية أيبرز٢٣٩)، والتى استخرجها الألمانى فيلكس هوفمان وعالج بها والده من الروماتويد وسماها الأسبرين، إنه ملك العقاقير وهذه الصفصافة ملكة الأشجار، كما استخدمنا السنامكة وزيت الخروع كملينات، كما استخرجنا الأفيون واستخدمناه لتهدئة صراخ الأطفال (بردية أيبرز ٧٨٢) كما عرفنا الحشيش وصنعنا منه أشكالا تعطى عن طريق الفم أو المهبل أو الشرج (لبوسات)، قلت لبيبى: إن جيرمر ١٩٩٣ استطاع أن يتعرف فقط على ٢٠٪ من مائة وستين نباتًا طبيًّا، كما يأسف جون نان على أننا لا نعرف

الترجمة لأسماء عقاقير كثيرة توصلتم إليها، كما استخلصتم الكوكايين والأتروبين من ست الحسن والسرتكنين، الديجوكسين، والهيوسين للمغص الكلوى كما استخدمتم حبة البركة، والخروب للنشاط الجنسى، والحلبة لاستعادة الشباب، وجوزة الطيب، والنعناع، والبابونج، والكمون، والحبهان، والشعير لإدرار البول وغيرها كثير مما لم نتوصل إليه بسبب حاجز اللغة.

قلت لعالم العقاقير: لقد بدأ العالم يحذرنا من العقاقير التى هى من أصل كيماوى أو معدنى، ويشجعنا على العودة للطبيعة بما فيها النباتات الطبية، فهل كانت لديكم عقاقير مْن أصل معدنى أو كيماوى؟

قال محدثى: نعم يا ولدى.. ولكن فى أضيق الحدود استخدمنا كبريتيد الأنتيمون لعلاج البلهارسيا وأنتم استخدمتم الطرطير ألا وهو طرطرات الأنتيمون، ولكن المادة الفعالة واحدة؛ أعنى الأنتيمون.. استخدمنا ملح النطرون.. (بردية هرست ١٤٠) وكنا نستخدمه لاستخراج الصديد من الجروح المتقيحة، كما عرفنا ملح الطعام واستخدمناه مع الماء الدافئ كمقيئ وكمادات للعيون، كما استخدمنا بودرة المالاكيت كحْلاً أخضر للعين، وهذه المادة قاتلة لمسببات الالتهاب بما فيها من نحاس (بردية إدوين سميث ٤٦)، كما استخدمنا هذه البودرة فى خراريج الثدى والجروح المتعفنة (بردية أيبرز ٤٩١) كما عرفنا البترول حسب تسميتكم وكنا نسميه زيت الصحراء.

سألت بيبى: وما الأمرو؟ قال: لا أعرف ولكنى أصفه لك وأصف استخدامه، قلت له: لعله الجبس؟ قال لست متأكدا، سألت جدى بيبى: وماذا عن الدواء من أصل حى أو حيوانى؟ قال أشهرها عسل النحل، قاتل للبكتريا، مجفف للجروح يساعد على التئام الجروح، استخدمناه بكثرة فى القرح و الحروق، كما لاحظنا أنه مضاد للفطريات وكنا نتناوله فى حالات القىء والإسهال ويمكنك أن ترجع إلى (بردية أيبرز ٣٢٣) أو إلى ما كتبه استس وزو ميلا ١٩٨٩، ثم استطرد بيبى: كما استخدمنا اللبن كعلاج بالفم أو حقن شرجية أو داخل المهبل (ايبرز ٨١٩) أو للعيون، كما استخدمنا مشيمة القطة عند الولادة لمنع شيب الشعر، كما استخدمنا دهن التمساح والأسد والثعبان لعلاج الصلع، كما استخدمنا اللحم الطازج لحشو الجروح النازفة، قلت له: ونحن أيضا مازلنا نفعل ذلك ولكن من نفس عضلات المريض لاحتوائها على مواد تساعد على التجلط.

ولكن خبرنى يا جدى العزيز: هل استعملتم روث الوطواط أو الخفاش فى علاج العشى الليلى؟ قال: نعم وقد أثبتت تحاليلكم الطبية أن فضلات الخفاش غنية جدا بفيتامين «أ» وأنت تعرف أهمية هذا الفيتامين للإبصار، كما استخدمنا كبد الثور لعلاج الضعف العام أو ما تسمونه بفقر الدم أو الأنيميا قلت له: ذلك لأن كبد الثور به فيتامين ب ١٢ الذى يعالج الأنيميا الخبيثة، قال بيبى: ليس فقط ب ١٢ لكن فيتامين (أ)؛ لأننا استخدمنا كبد الثور كعلاج للعشى الليلى، لم يكد بيبى ينتهى من كلامه حتى أقبل

علينا عالم مهيب، أنوبيس عالم السموم سألته: هل قدمت الأفعى لكليوباترا حتى تنتحر بها؟ وهل يقتنى عاقل ما يضر؟ قال يا ولدى:

أتيت بهن لعلم السموم ولى فى هذا العلم نظر

أداوى بها أو بترياقها محب الحياة أو المنتحر

ودعتهم جميعًا على وعد بلقاء قريب

■ أفلاطون ومثلث برمودا

ذهبت لمقابلة أفلاطون، على وعدى له بالحديث عن مثلث برمودا، استقبلنى الفلاسفة والمؤرخون بالتهنئة على فوز مصر بجائزة نوبل فى العلوم الكيميائية على يد أحد أبنائها النابهين، الدكتور أحمد زويل، قال مانيتون: مازالت جينات الفراعنة قادرة على الإبداع والإتيان بالجديد.

قلت له: إنه المخزون الحضارى».. وعلم الكيمياء مأخوذ من اسم مصر فى أحد عصورها وهو كمى، وكمى معناه الأرض السوداء (الطمى) ومنها أخذت كلمة كيمياء أى العلم الأسود؛ لأنهم (اليونان) اعتقدوا أن السحر والأرواح تلعب دورًا فى التفاعلات الكيميائية! قال أفلاطون أول من قسم الزمن إلى سنوات بظهور الشعرى اليمانية مصر أول من قسم الزمن إلى أصغر وحداته واحد على مليون من بليون من الثانية كان أحمد زويل.. مصر.

سألت مانيتون ما أصل كلمة مصر؟ قال: هناك آراء مختلفة، رأى يقول إنها من ثلاث كلمات مصرية قديمة (ما) بمعنى موضع، (سى) بمعنى أبناء، (را) أو (رع) بمعنى الشمس فتكون مصر من ماسى را، أى موضع أبناء الشمس، لأنها بلاد الشمس المشرقة، وهناك رأى آخر أن مصر من مسرى، ومسرى هو أحد شهور السنة القبطية (المصرية) ومسرى هو أغسطس أو شهر

الفيضان، فسميت مصر نسبة إلى شهر النيل والفيضان، وهناك رأى ثالث أنها من مصرايم وهو أحد أحفاد نوح.. قال أفلاطون: لقد حدثتك عن قارة أطلانطس ووعدتني بالحديث عن مثلث برمودا، فهل آن الأوان لأن تفي بوعدك الذى أخذته على نفسك؟

قلت: هذا المثلث المائى مساحته ٣٠٥ ألف كيلو متر مربع، أو ١٤٠ ألف ميل مربع، وهو يمتد من برمودا شمالا على الشاطئ الشرقى لأمريكا الشمالية حتى فلوريدا جنوبًا، هذه قاعدة المثلث أما الضلعان الآخران فيلتقيان عند جزر الباهامس داخل المحيط الأطلنطى، وهذه هى المنطقة التى غرقت فيها قارة أطلانطس.. قال أفلاطون: الكوارث تحدث فى أى مكان فى العالم فلماذا تخصون هذا المثلث بالرعب والخوف.

قلت: لأن نسبة الحوادث فيه بالنسبة لأية مساحة مساوية أخرى إنما هى ١٠٠: ١ أضف إلى ذلك أن أية كارثة تتبقى منها جثث طافية أو قوارب نجاة أو أطواق نجاة أو آثار أخرى كالزيت مثلا، إلا مثلث برمودا تحدث الكارثة فجأة ولا تترك أى أثر على الإطلاق، سأل أفلاطون ألم ينج أحد، وماذا قالوا؟ قلت: قليل جدًا جدًا من كثير، قالوا إن البوصلة أصيبت بالجنون، وكانت تدور وتدور، الراديو لا يرسل ولا يستقبل، أجهزة رصد الارتفاع الميل خزان الوقود أصيبت بالشلل وتعطى قراءة خاطئة، أما عن المكان فكانوا لا يرون الشمس ولا المحيط ولا الشاطئ، أما عن الزمان فحدث ولا عجب، سمع أحدهم استغاثة نفسه بعد أن نجا وهبط بسلام وكأن هذه الاستغاثة تجمدت ربع ساعة فى بعد

زمنى آخر ثم أطلقت بعد ذلك، أما عن السحب فكانت تتوهج وماء المحيط كانت به نسبة عالية من المواد المشعة مثل السترنشيوم والليثيوم والكبريت، وكانت هذه العينة من ماء المحيط جمعها جيم ريتشاردسون بعد أن نجا بأعجوبة! قال أفلاطون أعطنى أمثلة من كوارث مثلث برمودا هذا، قلت: كوين مارى ١٥ ألف طن كبريت مذاب اختفت بدون أثر، البونازا ٣٢ ألف طن فحم اختفت بدون أثر فى ١٩٧٥/٣/٢٧، خمس طائرات حربية اختفت وهى تبحث عنها وكأنها ذهبت إلى المريخ، أطلانطا (طائرة ٢٩٠ راكبا) اختفت، سيكلوب (٣٠٨ راكب) اختفت، وغيرها كثير، فمنذ ١٩٤٥ وحتى الآن اختفت مائة طائرة، ومائة مركب ما بين شاحنات وزوارق صغيرة، كان الأب باتريك مورجان يقود يختًا رقم ١٠٧ صرخ فى اللاسلكى: «النجدة.. لم أر شيئا كهذا من قبل» واختفى، قال أفلاطون: أما من تفسير علمى حتى الآن؟ قلت له: كلها نظريات إحداها الثقوب السوداء، نظرية أخرى الثقوب الزرقاء، نظرية ثالثة المادة الضد التى اكتشفها ديرك، فإذا تقابلت مع أية مادة من عالمنا كطائرة أو باخرة تتلاشى الاثنتان فى طاقة ضوئية، نظرية رابعة هى المجال الموحد وهى نظرية أينشتاين، أما النظرية الخامسة والأخيرة فهى الأطباق الطائرة واختطافها للطائرات كما حدث لطيار أسترالى فى ٣/١٢/ ١٩٧٨، قال أفلاطون أرجو أن تسهب فى شرح هذه النظريات.. قلت: الأيام قادمة إن شاء اللّٰه.

■ مثلث الرعب

اجتمع المؤرخون والفلاسفة فى لقائنا الأسبوعى فى حديقة مصر الفرعونية وكنت قد وعدتهم بشرح بعض النظريات التى تفسر ظاهرة اختفاء الطائرات والمراكب فى مثلث برمودا، قال أفلاطون: كلنا آذان مصغية ومعنا جدك المؤرخ المصرى مانيتون قلت لهم: أليس عجيبا أن يحتار العلم والعلماء فيما تركتموه لنا، ولا نجد فى وثائقكم ما يفسر ظاهرة مثلث برمودا؟! قال مانيتون: أعطنا مثلا! قلت: العقد الذى وجدناه فى أحد معابدكم ولا يمكن أن تتم ثقوبه إلا بشعاع من الليزر! صورة الحيوان المنوى والبويضة، بل وانقسام هذه البويضة بعد دخول الحيوان المنوى إلى نواتها.. وهذا لا يمكن معرفته إلا بميكروسكوب، أيضا الأنبوبة التى وجدناها فى صدر مومياء وتحتوى على مواد مشعة وقد عرفنا ذلك بجهاز جايجر، أيضًا دودة البلهارسيا المسماة خررت ومرسومة على جدران المعابد وقد وصفتم العلاج.. كبرتيد الأنتيمون!!

قال مانيتون: لقد عرفنا صناعة الزجاج، بل والخيوط الزجاجية وبالتالى عرفنا العدسات وإن لم تكن هناك وثائق دالة على ذلك إلا أن كثيرًا من الوثائق ضاعت ويكفى تدمير مكتبة الإسكندرية مرتين.. ولكننا نريد أن نسمع منك عن الثقوب السوداء، والزرقاء والمجال الموحد، والمادة الضد، والأطباق

الطائرة كنظريات لحل لغز مثلث برمودا. قلت لهم: الثقوب السوداء لا ترى ولكنها تعرف بأثرها على الأجرام السماوية المحيطة بها، لقد اكتشف هذه الثقوب ثلاثة من العلماء الإنجليز: بيتر سانفورد، فريد هاوكنز، كيث ماسون، وكان ذلك فى ١٦ مايو ١٩٧٣، والثقب الأسود يكون بسبب انهيار شمس أكبر من شمسنا عشرات المرات ويصبح قطرها ٤٠ ميلا ولكن ملعقة صغيرة من كتلتها تزن ملايين الأطنان!! هذه الكتلة الهائلة فى هذا الحجم الصغير تجعل جاذبيتها لا تسمح حتى بانطلاق الضوء!! بل وتبتلع كل ما حولها من غبار كونى أو شموس أصغر منها، يقول عنها عالم الطبيعة الأمريكى جون هويلر: الثقوب السوداء إنما هى أكبر كارثة تواجه علم الطبيعة، ويكفى أن القوانين العلمية التى نعرفها لم تعد تصلح لها..!! فضلا عن احتمال ابتلاع شمسنا بكواكبها بما فيها... أمنا المرحومة الأرض! ويقول العلماء إن فائدتها إنما هى تماسك الكون وإلا لكان قد تبعثر وأصبح هباء بعد الانفجار العظيم! هذه الثقوب السوداء قد تبتلع طائرة وتجعلها ذرات فى فيمتو ثانية ولكننا لا نستطيع أن نفسر اختفاء مراكب عملاقة فى المحيط! أما الثقوب الزرقاء فهى فوهات فى قاع المحيط قادرة على سحب الزوارق الصغيرة ولكنها أيضا لا تفسر اختفاء الشاحنات العملاقة.

سألنى أفلاطون: وماذا عن المادة الضد أو الكون النقيض؟ قلت: إنها نظرية بول ديرك.. المأذون الذى زاوج ما بين نظرية أينشتاين (النسبية) ونظرية ماكس بلانك (الكم) فأنجب جنينا

مرعبا اسمه المادة الضد يحمل شحنة مضادة للإلكترون سماه البوزيترون وحين زوج الاثنين، أفنيا بعضهما وتحولا إلى دخان اسمه أشعة جاما! هذه المادة الضد التى هى نظريًا ذرات نقيضة، أرض نقيضة، شمس نقيضة، إذا اصطدمت ذرات منها بطائرة أو مركب تلاشى الاثنان فورًا! كان يمر بجوارنا الشاعر الأخطل الصغير.. سمع جزءًا من حوارنا.. أخذ يردد أغنية عبد الوهاب:

«جفنه علم الغزل»

ومن العلم ما قتل!

يا حبيبى أكلما ضمنا للهوى مكان.

أشعلوا النار حولنا.

فغدونا لها دخان؟! اقترب منا برتراند راسل وعرف ما كنا نتحدث فيه: أنتم تعرفون أنى كنت صديقا لأينشتاين وقد عرفت منه ما لا يمكن البوح به.. ولكن نهاية العالم بل والكون كله... هى فى التقاء الأكوان بالأكوان النقيضة!

سرح قليلا برتراند راسل ثم تمتم قائلا:

What God has put asunder let no man put together

أى ما فرقه الله لا يجمعه إنسان!! قال أفلاطون: لقد وضحت لنا نظريات اختفاء السفن والطائرات فى موقع قارة أطلانطس الغارقة، وقد عرفنا منك شيئا عن الثقوب السوداء والزرقاء. وعن مأذون بريستول وكمبردج الحاصل على جائزة نوبل ١٩٣٣ ونظريته عن المادة الضد، ولكنك لم تخبرنا شيئا عن ألبرت

أينشتاين أو المجال الموحد؟ قلت أينشتاين الذى قال إن أقصر الطرق ليس هو الخط المستقيم، بل الخط المنحنى الذى يوازى انحناء الكرة الأرضية! وأن مجموع زوايا المثلث ليس ١٨٠ درجة، وإنك إذا سافرت اليوم بسرعة أكبر من سرعة الضوء فسوف تعود إلينا البارحة! لقد أمسك برتراند راسل أنفاسه حين اطلع على نظرية أينشتاين المجال الموحد! حتى إنه قال: تذكرت الملحمة الهندية جلجامش (إنه الموت بعينه.. حين تنفجر ١٠٠٠ شمس فى السماء... إنه يوم الدمار العظيم إنها النهاية). انصرفت بعد أن وعدتهم بلقاء قريب.

■ صباح الخير يا مصر

فى طريقى إلى شجرة الفلاسفة مررت بنهر صغير على شاطئه شجرة عملاقة مصرية جميلة تملأ ريفنا المصرى اسمها أم الشعور يتدلى شعرها الجميل إلى تحت الماء ١٠سم، يسميها الفرنسيون «بلورين» بمعنى الشجرة الباكية؛ لأنهم يصفون شعرها بالدموع! كان حول هذه الشجرة رجال ونساء يبدو عليهم وقار العلم والنظرة البعيدة للحياة والأحياء كان بينهم رجل عريض الجبهة طويل الشعر، وكان يعزف على قيثارة السيمفونية الخامسة لبيتهوفن، ألقيت عليهم تحية الصباح المصرية «صباح الخير» ردوا جميعا: «صباح الخير يا مصر» أكملت مسيرتى إلى شجرة الفلاسفة... قابلت مانيتون المؤرخ المصرى، كان معه سقراط وأفلاطون والفارابى وابن رشد وأبو العلاء قصصت عليهم ما شاهدته تحت شجرة أم الشعور... وهذا الرجل الذى يعزف على القيثارة قال أفلاطون: إنه أينشتاين.. صديقك صاحب نظرية المجال الموحد التى تفسر لنا اختفاء الطائرات والمراكب فى مثلث برمودا.. هيا بنا إلى هناك.. إنها شجرة العباقرة الذين غيروا مسار العالم فى العلوم والمذاهب والأفكار! انتقل المؤرخون والفلاسفة إلى أينشتاين ومن معه.. أمنحتب، وأبولونيوس «مصرى» وأمونيوس «مصرى» وسينموت «مصرى» كان مهندسا للملكة حتشبسوت، وسوسيجينس «العالم المصرى

الفلكى الذى ضبط السنة الشمسية ليوليوس قيصر ٤٥ق.م. ودارون «التطور»، ومندل الوراثة، ونيوتن «الجاذبية»، ودبرك «المادة الضد»، وماكس بلانك «الكم»، وأينشتاين «النسبية»، رحبوا بنا جميعا وقدمنا مانيتون إلى أينشتاين قائلا: جئنا نسمع منك عن نظريتك .U.F.T أو المجال الموحد! تدخلت فتاة حسناء وقالت لنا: أنا لا أفهم النسبية.. فهل تريدون أن تفهموا المجال الموحد؟ ثم اتجهت لأينشتين وقالت: لقد بلبلت العقل البشرى! نحن نعرف أن البعد الواحد هو المسافة، والبعدان هما المساحة، وثلاثة الأبعاد هى الحجوم، جئت أنت وقلت: «الزمن بُعْدٌ رابع» وفى تغيره تتغير المسافات والمساحات والحجوم!

ابتسم أينشتاين وقال: لقد غيرت نظريتى يا فتاتى وأصبحت بُعدًا واحدًا فقط! سألته فى لهفة: ما هو؟ قال لها: هو البعد الذى بينى وبينك!

ضحكنا جميعا واحمر وجه الحسناء الجميل.. قلت لأينشتين: أحب فيك روح المرح والدعابة، ويبهرنى منك أنك أدركت أن الرياضيات أقرب من أى شىء للحقيقة، وأنحنى لك لأنك آمنت بوحدة المجتمع البشرى ورفضت أن تكون رئيسا لإسرائيل مفضلا أن تكون منتميا للأسرة البشرية كلها، أرجو أن تحدثنا عن النسبية والمجال الموحد بأسلوب سهل، قال أينشتاين: كل شئ نسبى؛ الماء مثلا.. لا طعم له عند الإنسان، ولكن له طعم عند القطة عرفنا ذلك بالإشارات الكهربية التى تذهب لمخ القطة عند ملامسة الماء للسانها.. الألوان ليس لها ألوان.. إنما هى ذبذبات

تترجمها الشبكية إلى ألوان.. وإذا أخطأت الترجمة فهذا هو عمى الألوان! العمر نسبى فإذا تركت ابنك فى الخامسة من عمره وانطلقت بصاروخ فى رحلة خمسين عاما وكان عمرك ثلاثين عاما وسرعة الصاروخ ١/١٠٠٠ من سرعة الضوء ستعود بعد الرحلة لتجد عمر ابنك ٥٥ سنة وعمرك أنت ٣١ سنة!

أما إذا كانت سرعة الصاروخ مثل سرعة الضوء فهذا هو الخلود! لن يتقدم بك العمر لحظة واحدة، ولكن لا يتحمل سرعة الضوء إلا الضوء نفسه.. فالخلود إذن للنور وحده... لله وحده... لأنه نور السماوات والأرض ولأنه نور من نور!

قلت لأينشتاين: هنا الدين والعلم يلتقيان... ولكن ماذا يحدث لو أن سرعة الصاروخ كانت أكبر من سرعة الضوء؟ قال: ينكسر حاجز الزمن.. وإذا سافرت اليوم ستعود إلينا البارحة! قلت له يبدو أن أحد الشعراء قرأ نظريتك هذه فقال:

وفتاة جامحة... للفضاء طامحة!

تسبق الضوء إذا تركتنا سارحة!

غادرتنا اليوم ثم أتتنا البارحة!

استطرد لأينشتاين: حتى الوزن نسبى.. ووزنك على القمر أقل من وزنك على الأرض، ولكنه أكثر على المشترى. حتى مشاهدتنا للأحداث.. الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ مثلا هى ماض بالنسبة لكوكب يبعد عنا ٦٦ سنة ضوئية؛ ١٩٣٩–٢٠٠٥، ولكنها

مستقبل بالنسبة لكوكب يبعد عنا ٧٥ سنة ضوئية؛ لأن أحداثها ستصل إليه بعد عشر سنوات!

قلت لأينشتاين: حدثنى عن مثلث برمودا والمجال الموحد... حدثنى عن تجربة فيلادلفيا التى قمت بها ١٩٤٣ وأدت إلى اختفاء المدمرة الدردج بكامل بحارتها فى ضباب أخضر ثم ظهورها فى ثوان فى نورفولك... فرجينيا، ثم اختفت وعادت للظهور فى فلادلفيا!

لقد شاهدك أحد البحارة بشعرك الطويل هذا فقال لزميله: أنا واثق أن أمريكا بها حلاقون. فرد عليه زميله: اسكت يا غبى... إنه العالم الكبير أينشتاين يجرى تجربة على التحول لصورة غير مرئية. وقد أنكرت الحكومة الأمريكية هذه التجربة، ولكن لماذا مات نصف البحارة وطرد النصف الآخر بشهادات طبية تقول إنهم مضطربون عقليًا؟ بل لماذا قتل أحد العلماء الذين كانوا على سطحها فى ظروف غامضة؟ بل لماذا أخفيت وثائق هذه المدمرة؟ قال أينشتاين: لقد كتمت أسرار هذه التجربة وأنا على قيد الحياة بكثير من المجهود، أما الآن فلست خائفا بعصمة الخلود.. سوف أقصها عليكم فيما بعد.

■ تجربة فيلادلفيا

تقابلنا جميعا تحت شجرة أم الشعور المصرية أو البلوزير الباكية، كما يسميها الفرنسيون، كان الحكيم آنى يعزف على الهارب، وأينشتاين على القيثارة وأفلاطون يردد قائلا بصوت خافت:

«علموا أولادكم كيف يتذوقون الفنون، ثم بعد ذلك أغلقوا السجون».

قال أفلاطون بعد انتهاء العزف موجها كلامه لأينشتاين: لشد ما تاقت نفسى لمعرفة التفسير العلمى لقارة أطلانطس المفقودة التى عرفت عنها الكثير من كهنة مصر القديمة، وقد سمعت منكم نظريات مختلفة مثل الثقوب السوداء، الثقوب الزرقاء، المادة النقيضة، الأطباق الطائرة ولم تتبق إلا نظرية المجال الموحد! قلت: وقد وعدنا دكتور أينشتاين الأسبوع الماضى أنه سيكشف لنا عن تجربة فلادلفيا، خصوصا وأنه لم يعد خائفا من الحكومة الأمريكية بعصمة الخلود! قال أينشتاين: قل لى أولا كيف عرفت هذا السر المكنون؟ قلت: الباحثان وليم موور، وتشارلز بيرلتز قابلا موريس جسب عالم الرياضة والطبيعة الفلكية الذى وصلته خطابات من كارلوس اللاندى، وقد كان بحارًا على مركب أندرو فيورست قريبا من المدمرة الدردج ١٧٣ التى أجريت عليها

تجربة فلادلفيا، قص اللاندى كيف شاهدكم كما شاهد القضبان الحديدية العملاقة وحولها أسلاك الحديد الحلزونية ومحطة الكهرباء تولد مجالاً كهرومغناطيسيًّا رهيبًا، اختفت المدمرة الدردج فى ضباب أخضر كثيف، ثم عادت للظهور مرة أخرى بعد بضع دقائق! ويقول كارلوس اللاندى إن التجربة كانت نجاحا ساحقا بالنسبة لنظرية المجال الموحد، لكنها كانت فشلا ذريعا بالنسبة للبحارة الذين كانوا على سطحها، نصف البحارة ماتوا.. اثنان ذهبا إلى اللاشيئية... اختفيا! اثنان اشتعلت فيهما النار بمجرد حملهما للبوصلة! أحدهما سار مخترقا جدار منزله واختفى! حتى كارلوس نفسه اختفت يده من أمامه حين تعرضت للمجال الكهرومغناطيسي ثم عادت للظهور بعد بضع دقائق! بدا على وجه أينشتاين التأثر العميق ثم سألنى: وماذا عن دكتور موريس؟ قلت له: لقد أخبر موريس صديقه فالنتين بأنه قد توصل لمعادلات المجال الموحد، وسينشرها فى كتاب قريبًا ولكنه وجد منتحرًا! هكذا يقولون! داخل سيارته بعد أن وصل عادم السيارة بخرطوم داخل السيارة!! وكان ذلك فى ١٩٥٩/٤/٢٠.

سألنى أينشتاين: ألم يكن هناك شهود آخرون على تجربة فلادلفيا؟ قلت له: كان هناك فالنتين صديق كارلوس شاهد ضبابًا أخضر كالذى يشاهده الناجون من مثلث برمودا. وكان فيكتور سيلفرمان على ظهر الدردج ١٧٣ حين وجد نفسه فى ضباب عميق وحين انقشع الضباب وجد نفسه فى نورفولك، ثم

وجد نفسه فى فلادلفيا، دخل المستشفى بعد ذلك وظل بها ستة أشهر! كان فيكتور مهندسًا بحريًا وأصيب بنوبات قلبية ثلاث مرات، أيضا تونى ويلز الذى شاهد المدمرة فى نورفولك، وكان هو على الشاطئ، أيضا أنا جسلنجر صديقة أحد البحارة الذين تعرضوا للكارثة، ماتت فى ظروف غريبة! كارلوس اللاندى اختفى! صفحات جريدة وورلد تليجرام التى وصفت الحادث.. اختفت! باتريك ماسى شاهد فيلمًا تسجيليًّا عن تجربة فيلادلفيا حين كان أمينا على وثائق المدمرة! جيم لورتزن مدير هيئة دراسة الظواهر الجوية لديه اعترافات كارلوس كاملة! حتى المدمرة بيعت لقبرص باسم ليون! ولكن أحد البحارة هناك أخبر جريفن بأن هذه هى المدمرة التى جعلها الأمريكيون غير مرئية فى الحرب العالمية الثانية! قلت لأينشتاين: لقد آن الأوان لأن تفسر لنا علميا تجربة فيلادلفيا هذه؟! قال أينشتاين: إن نظريتى عن المجال الموحد ١٩٢٥-١٩٢٧ تقوم على أن القوى الكونية ثلاثة:-

١- كهرومغناطيسية.

٢- جاذبية

٣- نووية

ولأن القوانين واحدة... سواء فى الكهرباء أو المغناطيسية أو الجاذبية أو النووية ولأنه يمكن تحويل الكهرباء إلى مغناطيسية أو المغناطيسية إلى كهرباء إذن يمكن بالكهرباء إلغاء الجاذبية الأرضية مثلا! ومن هنا كانت فكرة المجال

الموحد، قانونا يجمع الكل فى واحد! تعاقدت مع البحرية الأمريكية (واشنطن دى سى) من ٣١-٥ -١٩٤٣ حتى ٣٠-٦-١٩٤٤ وفى ذهنى شيئان:-

١- القنبلة الذرية.

٢- الاختفاء (للدفاع) لأنى توصلت إلى قناعة أنه يجب القضاء على هتلر، وقد كانت نتائج تجربة فيلادلفيا خطيرة حتى إنى دمرت المعادلات الرياضية للمجال الموحد قبل وفاتى بسنتين! لقد أدت زيادة التردد المغناطيسى إلى تحول فى التركيب الجزيئى للمادة. وهذا بدوره أدى إلى اختفائها، بل والاتصال بعوالم أخرى بها حضارات أخرى! حتى إن بعض البحارة الذين نجوا قالوا إنهم تحدثوا إلى مخلوقات غريبة! قلت لأينشتاين: إن صديقك برتراند راسل اطلع على استخدامات المجال الموحد فى المخابرات البريطانية فأصيب بالرعب الذى هزه من الأعماق حتى إنه أعد مانيفستو من أجل السلام العالمى وكنتم أول الموقعين عليه، وأوبنهايمر! قال أينشتاين: لأول مرة يستطيع الإنسان أن يدمر نفسه والكوكب الذى يعيش عليه!! انصرفت وأنا أردد قول الشاعر:

داؤك منك ولا تبصر ودواؤك معك ولا تشعر

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

■ الطريق الصحيح للعلم

فى لقائى الأسبوعى فى حديقة مصر الفرعونية قابلت المؤرخ المصرى مانيتون، وجدته فرحًا متهللاً بادرنى بالسؤال: هل زرت مدينة مبارك للبحث العلمى فى برج العرب؟

قلت: لا، قال: إنها مدينة علمية مقامة على مائة فدان أنشئت عام ١٩٩٣ للتركيز على مجالات معينة فى البحث العلمى مثل الهندسة الوراثية، الطب الجزيئى، الطبيعة الفلكية، الثورة المعلوماتية، هذا الصرح العلمى الشامخ المبنى على هيئة أهرامات ثلاثة لم أر فى حياتى أجمل منه... لقد وضعتم أرجلكم على بداية الطريق الصحيح... العلم، وجذوركم التاريخية!

قلت له: أرجو أن تزور المحكمة الإدارية العليا فى طريق المعادى بأعمدتها الفرعونية الجميلة وكأنها أعمدة الكرنك! قال مانيتون: وهل يفوتنى مثل هذا البناء الجميل.. إننى أتابع أخباركم أولاً بأول وقد سعدت بالتغيرات الشاملة فى مناهج التاريخ والتركيز على الحقب الفرعونية التى أهملت منكم طويلاً، كما عرفت أن هناك برامج لتعليم اللغة المصرية القديمة على القناة الثامنة. كما كنت حاضرًا فى اجتماعكم روتارى جنوب القاهرة مع أ.د. حسين كامل بهاء الدين وقد أسعدنى كثيرًا حين قلتم للسيد الوزير: كيف نعلم العبرية واليابانية ولا نعلم

المصرية؟ كيف نقف أمام تاريخنا المكتوب على جدران المعابد والمسلات ولا نفهم شيئًا؟! كما سرنى اجتماعك مع السيد وزير التعليم فى وزارته واقتراحك بحصة للقيم الإنسانية كالرحمة والحب والسماحة والعطاء والتضحية وتدعيم هذه القيم من الديانات السماوية حيث لا ينفصل طالب عن طالب بسبب العقيدة، والتى هى بداية الفرقة والاختلاف!

قلت لمانيتون: يبدو أنك تؤرخ لمصر الحديثة كما أرخت لمصر القديمة، ولى رجاء عندك كما لى عتاب.. أما الرجاء فهو أن تتحدث إلى السيد الوزير صفوت الشريف أن يعقد اجتماعًا مع وزير الإعلام الإسرائيلى حتى نأخذ أهراماتنا الثلاثة من على شاشات تليفزيوناتهم ونعطيهم نجمة سداسية، أما الصقر فنهديه لأية دولة عربية، أما العتاب فهو عدم حضورك مؤتمرنا عن «الإعاقة... التشخيص المبكر والعلاج» «الذى عقدناه فى أسوان! قال مانيتون: كنت فى جولة فى ربوع مصر، ولكننى سمعت أنكم تناولتم الإعاقة فى مصر الفرعونية... خبرنى ماذا قلتم فى مؤتمركم هذا... الذى طلب فيه السيد الدكتور وزير الصحة أن تحاضروا الأطباء عن مصر الفرعونية مرة كل أسبوع.

قلت: لقد سعدت جدًا بهذه الدعوة وقد تحدث عن الإعاقة فى مصر الفرعونية أ.د. محمد عقل مستشار جراحة العظام.. كما تحدثت أنا كمستشار لجراحة المسالك فى نفس الموضوع، لقد تحدثنا عن الإعاقة فى الحركة وكيف كنتم تعالجون شلل الأطفال بالرقص على نغمات الموسيقى كنوع من أنواع العلاج

الطبيعى لتقوية العضلات، ولا يخفى علينا طبعا أنكم أنتم الذين وضعتم لنا السلم الموسيقى الخماسى ثم السباعى، وقد لاحظ إليوت سميث انتشار الأمراض الروماتيزمية فى مصر... وقد قرأنا لكم فى إحدى البرديات التى تعلم طلبة الطب (اطلب من المريض الذى يشكو من رقبته أن يحاول رؤية بطنه فإذا لم يستطع قل هذا (ستت) فى الرقبة؛ أى روماتيزم فى الرقبة.. دلك عضلات رقبته بالزعفران... كما وصفتم الشلل الرباعى نتيجة كسر فى فقرات عنق الرقبة وعرفنا أنكم كنتم تشرحون الجثة لمعرفة سبب الوفاة بدليل وصفكم لكسر العنق الذى يؤدى للشلل الرباعى ثم الوفاة (تجد الفقرة الأعلى مغروزة فى الفقرة الأسفل كما تغرز القدم فى الأرض المزروعة) وكنتم تجبرون الكسور بجبائر خشبية أو جبس أو طمى يأخذ شكل الساق أو الذراع ويجفف فى الشمس وكان اسمه عندكم «آدوب»، ومنها جاءت كلمة طوب! وأحيانا كانت الجبائر كتانا يوضع عليه غراء أو زلال البيض حتى يجف.. كما عرفنا أنكم وظفتم الإعاقة فى صالح المجتمع أحيانا كالأقزام.. أمناء على خزائن المال حتى إذا اختلس أحدهم يسهل القبض عليه من وسط الملايين، أما الإعاقة فى العيون وأمراضها فقد وظفتم العميان فى الموسيقى، وجدران المعابد ترينا العميان وهم يعزفون على الهارب وقد عالجتم المياه البيضاء باستخراج العدسة المعتمة بشفطها بأنبوبة رفيعة من فتحة دقيقة فى عين المريض، كذلك تحدثنا عن الإعاقة فى الغذاء وكيف عالجتم العشى الليلى الناجم عن نقص الغذاء المحتوى على فيتامين (أ)

بكبد الثور؛ لأنه غنى جدًّا بهذا الفيتامين، أما السمنة فكانت عندكم أسوأ أنواع الإعاقة وكنتم ترونها دليلا على ترهل الأمة وكسلها!

قال مانيتون: لقد قرأت لأستاذكم العظيم عباس محمود العقاد قوله: «انظر إلى نفرتارى.. إنها تكاد تطير من فرط الخفة والرشاقة.. وهذا هو الجمال المصرى القديم الذى عاد إليه العالم فى القرن العشرين» ابتسمت.. سألنى مانيتون: علام تبتسم؟ قلت: تذكرت مقاييس الجمال عند أحد الشعراء:

أسوارهن صوامت لأن ذراعها شبعى، خلاخيلهن صوامت، لأن سوقهن (جمع ساق) شبعى وإذا نهضن تعثرن لثقل أردافهن!

أيضا هذا الشاعر الذى تغزل فى جمال حبته؛ أى حبيبته فقال:

من كحبتى كالبدر إذا بدا

تمر اليوم فتمر أردافها غدا

ضحك مانيتون وقال: إنها أمزجة الشعوب

■ العين مرآة الروح

افتتح مانيتون المؤرخ المصرى الجلسة الخاصة بالعيون فى مؤتمر الهوية والانتماء المنعقد فى قاعة المؤتمرات الكبرى بحديقة مصر الفرعونية قائلا: يسعدنى اليوم أن أقدم لكم ثلاثة من علماء البصريات والعيون:

١- سنو إرتى حريحور (طبيب العيون).

٢- ابن الهيثم عالم البصريات الذى عاش وأبدع ومات فى بلدنا الحبيبة مصر.

٣- ديزموند موريس الذى تخصص فى لغة الجسد خاصة العيون.. والكلمة الآن لسنو إرتى حريحور: أيها السيدات والسادة لقد عرفنا العيون الصناعية وكنا نصنعها من الزجاج أو الألباستر كما ذكرت بردية إيبرز ١٥٢٥ ق.م، الدموع المستمرة، السحابة، التراكوما، وكنا نسميها عدم انتظام سطح الملتحمة، الشعرة، التهاب الجفون، قرحة القرنية، العشى الليلى، وكنا نستخدم الكحل الأخضر لالتهاب الجفون لوجود عنصر النحاس كما استخدمنا العسل الأبيض؛ لأنه قاتل للميكروبات فى العين، كما استخدمنا القطرات بواسطة ريشة من جناح الإوز كما استخدمنا كبد الثور لعلاج العشى الليلى؛ لأنه غنى بفيتامين (أ) كما حضرنا ١٨ نوعا من مراهم العين التى تحتوى على النطرون

أو الشب أو كربونات النحاس أو الآلسين (مضاد حيوى فى الثوم) أو الرصاص أو الأنتيمون أو المنجنيز كما أدخلنا هذه الكيماويات فى أنواع الكحل المختلفة كما أجرينا جراحات الشعرة، دمل الجفن، المياه البيضاء، وكما يقول سيجريست ١٩٥١ إن استخدامنا للعقاقير بالجرعات المضبوطة كان رائعًا وأخيرًا كنا نؤمن بالعين أو الحسد؛ لذا كنا نضع التمائم على هيئتها، وقد أثبت العلم الحديث أنك لا تستطيع أن ترى مخ الإنسان إلا خلال العين، وأن الشر الذى فى مخ الشرير يخرج من عينيه ويؤدى خلال تحول الطاقة النفسية الشريرة إلى طاقة مدمرة مادية، والتى يطلق عليها علماء الباراسيكولوجى ظاهرة الـP.K ؛ أى Psycho- Kinesis ويسعدنا أنكم تستخدمون تمائمنا حتى الآن. وشكرًا (تصفيق حاد).

تقدم عالم البصريات ابن الهيثم وقال: لست غريبًا عن مصر، ولدت فى البصرة منذ عشرة قرون. اتجهت لدراسة الفلسفة والعلوم، اتهمونى بالزندقة! فررت إلى بغداد ٩٩٤ ميلادية عملت بنسخ الكتب المترجمة إلى العربية عن اليونانية، والتى كانت مترجمة عن الهيروغليفية، الهندية، الفارسية، أشعلوا النار فى كتابى «الهيئة» وكان عن علم الفلك، هربت من بغداد إلى الشام ومنها إلى مصر بلد العلم والعلماء، تعرفت على العالم الفلكى المصرى ابن يونس صاحب المعادلة التى دخل بها التاريخ.. حظى السيئ أوقعنى فى زمن الحاكم بأمر اللّه، توقف الفيضان أربع سنوات حدثت مجاعات.. طلب الحاكم منى أن أبنى سدًّا عند

الأقصر، نصحتنى أخته ست الملك بأن أعتذر وإلا لكان الفراعنة بنوا السد وهم أصحاب هذا المعمار الشاهق، قلت للحاكم هذا مستحيل، اضطهدنى.. كما أذاق شعب مصر المسكين الأمرين، تظاهرت بالجنون ثلاث سنوات، أرسل حراسه وأحدثوا ثقبًا فى جدار بيتى لمراقبتى، ومن هنا وضعت فكرة صندوق التصوير الفوتوغرافى، كما كنت أول من قال إن الضوء له سرعة، كما وضعت تسعة قوانين فى علم البصريات، وأخيرًا قتل الحاكم بأمر الله على يد ابن دواس بتحريض من أخته ست الملك، عدت إلى حياتى الطبيعية، كنت أدرس للطلاب هندسة إقليدس وسائر الترجمات، وكان أعظم كتبى هو «المناظر»، وأخيرًا أسلمت الروح فى القاهرة عن ٧٤ عامًا (تصفيق حاد).

جاء ديزموند موريس قال: إن العين حقًا هى مرآة الروح كما قال شكسبير، راقب من حولك، إذا كان أحدهم يتحدث والسامع يحك جانب عينيه أو ينظر للأرض إذا كان رجلاً أو تنظر لفوق إذا كانت امرأة.. فهذا يعنى أن السامع لا يصدق المتحدث! والعيون أنواع؛ زجاجية كعيون الأفعى خبيث، أو كعيون الأطفال برئ، أو عيون تذهب وتجئ محتال، وقد أجريت دراسة بالفيديو؛ إذا نظر إليك أحد أقل من ثلث الوقت الذى قضاه معك فهو غير أمين، ولكن أكثر من ثلثى الوقت مع اتساع الحدقتين فهو محب لك، أما إذا كان أكثر من ثلثى الوقت مع ضيق الحدقتين فهو ينوى لك شرًا!

وقد عرفنا إذا أغلق أحد عينيه وهو يسمعك، فهذا يعنى أنه قد مل حديثك، أو أنه يشعر بالاستعلاء عليك، أما إذا أغلق عينيه ومال برأسه للوراء فعليك بمغادرة مكتبه فورا!

أما النظرة الجانبية مع رفع الحاجب فهذا استحسان، وأما النظرة الجانبية مع تقطيب الحاجب فهذا عداء واستهجان.

أما إذا تقدمت واحدة للعمل وفى المقابلة كان صاحب العمل ينظر لها فى مثلث قاعدته عينيها ورأس المثلث جبهتها فهذه نظرة عمل، أما إذا كانت قاعدة المثلث عينيها ورأس المثلث ذقنها فهذه نظرة اجتماعية، أما إذا كانت قاعدة المثلث عينيها ورأس المثلث ٢٠ سم تحت ذقنها، فأغلب الظن أنها قد حصلت على الوظيفة!

إن لغة الجسد يا أصدقائى ليس المقصود منها معرفة أسرار الناس، بل هى تواصل إنسانى أجمل وأعمق.

تصفيق حاد.. شكر مانيتون المتحدثين وانتهت الجلسة وسط الابتسامات والتحيات.

خت‌ان الإناث

افتتح مانيتون المؤرخ المصرى القديم مؤتمر مصر.. الهوية والانتماء بقاعة المؤتمرات فى حديقة مصر الفرعونية قائلا: أسعدنى كثيرًا صدور قانون الأحوال الشخصية الجديد.. وحبذا لو أصدر مجلس الشعب قانونًا يجرم ختان الإناث، والتى أصبح اسمها الآن تشويه أعضاء الأنثى التناسلية أو Female Genital Mutilation ، ويسعدنا وجود ول ديورانت مؤلف موسوعة «قصة الحضارة»، وعالمى المصريات إليوت سميث وماسبيرو.. تقدم ديورانت وقال: منذ عشرات الآلاف من السنين.. خاف الإنسان البدائى الظواهر الطبيعية كالزلازل والبراكين والعواصف.. حتى الشمس والقمر.. فصنع إلهًا لكل ظاهرة من هذه الظواهر، وكانوا يتقربون لهذا الإله أو هذه الإلهة بالتضحيات.. بالدم.. فكانوا يقدمون أفضل ما عندهم.. رئيس القبيلة.. ثم امرأة.. ثم طفلاً.. ثم جزءًا يمكن الاستغناء عنه من هذا الطفل (الغلفة) لإسالة الدماء وإرضاء الآلهة.. ومن هنا بدأت فكرة ختان الذكور، وقد استمرت هذه العملية فى مصر الفرعونية، وهناك لوحة فى سقارة الأسرة الخامسة ٢٤٠٠ قبل الميلاد مرسوم عليها كما هو مكتوب أيضا كيف كان القدماء يخدرون الغلفة للصبى البالغ بثانى أكسيد الكربون الناجم من إضافة الخل بتركيز معين على رخام من حجر ممفيس، ويقوم

الطبيب أو الكاهن بقطع الغلفة والصبى واقف مستند إلى مساعد الطبيب، انتشر هذا الطقس من الأسرة المالكة إلى النبلاء ثم إلى باقى أفراد الشعب.. وحين جاء اليهود إلى مصر أخذوا هذه الطقوس عنا، كما أخذوا التوحيد من جامعة أون، كما أخذوا من أناشيد أخناتون وأمثال الحكيم آنى (جيمس هنرى برستد).. أما ختان الإناث فيحدثكم عنه عالم المصريات إليوت سميث.. شكرًا لكم.. تصفيق حاد..

تقدم إليوت سميث من المنصة وقال: لقد نسى صديقى ول ديورانت أن يخبركم أن التضحيات تطورت إلى التضحية بالحيوان بدلاً من الإنسان..ولعلكم تذكرون كبش أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام بدلاً من ابنه.. ومازلنا نؤدى هذه الأضاحى حتى الآن.. أما موضوع ختان الإناث.. فهو مسألة جغرافية وليست دينية.. فمثلا بنات الحبشة ١٠٠٪ مسيحيات ومختتنات، والسعودية ١٠٠٪ مسلمات وغير مختتنات...!

وهذه العادة البربرية نشأت فى إفريقيا بسبب مفاهيم جنسية خاطئة.. وقد كتبت أن طهارة البنات لم تكن معروفة فى مصر الفرعونية، وما بدا من بعض المومياوات أنه طهارة، كان استئصال أعضاء الحوض مع الأعضاء التناسلية الخارجية ما عدا الشفرين الكبيرين عند التحنيط، كما أن وضع ملح النطرون لمدة أربعين يومًا على جسد المتوفاة كفيل بأن يجعل البظر والشفران يتآكلون أو يختفون... شكرا لكم.. تصفيق حاد.

تقدم من المنصة عالم المصريات ماسبيرو، والذى عاش فى مصر قائلاً: لقد فحصت مومياء الملكة المصرية أنهابون.. كانت الجثة سليمة بها البظر والشفران الصغيران والكبيران، ثم إن هيرودوت.. حدثنا عن ختان الذكور ولم يذكر شيئًا عن ختان الإناث فى مصر، وقد لمحت وسط الحضور الأستاذ الدكتور محمود كريم- أطال الله فى عمره - وهو أستاذ النساء والتوليد فى جامعة عين شمس، وله كتاب قيم صدر أخيرًا بعنوان «تشويه أعضاء الأنثى التناسلية».. وهذا الكتاب بالإنجليزية، وأتمنى أن نسمع منه عن هذا الموضوع.. تقدم أ.د محمود كريم وقال: إذا أردنا أن نعامل الطفل الذكر كما نعامل الطفلة، فعلينا باستئصال القضيب وليس الغلفة (الجلدة)؛ لأن البظر هو تشريحيًا مثل القضيب تمامًا باستثناء مجرى البول.. يقولون عن هذه العملية الوحشية طهارة أى نظافة وهى فى حقيقة الأمر تؤدى إلى القذارة لأن سرسوب البول يبلل جسم الطفلة بدلا من الاندفاع خارجًا!

كما يقولون إن هذا العضو المجنى عليه يحتك بالملابس الداخلية وبالتالى يؤدى للإثارة، وهذا منتهى الجهل؛ لأن هذا العضو قد يكون بارزا فى سن الرابعة ولكنه يختفى تمامًا عند البلوغ فى ١٠٠٪ من الفتيات.. أضف إلى ذلك أن الإثارة تأتى من المخ.. وليس من الاحتكاك، وإلا لكنا طبقنا نفس العقوبة أو الوقاية على الرجال... كلمة أخيرة.. ألم يقرأ هؤلاء قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين -٤] . شكرا لكم.. تصفيق حاد.

تقدم مانيتون وقال: شكرًا لديورانت، وإليوت سميث... وماسبيرو.. ومحمود كريم.. وأوجه ندائى لأطباء مصر - وهم قلة الذين يجرون هذه العملية البربرية التى لا وجود لها فى كتب الجراحة - صحيح أن هذه العملية أجريت فى إنجلترا فى عصر الملكة فيكتوريا لعلاج الهستيريا ومنع البنات من ممارسة الإشباع الذاتى، حتى إن دكتور إسحق براون ١٨١٢- ١٨٧٣ نشر بحثًا عن علاج الصرع والهستيريا باستئصال البظر، بيد أنه حين انتخب رئيسًا للمجلس الطبى فى لندن، طرد من المجلس والجمعية البريطانية للولادة بسبب بحثه آنف الذكر.. وأتمنى اليوم الذى يحرم فيه أى طبيب فى مصر من ممارسة مهنة الطب المقدسة... إذا مد يده ليشوه ما خلقه الله فأحسن خلقه وتقويمه.. أشكركم جميعًا... تصفيق حاد.

■ الهندسة الوراثية

افتتح مانيتون المؤرخ المصرى القديم مؤتمر مصر.. الهوية والانتماء، فى قاعة المؤتمرات الكبرى بحديقة مصر الفرعونية الجلسة الخاصة بالعمر والشيخوخة قائلاً: أيها السيدات والسادة... لعلكم تذكرون كلمات حكيمنا المصرى القديم آنى القائلة: آفة عمر الإنسان هى الشيخوخة، كما نقلت إلينا وكالات الأنباء أن التليفزيون الفرنسى يذيع برنامجًا بعنوان «التاريخ الحقيقى للمومياوات» يتناول البرنامج أسرار التحنيط من الناحية العلمية والكيميائية من خلال فيلم وثائقى، كما نقلت إلينا وكالات الأنباء منذ بضع سنوات.. أن مومياء الأميرة المصرية مينى المحفوظة فى الولايات المتحدة الأمريكية.. لا تزال خلاياها حية!! وأن عملية التحنيط كانت حفظ الحياة داخل الخلايا وليس حفظ الخلايا من التحلل! ويسعدنا وجود العالم روبرت شاين شايمر الذى قاد المظاهرات ١٩٧٥ فى الولايات المتحدة الأمريكية مطالبًا بإغلاق معامل الهندسة الوراثية؛ لأنها أشد خطرا من القنابل النووية، وكانت المظاهرات تحمل شعارات (اليوم ضفدعة.. غدا الإنسان) وذلك بعد نجاح المعامل فى إنجلترا وأمريكا وفرنسا وسويسرا فى استنساخ الضفادع منذ ١٩٧٠ !!

والآن الكلمة للعالم روبرت شاين شايمر قال: نعم نجحت بعد حملتى هذه فى إغلاق معامل الهندسة الوراثية سنتين ونصفًا.. أى حتى يونية ١٩٧٧، ولكن تشارلز وايزمان قاد حملة مضادة..

كان شعارها (العلم يرشد ولا يعوق) حتى استجاب الرئيس جيمى كارتر، وفتحت المعامل بعد وضع لوائح وشروط ورقابة صارمة على المعامل التى تنتج كائنات جديدة.. المهم... لقد اكتشفنا أن عمر الخلايا السرطانية عشرة أضعاف الخلايا الطبيعية، كما عرفنا أن العمر الطبيعى لأى كائن حى من الثدييات يخضع لقانون «المعامل خمسة»؛ أى أن العمر خمسة أضعاف الزمن الذى يأخذه هذا الكائن فى اكتمال نمو هيكله العظمى.. أى تتحول الغضاريف إلى عظام؛ فمثلاً الحصان ٤×٥= ٢٠سنة، والكلب ٣×٥= ١٥ سنة، والفيل ١٢×٥=٦٠ سنة، والإنسان ٢٣×٥= ١١٥ سنة، وقد وجدنا ٥٠٪ من سكان الهيمالايا وأكوادور وقوقازيا.. فوق سن المائة. أما نحن وأنتم فأعمارنا مقصوفة بسبب التلوث وهموم الحياة.. والابتعاد عن الطبيعة.. لماذا تموت الخلايا بعد المائة؟ باختصار شديد.. شمعة الحياة داخل الخلايا تحترق واسمها العلمى تيلومير TELOMERE وسبب احتراقها.. أنزيم اسمه تيلوميراز.. فإذا أخرنا احتراق الشمعة طال العمر، وبنهاية هذا القرن سيكون متوسط العمر ٣٠٠ سنة ومن يَمُتْ فى سن الـ٢٠٠ فقد مات شبابًا.. أعتذر إذا كنت قد أجهدتكم ببحوثنا العلمية.. والكلمة الآن لمارك توين لعله يضفى شبابًا على الشيخوخة بخفة ظله المعروفة.. تقدم مارك توين.. قال: العمر يا أصدقائى ليس كمية.. بل نوعية وما لم نسعد بحياتنا فهى ليست جديرة بأن نحياها.. ثم إن أى عمر تقصدون؟ هناك العمر الزمنى أى (شهادة الميلاد) وهناك العمر

البيولوجى.. رجل فى الثمانين صحيح سعيد.. أصغر من رجل فى الستين مريض تعيس، وهناك العمر النفسى وهو إحساسك بالسن، وهناك السن العقلية، وهناك السن العاطفية.. وهناك عمر الذاكرة.. أنت شباب إذا كانت ذاكرتك قوية مهما كانت سنك، وهناك العمر الذى يقاس بأثر الجنس الآخر عليك.. فإذا كانت المرأة تسعدك وتشقيك فأنت شباب مهما كانت سنك.. وإذا كانت تسعدك ولا تقدر أن تشقيك، فأنت فى الستين مهما كانت سنك، وإذا كانت لا تقدر أن تسعدك ولا تشقيك فأنت ١١٥ سنة مهما كانت سنك ! ضج المؤتمر بالضحك.. شكر مارك توين الحاضرين، تقدم باتريك ديكسون مؤلف كتاب «ثورة الجينات» قائلاً: أشكركم على دعوتى لهذا المؤتمر الكبير.. أيها المصريون.. ستقيم الهندسة الوراثية أجدادكم العظماء من خلاياهم الجسمية، وهذا هو الاستنساخ.. سترون تحتمس الثالث مؤسس الإمبراطورية المصرية.. سترون سقنن رع الذى استشهد فى حرب التحرير من الهكسوس، سترون أحمس وكامس، سترون الأميرة مينى والملكة حتشبسوت، (إذا وجدنا جثمانها) لا تعجبوا فقد استطاعت الهندسة الوراثية أن تنتج شجرة جوز هند فى طول الإنسان حتى لا يقع من فوقها، كما استطاعت إنتاج نفس الشجرة بثلاثة أضعاف طولها الأصلى حتى تبنى أمريكا فى جزر هاواى مبانى بطولها!!! (القانون هناك يحرم بناء أى مبنى أطول من شجرة جوز الهند) كما توصلنا للبقرة المضحكة؛ جلدها صوف خروف، ومعدتها معدة خنزير (معدة قوية)، ولبنها لبن بشرى!! نحن فى

طـريـقـنـا لـعـمـل إنسـان يـأخـذ غـذاءه مـن الشـمس! حين نـكسب الـهيموجلوبين صفة الكلوروفيل.. فيحول ثانى أكسيد الكربون والماء إلى مواد سكرية ونشوية بواسطة الطاقة الشمسية !! ولكنى قلق جداً حين يلتقى الأجداد بالأحفاد.. ويعرفون أنكم تتهمونهم بعبادة الأوثان! بينما الخالق عندهم خانوم الذى خلق الإنسان (آتوم) من فخار!! وآتوم هذا هو آتم أو آدم.. الذى أنجب أخوين وأختين... أوزوريس وست (الأخ الشرير القاتل مثل قابيل)، والأختان إيزيس ونفتيس (نفيسة الآن).. كما عرفوا البعث والحساب.. والثواب والعقاب.. والميزان والصيام، والصلاة التى تبدأ بـ (أيها الواحد الأحد.. الذى يطوى الأبد يا مخترق الأبدية.. أنت الأب والأم ليس لك والد أو ولد).

ويعد ذلك تقولون عباد أوثان !! حقًا تهلك الشعوب من قلة المعرفة !!

■ ما وراء الطبيعة

افتتح مانيتون رئيس المؤتمر - مصر الهوية والانتماء - قائلاً: أيها السادة الحضور من كافة أنحاء المعمورة.. نريد أن نتحدث اليوم عما وراء الطبيعة فى الثقافات المختلفة.. لقد آمنا بأن الإنسان ثلاثة ١- الجسم الذى نراه. ٢- الروح التى تصعد إلى النجوم.. وكنا نسميها الـ با.. وأخيرًا ٣- الجسم الأثيرى أو القرين (قرين الجسد) وكنا نسميه الـ كا.. وهو الذى يظل يحوم بين القبر والأرض كوجود طيفى يماثل تمامًا شكل صاحبه أو صاحبته.. ويسعدنا وجود العالم الكبير ول ديورانت صاحب موسوعة قصة الحضارة، كما يوجد معنا دكتور ريموند مودى صاحب كتاب حياة بعد الحياة. أيضًا معنا العالم البريطانى الشهير سيمون إدموندز صاحب أخطر كتاب، ألا وهو نظرة فاحصة فى الروحيات «Critical Survey in Spiritualism»، يسعدنا أن نسمعهم جميعًا.. وليتفضل مستر ول ديورانت..! قال: أنتم تعرفون اهتمامى بالتاريخ..بل بما قبل التاريخ، أعنى فكر الإنسان البدائى منذ عشرات الآلاف من السنين! خاف الإنسان البدائى الموت.. وخاف أكثر حين كان يرى المتوفى فى الأحلام.. ولاحظ أن الفرق بين الموت والحياة هو التنفس فسماه.. الريح (هواء) أو الروح، ويؤكد هذا اللغات الأخرى.. أن Spirit من Respiration أى تنفس.. إذن فالروح لغويًا معناها التنفس..! آمن الإنسان

البدائى بالروح وخافها.. لدرجة أنه كان يخرج الجثة من الدار خلال ثقب فى الحائط ثم يدور بها حول الدار ثلاث دورات سريعة لكى تنسى الروح أين المدخل إلى تلك الدار فلا تعاودها أبدًا (ديورانت مجلد ١ص١٠٠)، وكان يدفنه بعيدًا عن مسكنه ويحيط مدفنه بالنباتات الشائكة (الصبار) حتى لا يأتى إليه ليلاً..! وبلغ إيمانه بالروح إلى درجة أنه إذا أراد توصيل رسالة للمتوفى.. كان يأتى بعبد يملى عليه الرسالة ثم يقتله حتى تذهب روح العبد بالرسالة إلى روح المتوفى ! ثم جاء أجدادكم فارتقوا بهذا المفهوم حين لاحظوا أن البذرة لا بد أن تدفن حتى تولد من جديد.. وهذا هو الخلود.. فآمنوا بأن الـ با تذهب للنجوم (السماء) حيث الثواب والعقاب... إما جنة بها أنهار من لبن وخمر مقدسة.. أو جحيم من نار لا تطفأ وحيوانات مفترسة. أما الـ كا (الجسم الأثيرى أو القرين) فكان يعتريه الجوع والعطش... لذا تركوا الطعام والشراب بجوار المتوفى أو المتوفاة، كما تركوا الكتب.. والآلات الموسيقية.. حتى يجلبوا الفرح للراحلين الأعزاء... أما الجسم المادى فقد حافظوا عليه بقدر الإمكان (التحنيط).. حتى يقوم عند البعث.. كان هذا منذ الآف السنين.. بينما لم تشر التوراة إلى الحساب أو الثواب أو العقاب؛ أعنى الجنة والنار، إلا فى القرن الثامن قبل الميلاد.. أما قبل ذلك فكان هناك شيول أو أرض الظلام! شكرًا لكم.. تصفيق حاد.

تقدم دكتور ريموند مودى.. وقال: جمعت ١٦٠ حالة من الحالات التى وصلت للمستشفيات بعد أن فارقتها الحياة.. ثم

ارتدت إليها بعد الإسعافات الطبية.. وأجريت بحثًا عليها مكونًا من ٢٠٠ سؤال.. وقد أجمعوا على أن الموت تجربة لم تعد تخيفهم.. بل وقد شعروا بحلاوتها ! وذكروا أنهم مروا بثلاث مراحل:

١- الطفو.. ويرون أنفسهم على فراش الموت.

٢- النفق الأسود.

٣- الكائن النوراني الذى كان يغمرهم بدفقات من الحب، وأنه كانت هناك لغة مشتركة بينهم وبينه... وأن شريط حياتهم كان يجرى أمامهم بأدق التفاصيل.. ثم عادوا مرة أخرى للحياة بعد أن عرفوا أن الموت ليس بالبشاعة التى كانوا يتصورونها.. ويهمنى أن أسمع رأى العالم الباحث الناقد سيمون أدموندز فى هذا الموضوع، كما أحب أن أسأله عن هؤلاء المشتغلين بعلم الأرواح أو تحضير الأرواح.. شكرًا لكم.. تصفيق حاد.. تقدم سيمون أدموندز قائلاً كيف غاب عن صديقى العزيز دكتور مودى وهو طبيب.. أن هذه الظواهر إنما هى شخصية وليست موضوعية؛ أعنى أنها بسبب حرمان المخ من الأكسجين وليس لأنها موجودة حقًّا.. هل يعلم دكتور مودى أنه إذا خدر مريضًا بمخدر اسمه كتلار (كبريتات الكتامين) يرى المريض وهو تحت المخدر.. هذا النفق الأسود !!! ألا تعرف يا صديقى أن الهلاوس منها البصرى أو السمعى أو الحسى.. وهذه الهلاوس محتمل حدوثها.. خصوصًا إذا تعرض المخ لصدمة الحرمان من الأكسجين عند الموت! أما كلمة علم الأرواح فهذا ليس علمًا؛ لأن العلم يبحث فى الموجودات، والروح غيب، كما أن العلم يخضع

للتجربة التى لا تتغير نتائجها بتغير الباحث أو الزمان أو المكان... أما مسألة العاملين فى تحضير الأرواح.. فقد كان زعيمهم وليم روى الذى حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات من أولد بيلى (محكمة) وخرج من السجن يكتب مذكراته فى الديلى ميرور معتذرًا لمن خدعهم وسلب أموالهم.. ولا ننسى هيلين دنكن.. التى كانت قادرة على تجسيد الأرواح بالأكتوبلازم الخارج من فمها، واتضح أنها كانت تمضغ ورق التواليت مع الماء وتحتفظ به فى جيب بالبلعوم (حالة مرضية) ثم تقذف به من فمها على الروح (جسم طفلة) فى ضوء خافت...! قبض عليها وسجنت ثلاث سنوات وماتت بعد خروجها من السجن بستة أشهر، لقد خدع وليم روى ٢٠٠ من علماء إنجلترا!. كما خدعت هيلين دنكن المئات من ضحاياها.! لقد عرضت مبلغ عشرة آلاف جنيه إسترلينى لأى مدع فى هذا الموضوع على شرط أن تخضع التجربة للمكان والزمان اللذين أحددهما،... العجيب أنه لم يتقدم لنيل هذه الجائزة أحد حتى الآن !!

■ الطوفان القادم

افتتح مانيتون المؤرخ المصرى مؤتمر «مصر الهوية والانتماء» قائلا: أيها السادة الحضور أنتم تعلمون أن أفلاطون جاء إلى مصر، وعرف من علمائها - الكهنة - عن غرق قارة أطلانطس، كما أخبروه بأن الله يفنى العالم ثم يعيد خلقه كل عشرة آلاف سنة بالطوفان والزلازل والبراكين، وقد وصل مصر العالم النمساوى ألكسندر تولمان وزوجته العالمة أديث من جامعة فيينا، وقد أجريا بحثًا خطيرًا مؤداه أن طوفانًا عظيمًا حدث الثالثة صباحا بتوقيت وسط أوروبا من يوم ٢٣ سبتمبر وكان ذلك منذ ٩٥٤٥ سنة مضت ! لذا ستكون جلستنا اليوم عن الطوفان، ولكن قبل أن نستمع إلى ألكسندر تولمان أرحب بجورج سميث عالم الأبحاث الأشورية من المتحف البريطانى، والذى سيحدثنا أولاً عن قصته مع الطوفان ! تقدم جورج سميث قائلاً: إن نسيت لا أنسى هذا اليوم؛ كنت فى المتحف البريطانى أترجم لوحات أثرية عليها كتابة مخروطية، وجدت لوحًا من ٦ أعمدة عليه قصة سفينة استقرت على جبل اسمه نسر (أرارات فى سفر التكوين)، وأن حمامة طارت فوق المياه، فلما لم تجد مستقرًا عادت إلى السفينة ! أغمى علىَّ من شدة الانفعال لأننى اكتشفت قصة نوح عند الكلدانيين، أيضًا ذكرت ملحمة جلجامش قصة الطوفان، وكيف أن الله أمر أوبارا توتو أن يهدم بيته، ويصنع

منه سفينة كبيرة ويدخل فيها كل زرع وكل عائلته وأقاربه وكل مواشى الحقول، وأغلق باب السفينة وصار كل الجنس البشرى خارج السفينة طينًا.! وفى اليوم السابع أخرج أوبارا توتو حمامة ولما لم تجد مستقرًا خارج السفينة رجعت، ثم أطلق غرابًا فأكل وتمرغ ونعق ولم يرجع، عرف أوبارا توتو أن الأرض قد جفت،قدم ذبائح للآلهة..، فاستنشقت الآلهة الرائحة الذكية، جدير بالذكر أن الرب تنسم رائحة الرضا فى سفر التكوين.. فكما ترون الحدث قد حدث فعلاً بدليل ذكره فى الكتب السماوية وغير السماوية شكرًا لكم. تصفيق حاد.. تقدم إلكسندر تولمان يقول: أتقدم بالشكر للكرم المصرى، لقد وصلت مع زوجتى لتاريخ الطوفان بالساعة واليوم والسنة خلال بحوثنا الجيولوجية والمتواتر عند الشعوب والكتب السماوية، وقد بدأت كارثة الطوفان بمذنب بسرعة فلكية انقسم إلى ٧ قطع؛ كل قطعة قطرها عدة كيلومترات، اصطدمت هذه القطع العملاقة بالمحيطات، الأطلنطى– الهادى– بحر الصين الجنوبى – جنوب شرق أستراليا، وقطع صغيرة اصطدمت بالأرض، كان من جراء هذا:

١– زلازل لا تقدر بريخترات–عوج سطح الكرة الأرضية – الوادى المتصدع rift valley.

٢– براكين.

٣– عواصف، كانت الأشجار والناس والحيوانات تطير فى الهواء فى دوامات.

٤- حرائق ١٨٠٠ مئوية.

٥- موجات فيضان أغرقت الجبال.

٦- أسبوع من الظلام (سحابة كثيفة من التراب).

٧- شتاء طويل ٣ سنوات لغياب الشمس.

٨- أمطار غزيرة وارتفاع مستوى المحيطات ١٣٥ مترًا.

٩- دمار طبقة الأوزون.

١٠- سقوط الأمطار الحمضية، قدرناها بـ ٢٦٠ مليون طن أحماض نزلت على العالم (حامض نيتريك من الصخور التى اشتعلت وطارت ثم تفتتت ونزلت مع الأمطار)، كادت البشرية أن تفنى.. اندثر حيوان الماموث العملاق (فى حجم الفيل)، تشوهت الخلائق (من بقى منها) بسبب الإشعاع، وقد رجعنا إلى أساطير الشعوب؛ بيرو: سبعة نجوم هاجمت الأرض، أيضا الساجا الهندية، وجنوب أمريكا، الشموس العجوز الشريرة التى أحرقت الأرض، ولقد حددنا وقت حدوث الطوفان بدوائر جذوع الشجر الذى يبلغ عمره ١١٠٠٠ سنة؛ لأن الكربون ١٤ ازداد تركيزه فى الدائرة التى تتفق مع السنة ٩٥٤٥، ومعنى هذا حدوث كارثة كونية فى هذه السنة، هذا العلم حديث واسمه دندروكرونولوجى NDEROCHRONOLOGY' وقد عرفنا اليوم أنه ٢٣ سبتمبر؛ لأنه جاء فى تراث الشرق الأوسط أن هذه الكارثة حدثت عندما تساوى الليل بالنهار، وهذا التساوى يحدث فى ٢٣ سبتمبر، أما الساعة الثالثة فقد عرفناها من ملحمة جلجامش (الأرض اشتعلت

ولم يكن قد ظهر بصيص من نور)، والتوراة تقول: إنها حدثت عند القمر الجديد».. شكرًا جزيلاً.. تصفيق متصل وحاد.. تقدمت أديث تولمان زوجة العالم النمساوى، وقالت لقد اكتشفنا أيضا صدق أجدادكم المصريين حين قالوا إن الله يفنى العالم ويعيد خلقه كل عشرة آلاف سنة. ففى سنة ١٩٨٩، فلتت الأرض - بالكاد - من كويكبة قطرها ٣٠٠ متر ولكم أن تعلموا أن الجنس البشرى مهدد بالفناء إذا اصطدم بالأرض جسم قطره ٥٠٠ متر أو أكثر.

كما اكتشفنا أن قصة الخلق فى التوراة إنما هى وصف لإعادة الخلق وليس الخلق نفسه، فقد خلق الله النور (فى التوراة) أول يوم، والشمس فى اليوم الرابع.. وهذا يتفق مع أحداث الطوفان حيث اختفت الشمس وراء السحب وحين انقشعت ظهر النور ثم الشمس، أيضًا خلق الله الطيور قبل الحيوانات بينما تطورت الطيور عن الحيوانات، ولكن مع أحداث الطوفان ظهرت الطيور أولاً للإنسان لأنها طارت، ثم ظهرت الحيوانات بعد ذلك، والتى اختبأت داخل الكهوف، فتصور الإنسان أن الله خلق الطيور أولاً، هذا طبعًا لا يتفق مع العلوم، شكرا لكم - تصفيق حاد.. تقدم مانيتون شاكرًا لجورج سميث وألكسندر تولمان وأديث تولمان قائلاً: لشد ما تصبو نفسى إلى أن تتمتع بلادنا بهذه الحرية فى البحث العلمى وإبداء الآراء القائمة على العلم، ولكن لشد ما يقلقنى أن يتحقق ما نقله أفلاطون عن أجدادنا العظماء أن الله يعيد بناء العالم كل عشرة آلاف سنة ! لم يعد باقيًا لدينا إلا بضع مئات من السنين !!

■ أصل الحياة

افتتح مانيتون جلسة حابى أو النيل قائلاً: السيدات والسادة الحضور، حدثتكم الجلسة الماضية عن ثالوث البقاء ألا وهو الأرض، والماء، والإنسان. ثم حدثتكم عن ثالوث الفناء ألا وهو الفقر، والجهل، والمرض.

وقد حدثتكم عن كل شيء بالتفصيل إلا الماء أو النيل.. وقد تركت النيل لحابى.. يحدثكم بما يملأ قلبه ألمًا وحزنًا.. ليتفضل. تقدم حابى إلى المنصة قائلاً: أنا حابى.. أسير على خط طول واحد من بحيرة فيكتوريا حتى دمياط.. أنا أبو التاريخ وليس هيرودوت. أنا منذ ٥٠ ألف سنة، أى العصر البليوسينى.. تجمعتم حولى وإلا كنتم هلكتم فى الصحراء! علمتكم قوة الاتحاد عند الخطر حين كنت أفيض عليكم بالفيضان.. وعلمتكم الزراعة التى اكتشفتها نساؤكم حين قدمت لكم الطمى.. ومن الزراعة تعلمتم التقويم.. والصناعة.. بل علمتكم النظام والقانون حين استدعت الزراعة جيشًا من الزراع، والذى استدعى بدوره أجهزة مالية وإدارية وأمنية وعسكرية.. وهكذا تكونت نواة للدولة التى لم ينفرط عقدها سبعة آلاف سنة وحتى الآن.. ومن هنا كان تقديس أجدادكم لى.. كان كل مصرى وكل مصرية يعرف أنه سيحاكم أمام ٤٢ قاضيًا فى محكمة العدل الإلهية، وأحد الأسئلة: هل لوثت مياه النيل؟ وكان يعرف أن الإجابة يجب أن تكون: لم ألوث

مصادر المياه.. أصل كل حياة.. بل كانوا يحتفلون بوفائى عند الفيضان. ويصنعون تمثالاً من المرمر أو الجرانيت الوردى لإيزيس ويلقونه فى أحضانى حتى تستقبل عريسها أوزيريس.. هذا الاحتفال الذى شوهتم به تاريخنا وتقولتم علينا أننا كنا نلقى بفتاة كل عام ! ونحن الذين كنا نسأل فى محكمة القضاة: هل جعلت أحدًا يبكى منك؟ أو هل عذبت نباتًا بأن نسيت أن تسقيه ماء؟

ماذا صنعتم بى أيها الأحفاد.. حرمتم جب بتاح أو أرض مصر من الغرين، وهى التى تكونت منه.. تلقون كل يوم بآلاف الأطنان من مخلفات المصانع دون معالجة !

بل ومواسير الصرف الصحى العملاقة فى كثير من القرى تصرف فى النيل، والمقزز أن مواسير الشرب لا تبعد عنها كثيرًا!

مياه الصرف الزراعى بما تحمله من بقايا مخصبات زراعية ومبيدات حشرية تلقى فى أحشائى ! حتى أصبحت صفيحة زبالة لحيواناتكم النافقة وآلاف المراكب السياحية الجاثمة فوق صدرى.. ألا تخجلون من أنفسكم حين ترون زجاجات المياه المعدنية أمام المسئولين بعد أن كانت مياه النيل من يشرب منها لابد أن يعود إليها من فرط عذوبتها؟

وأنا من غيظى منكم أصبحت أرد عليكم بقسوة.. حرمتمونى الغرين فحرمتكم خصوبة الأرض، والثروة السمكية، حتى أصبح كيلو الجمبرى بمائة جنيه!

أمـا المخصـبـات الـزراعـيـة الـتى لم تـعـرفـوهـا إلا بـعد ١٩٦٤ وأيضًا المبيدات الحشرية، فإليكم الآتى: ٦٠ ألف «ستون ألف» حالة سرطان مثانة كل سنة،٣٠ ألف حالة فشل كلوى كل عام والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه !

أصـبـحت الخضـراوات والـفـواكـه وبـالـتـالى الحيـوانـات الـتـى تتغذى عليها مشبعة بالنترات «مخصب زراعى»، والتى تتحول إلى نتروزمين المسبب للسرطان مع عوامل أخرى.. أصبحت مصر مضـروبـة فـى كـبـدهـا وأعـلـى بـلـد فـى الإصـابـة بـفيروس سى «ومضـروبـة فـى رجـولـتـهـا» ارتـفـاع نسـبـة الـعـجز الجنسى إلى معدلات غير مسبوقة، كما ارتفعت نسبة سرطان البروستاتا بعد أن كانت مصر أقل دولة فى العالم إصابة بهذا المرض الخطير!

إن الآثار الجانبية لهذا المقدس القومى – السد العالى– لم يعد فى الإمكان السكوت عليها.. النحر.. التجريف.. المياه الجوفية.. الزلازل.. ابن سدًا وانتظر الزلازل.. هذه حقيقة علمية.. نريد حلاً.. أنتم تنتحرون وأنا معكم.. سامحكم الله.

■ الأرض السوداء

افـتـتـح مـانـيـتـون «المؤرخ المصرى الذى كتب تـاريـخ مصر القديمة وعـاش فـى سمنود فى بداية القرن الثـالث قبل الميلاد» جلسة - الكيميـاء اسم بلدنـا - قـائلا: «السلام عليكم».. السلام لكم.. شالوم خليكم.. صبـاح الخير أيها السادة الحضور من كافة أنحاء بلدان العـالم.. لقد وصلتنى رسـالة من أستـاذ الكيميـاء فى كلية العلوم جامعة القـاهرة أ.د أحمدى عبد العزيز يسألنى كمؤرخ ومـقـرر لـهذا المؤتمر: كيف وصـلـنـا لصـنـاعـة الـزجـاج، بـل كيف وصـلـنـا لصـنـاعـة الألـيـاف الـزجـاجـيـة، والـتـى كل عشرة من هذه الأليـاف الزجـاجية تساوى قطر شعرة رأس واحدة؟ كمـا يسألـنى: كيف وصلنـا إلى استخراج النحـاس؟ كما وصلتنى رسـالة أخرى مـن أ.د سـعـيـد ثـابت.. أسـتـاذ أمـراض الـنسـاء والـتـولـيـد بـجـامـعـة الـقـاهـرة ومـعـهـا صـور وشرائـح لمومـيـاء وجدوا بـداخـل صـدرهـا أنبوبة على حرف «T» واكتشفوا أن بهـا مواد مشعة بواسطة جهـاز جايجر.. ويسعدنى أن ألقى بعض الضوء على تقدمنـا العلمى كمـا يسعدنى تشريف أ.د على حسن عـالم المصريـات وابن أخى الدكتور سليم حسن صـاحب الموسوعة الكبرى فى علم المصريـات.

أيهـا الأصدقـاء الأعزاء.. إن مصر كـان اسمهـا فى يوم من الأيـام كيـمـى أو كيـم أو خيـمـا.. وهـى كـلـمـة مصريـة فـرعـونـيـة معنـاهـا الأرض السوداء، وهذه الأرض هـى الطمى الأسود على الرمـال

الصفراء، فلما جاء الإغريق «اليونانيون» أطلقوا كلمة كيمياء على هذا الفرع من العلوم أى العلم الأسود؛ لأنهم اعتقدوا أن الأرواح هى السبب فى هذه التفاعلات التى تنتج أبخرة حمراء أو زرقاء أو صفراء، ولهذا اخترت عنوان جلستنا «الكيمياء اسم بلدنا»، وهذا صحيح.

أما النحاس فكنا نحن أول من استخلصه كفلز من معدنه، ألا وهو الملاكيت «كربونات النحاس القاعدية»، فكنا نأتى بالملاكيت ونشعل الأخشاب من حوله فى غرفة مغلقة.. لها مدخنة لتصريف العادم، ولها ماسورة لإدخال الهواء بمنفاخ من الجلد وأيد من الخشب «الكور» والذى مازال يستخدم حتى الآن فى بعض قرى مصر لتبييض النحاس !

كان الملاكيت ينصهر، ويتساقط النحاس النقى بقاع الغرفة، صنعنا منه الأوانى والأسلحة والإزميل.. بل والبرونز حين أدخلنا عليه القصدير، وكل ذلك كان فى عصر ما قبل الأسرات؛ أى منذ سبعة آلاف سنة طبقًا لقوائمى وليس قوائم المتحف البريطانى!

وأرحب الآن بالدكتور على حسن حتى نسمع رأيه فى المواد المشعة فى صدر مومياء.. قصر العينى.. تصفيق حاد.

تقدم الدكتور على حسن من المنصة قائلاً: كنت الابن الروحى لعمى الدكتور سليم حسن رحمه الله، بل قد أملانى أربعة الأجزاء الأخيرة من موسوعته التى أرجو أن تكون فى دار كل مصرى فخور بتاريخ بلده وأجداده.

لقد عرف أجدادنا المصريون المواد المشعة.. وقد اكتشفوا صخورًا معينة قرب بنى سويف نسبة الإشعاع بها عالية.. فاتخذوا منها طلاء أزرق بعد طحنها وتحويلها إلى بودرة.

وقد ألهمنى الله أن ألاحظ أن الذباب أو البعوض أو أى نوع من الحشرات لا يقترب من أية مقبرة أو معبد.. ويظل بعيدًا عنها بأكثر من مترين.. بل جمعت بعوضًا «ناموسًا» وأدخلته إلى أحد المعابد.. ففر هاربًا!

ولا تفسير لذلك إلا الإشعاع.. وهذا يفسر لعنة الفراعنة بأسلوب علمى! المقبرة أو المعبد المغلق آلاف السنين تتركز فيه نسبة الإشعاع التى يتلقاها أوائل الداخلين.. فيموتون بعد بضعة أشهر.. وأقترح فحص أنبوبة مومياء قصر العينى بواسطة هيئة الطاقة الذرية فى أنشاص حتى تعرفوا أن مصر عرفت الكثير حتى الإشعاع النووى. شكرًا لكم.

افتتح مانيتون المؤرخ المصرى القديم مؤتمر «مصر الهوية والانتماء» قائلاً: أيها السادة الحضور من كافة أنحاء المعمورة أهنئكم جميعًا بشهر رمضان المعظم.. أعاده اللَّه علينا جميعًا ونحن فى أسعد حال، جلستنا اليوم تضم مجموعة من العلماء والأطباء والباحثين.. والأثريين والمفكرين.. وكلهم يريدون حلاً لما يجدونه أو يعرفونه عن تاريخنا العظيم.. ولا يجدون له تفسيرًا.. والآن المنصة مستعدة لكل من يتقدم لها.. تقدم الدكتور عادل إمام أستاذ القلب قائلاً: أعرض عليكم صورة من على جدار أحد المعابد تصور التحام الحيوان المنوى وبجواره البييضة.. ثم انقسام البييضة إلى اثنتين.. ثم أربعة! فهل كان لدى أجدادنا.. ميكروسكوب؟ خصوصًا وأن أربعمائة مليون حيوان منوى يمكن وضعها فى رأس دبوس إبرة! لقد عرضت هذه الصورة فى التليفزيون كما عرضتها فى المؤتمرات بالداخل والخارج.. هذا لغز علمى لا أجد له تفسيرًا!

تقدم الدكتور أحمدى عبد العزيز أستاذ الكيمياء فى علوم جامعة القاهرة قائلاً: من المؤكد أنهم توصلوا للعدسات، وبالتالى الميكروسكوب.. لقد توصلوا للألياف الزجاجية، والتى يبلغ قطر كل عشرة منها.. قطر شعرة رأس واحدة! كيف توصل

هؤلاء العظماء إلى هذا الإعجاز؟! هذا سر مكنون ولغز مدفون.. عليكم بالبحث والتنقيب عنه.. شكرًا لكم.

تقدم الدكتور سيد كريم قائلاً: لقد توصل المصريون القدماء إلى إلغاء الجاذبية الأرضية! وإلا فكيف يحملون سقفًا وزنه خمسون طنًّا لغرفة الملك فى الهرم الأكبر أو المرصد الأكبر؟!

لقد أشارت برديتان إحداهما فى مقبرة مهندس الدولة الوسطى بالكرنك، والثانية فى متحف اللوفر بباريس، أن أحد الكهنة كان يساعد العمال فى نقل الأحجار العملاقة الضخمة عن طريق قراءة تعاويذ (بقصد التمويه)، وهو يحمل صندوقًا اسمه صندوق أوزيريس! ثم يأمر العمال بدفع الحجر فيتحرك بغير مجهود، وأعتقد أن هذا الصندوق كان يوجه ذبذبات صوتية بتردد معين وشحنات كهروستاتيكية لتسهيل دفعها أو حملها! شكرًا لكم.

قام الدكتور على حسن رئيس هيئة الآثار السابق قائلاً:

أيها السادة الحضور: لدى قناعة كاملة بأن أجدادنا توصلوا إلى الليزر منذ آلاف السنين! لقد شاهدت بعينى رأسى عقدًا لإحدى أميرات الأسرة القديمة، وهذا العقد فى متحف برلين خرزاته من الكريستال الطبيعى، وقد تم ثقبها لتعقد بأسلاك رفيعة من الذهب، ولا يزيد قطر الثقوب المتماثلة تمامًا عن جزء من المليمتر، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بشعاع من الليزر، ليس هذا فقط.. بل توصل هؤلاء العباقرة إلى الصخور المشعة.. وحولوها إلى بودرة وخلطوها بالألوان لدهان جدران المعابد والمقابر..

ولعلكم تلاحظون خلو هذه الأماكن من ذبابة أو بعوضة أو أية حشرة، بينما يرتع الذباب على بعد أمتار من باب المعبد أو المقبرة.

تقدم الدكتور سعيد ثابت أستاذ علم النساء والتوليد بقصر العينى قائلاً: لقد وجدنا مومياء فى حفريات بقصر العينى صورناها بأشعة إكس، فوجئنا بوجود أنبوبة على هيئة حرف «T» قطر الأنبوبة الأفقية أو الطولية ٥ سم، فحصنا هذه الأنبوبة وهى داخل صدر المومياء بجهاز جايجر.. فوجدنا بها مواد مشعة.. طلبنا من هيئة الآثار بوزارة الثقافة أن تسمح لنا بفتح صدر المومياء فرفضت حتى يتم تشكيل لجنة. ومازلنا ننتظر حتى الآن..

قام إسحق نيوتن.. العالم الإنجليزى الكبير يقول:

يا أحفاد العظماء.. إن معرفتكم بتاريخ أجدادكم قطرة. وجهلكم بهذا التاريخ العظيم والإنجازات العلمية إنما هو محيط !

ألم تقرءوا كلمات كبلر صاحب قوانين حركة الأجرام السماوية؟! «ليغفر الله لى.. سرقتى هذه القوانين من على التماثيل الذهبية فى مصر الفرعونية».

شكرًا لكم.. تصفيق حاد.

■ شجرة الميلاد الفرعونية !

دعانا مانيتون لحضور احتفال رأس السنة الميلادية فى منزله بسمنود، وكانت زوجته تستقبل كل رجل بوردة، وكل امرأة بوردة وقمع صغير من العطر المجمد فى نوع من الدهون حتى تضعه المرأة فى شعرها.. أما الأطفال فكانت هداياهم لعبًا فرعونية.. ووجدنا شجرة ضخمة، قلنا شجرة الكريسماس. قال مانيتون بل شجرة مصر قبل الكريسماس بآلاف السنين. اقتربنا منها.. وجدنا الزينة.. عشرات من الكفوف - جمع كف - وهى خمسة وخميسة الآن، وجدنا مفاتيح الحياة.. والمفتاح هو التقاء السماء بالأرض، فتولدت الحياة وهى البيضة التى فى أعلى المفتاح.. كانت الشجرة جميلة حقًا.. كانت تطفأ وتضاء بمئات اللمبات الصغيرة.. قال أحدنا لمانيتون: بالطبع لم تكن هذه اللمبات الكهربائية لديكم ! قال مانيتون: ومن قال إن ما ترونه لمبات كهربائية؟ إنها كولوفوتيا Colophotia ؛ نوع من ذبابات النار Fire Flies إن هذه اللمبات فكرة حشرية وليست بشرية! إنها الكائنات المضيئة، والتى منها بكتيريا مضيئة.. إذا وقعت على الجرح جعلته يضىء !

الغريب أن التئام الجروح يكون أسرع! وهناك البحار المتوهجة بسبب بكتيريا المحيطات المضيئة، ولكن ليس هذا هو موضوعنا اليوم.. غدًا سنة جديدة، و السنة من أول يناير حتى ٣١

ديسمبر، بينما العام من تاريخ معين إلى نفس التاريخ فى العام الذى يليه !

وقد سمى شهر يناير من January من إلهة إيطالية اسمها Janus لها وجهان أحدهما ينظر للخلف «السنة الماضية» والثانى ينظر للأمام «السنة الجديدة»، أما فبراير فهو شهر الطمى «فيراريوس» «لاتينى»، أما مارس فهو شهر مارس أو المريخ.. أما إبريل فهو شهر التفتح «الزهور» من Oprera «يفتح»، ومايو يسمى على اسم إلهة ايطالية اسمها مايا ابنة فوناس وزوجة فولكان «البركان»، أما يونيو فهو على اسم الإلهة Juno، ويوليو على اسم يوليوس قيصر، وأغسطس على اسم أول إمبراطور رومانى هو أغسطس قيصر، أما سبتمبر «الشهر التاسع» فهو من Sept أى سبعة؛ لأن السنة كانت تبدأ من أول مارس ! لذا نجد أكتوبر من أوكتا أى ثمانية وهو الآن الشهر العاشر، ونوفمبر من نيف الفرنسية أى تسعة وهو الآن الحادى عشر، وديسمبر من ديس الفرنسية أى عشرة وهو الآن الثانى عشر !

لقد وعدتكم بأن يكمل لنا الدكتور محمد كامل حسين أستاذ جراحة العظام.. حديثه عن طب المفاصل والعظام فى مصر الفرعونية فليتفضل، تقدم الدكتور حسين وقال: حدثتكم الندوة الماضية عن اكتشاف العلماء الألمان للأطراف الصناعية فى مصر القديمة، اليوم أحدثكم عن الروماتيزم الذى كان منتشرًا فى مصر وكان اسمه ستت Stet وكانوا يعلمون الطلبة: إذا لم يستطع المريض أن يرى صدره أو بطنه وهو نائم فى سريره قل إنه

يعانى من ستت «روماتيزم» فى الرقبة.. ادهن رقبته بالزعفران «إليوت سميث» كان أطباء مصر يفرقون بين الكسر والجزع بقرقرة العظام، وقد وصفوا كسر الفقرات العنقية وصفًا رائعًا «تجد المريض مشلول الذراعين والساقين«شلل رباعى»»، وكانوا يجرون تشريح الجثة بعد الوفاة:

قالوا «تجد الفقرة العليا مغروزة فى الفقرة السفلى.. كما تكون قدمك مغروزة فى الطين»»، ولكن ماذا عن الجبائر؟ كانت جبائر الكسور أربعة:

١- أمرو وهى مادة تشبه جبس باريس.

٢- آدوب وهو قالب من الطمى المجفف، بعد أن أخذ شكل الطرف المكسور.

٣- زلال البيض مع أربطة الكتان.. حتى يجف على الطرف المكسور، وهذه الطريقة تستعمل حتى الآن فى الصعيد.

٤- الجبائر الخشبية.

■ عروسنا الجميلة !

فى رحلة قصيرة من الساحل الشمالى إلى الإسكندرية تلك المدينة التى قال عنها الإسكندر الأكبر:

«هنا سأبنى مدينتى التى طالما حلمت بها».

أخذنا أتوبيسًا سياحيًّا.. وكان مانيتون مرشدنا.. قال: هنا فى هذه المدينة الجميلة.. كانت المنارة الشهيرة، والجيمانزيوم والاستاد، والقصر الملكى، والأكاديمية، والمتحف، والمكتبة، والجامعة!

قال واحد منا: لقد أثرت دهشتنا يا جدى بحديثك عن الجامعة، فهلاً حدثتنا أكثر عنها؟!

قال مانيتون: كان عدد علماء الجامعة عندنا مائة.. وكان الترقى ليس بالدرجات العلمية كما هو حادث عندكم الآن.. بل كان بالإنجاز! أو الكشف العلمى الذى يقدمه الباحث! وكان الباحث يطرد من الجامعة إذا فشل فى تحقيق إنجاز علمى فى بحر خمس سنوات من عمله.

كانت الجامعة بها مرصد مزود بالآلات الفلكية وبها قاعة للتشريح ودراسة وظائف الأعضاء.

كانت لدينا حدائق للنباتات وحدائق للحيوان.. لدراسة علمى النبات والحيوان.. اعتمدنا على الحضارة الفرعونية وتفكيرها

العلمى، وابتعدنا عن خزعبلات التنجيم واختراع الأساطير التى كانت سمة من سمات الفكر اليونانى القديم! لذا ظهرت المدرسة الرواقية «بناء الإنسان العقلانى» والمدرسة الأبيقورية التى هاجمت الرجم بالغيب والخرافات.

اخترع أرشميدس الطنبور، والمرايا الحارقة، والساعة الشمسية، وحين قال للملك هيرون: أعطنى نقطة ارتكاز خارج العالم وأنا أحركه بسهولة.. تحداه الملك أن يحرك سفينة كبيرة.. فحركها باستعمال بكرة مركبة ومجهود ضئيل.. إنه أرشميدس صاحب مقولة «وجدتها.. وجدتها» والحقيقة أنه صاح: «تذكرتها تذكرتها» «القوانين المصرية» حين اكتشف خفة جسمه فى الماء.

استفادت جامعة الإسكندرية من حضارة مصر الفرعونية فى الفلك.. فكانت لدينا المزاول الشمسية، والشاخص الرأسى، والهيكل الكروى، وعرفنا أن مركز الكون هو الشمس وليس الأرض، وأن الأرض تدور حول الشمس، وأن القمر يدور حول الأرض، وأن الكون ممتد لدرجة لا يمكن للعقل استيعابها «أريستارخوس».

عشقنا الكتب! حتى إن كل سفينة كانت تفتش بحثًا عن الكتاب لا لمصادرته، بل لنسخه ورده لأصحابه.. وقد استعار أحد ملوك مصر مسرحيات سوفوكليس مقابل رهن مالى، ثم فضل فى نهاية فترة الإعارة التنازل عن الرهن والاحتفاظ بالأصول مع إعادة المخطوطات المنقولة عنها لأصحابها!

أما عن الفن التشكيلى فحدِّث ولا حرج! ترك الفن المصرى القديم بصماته الغائرة فى الفن السكندرى، وبالتالى الفن اليونانى والرومانى.. كانوا يتمسحون بحضارتنا الفرعونية! انظروا لصورة بطليموس الثالث وزوجته المنحوتة على واجهة معبد الكرنك !

هل تعلمون أن أغسطس قيصر كانت له ثلاثة أختام؟! الأول يحمل صورة أبى الهول، والثانى رأس الإسكندر الأكبر، والثالث صورته هو نفسه؟!

وهكذا كما ترون كان هناك ١٧ إسكندرية، اندثرت جميعًا إلا عروسنا الجميلة؛ لأن مخزون الحضارة المصرية أمد الحضارات اللاحقة لها بالحياة والنماء !

وهاهى بعد عشرين قرنًا من الزمان تبنى مكتبتها وتحيى حضارتها وتجدد شبابها؛ لأن جذوة الحضارة كامنة فيها دائمًا وأبدًا.

ظاهرة النفق الأسود

افتتح مانيتون «المؤرخ المصرى السمنودى» ٢٨٠ ق.م. مؤتمر «مصر الهوية والانتماء» قائلاً: أيها السيدات والسادة.. سنناقش اليوم كتاب «مدجات إيمى دوات» وهى كلمات مصرية قديمة معناها «ما هو كائن فى العالم الآخر».

إن كتاب دكتور مودى (حياة بعد الحياة)، جمع الحالات التى أحضرت للمستشفيات الأمريكية موتى، وتم إنقاذ بضع عشرات منها، فأرسل لها مودى مجموعة من الأسئلة وتلقى إجاباتها، فوجد أنها تشترك جميعا فى:

١- الطفو. ٢- النفق الأسود. ٣- الكائن النورانى

أردت أن أجد تفسيرًا علميًّا لهذه الظاهرة؛ هل هى حقيقة أو هلاوس؟! هل هم صادقون فيما يزعمون أم من محبى الشهرة والإعلان؟! فوجدت أن ظاهرة الطفو تحت المخدر العام معروفة لدى كثير من المرضى الذين تعرضوا للبنج العمومى.

أما ظاهرة النفق الأسود فهى معروفة لمن يتعرض لنوع من التخدير يعطى عن طريق العضل واسمه كتلار أو كتامين سلفات، وهو الاسم العلمى له، أما النور أو الكائن النورانى فباستطاعة أى إنسان أن يضغط برفق على عينيه فى غرفة مظلمة سيرى أنوارًا وأضواء.

لقد وقع دكتور مودى فى خطأ منهجى ما كان يجب أن يقع فيه؛ وهو التأكد مما إذا كانت هذه الظواهر الثلاثة لها وجود حقيقى Objective أم من مخ الإنسان Subjective بسبب صدمة المخ الناجمة عن الحرمان من الأكسجين لوقت قصير ؟!

وكان يسهل ذلك بمقارنة الإحساس بالكائن النورانى من هو؟ فإذا أجمع الكل على واحد فهذا حقيقة، وإذا قال كل واحد حسب معتقده الدينى كما هو الحال فهذه هلاوس.

قام مانيتون يقول: إن أعظم كلمة فى أية لغة هى كلمة نقد... لذا دعوا الأزهار تتفتح.. ودعوا الأفكار تتصارع... أريد أن أحدثكم عن كتابنا «ما هو كائن فى العالم الآخر»... نحن نؤمن أن الروح وهى الـ «با» تخرج من الجسد على هيئة طائر أخضر رمزًا للبعث والعودة للحياة... كما أن الأرواح تتعارف على بعضها البعض بالرءوس الآدمية التى تحملها... وقد أكد كلامنا هذا الحديث النبوى الشريف:

«أرواح الشهداء فى حواصل – جمع حوصلة – طيور خضر فى الجنة».

كما وصفنا طبقات الجنة السبع وأنهارها الأربعة وكيف أنها مليئة بأنهار من ماء زلال، وأنهار من عسل، وأنهار من خمر مقدسة، وسنابل قمح من ذهب، كما وصفنا عذابات النار الخمسة، وقد نهل من تراثنا هذا «أبو العلاء» فى «رسالة الغفران» و «دانتى» فى «الكوميديا الإلهية»، فمصر هى أم الدنيا بكل ما فيها من ثقافات.

■ بردية إدوين سميث

طيرت وكالات الأنباء اكتشاف مقبرة فى سقارة تخص رئيس القصر الملكى فى الأسرة السادسة واسمه «قار»، وقد عثر بالمقبرة على أشياء رائعة منها مائدة مستديرة من الألباستر ليس لها مثيل! كما عثر على مجموعة كاملة من الآلات الجراحية لكبير الأطباء تتكون من ٣٠ مشرطًا وجفتًا!

قلنا لمانيتون المؤرخ المصرى السمنودى الذى كتب تاريخ مصر القديمة وقسمه إلى أسرات... وكان ذلك عام «٢٨٠ ق.م.»: حدثنا يا أبا التاريخ وليس هيرودوت... حدثنا عن الجراحة فى مصر القديمة !

حدثنا عن البرديات الطبية التى لا نعرف منها غير أسمائها! قال مانيتون: هناك من البرديات ما سميت بأسماء أصحابها مثل بردية إدوين سميث، أو بالمتحف المحفوظة فيه مثل بردية لندن أو برلين... وبمناسبة هذا الكشف الحديث أحدثكم عن بردية إدوين سميث لأنها خاصة بالجراحة !

كان إدوين سميث عالم المصريات الأمريكى.. يعيش فى الأقصر من ١٨٥٨ حتى ١٨٧٦، وفى سنة ١٨٦٢ عرض عليه مصطفى أغا بردية من مقابر أحد الأطباء فى البر الغربى للأقصر.

كان إدوين سميث ملمًّا بالكتابة الهيراطيقية... عرف أن البردية تختص بالجراحة... خاصة الكسور... فاشتراها دون تردد.

ثم قام بترجمتها - على سبيل المحاولة - قبل أن يموت ١٩٠٦، قدمت ابنته البردية إلى الجمعية التاريخية بنيويورك، ثم انتقلت البردية إلى الأكاديمية الطبية فى نيويورك،وهى محفوظة حتى الآن.

ترجمها جيمس هنرى بريستد سنة ١٩٣٠للإنجليزية، ثم ترجمها دون فينيس وجرابو للألمانية ١٩٥٨، ثم ترجمت للألمانية مرة أخرى على يد عالم المصريات الألمانى وستندورف ١٩٦٦.

أهمية هذه البردية.. أنها أول مرجع طبى من مصر القديمة، خالية من السحر.. وتتبع طرقًا علمية فى التشخيص والعلاج! وعمر هذه البردية ١٥٥٠ ق.م. أى ٣٥٠٠ سنة مضت حتى الآن!

هذه البردية عبارة عن ١٧ صفحة «٣٧٧ سطرًا» مكتوبة على الوجه الأمامى لأوراق البردى، ٥ صفحات «٩٢ سطرًا» مكتوبة على ظهر أوراق البردى.. ولا تنسوا أن أوراق البردى كانت غالية الثمن لصناعتها يدويًّا.

هذه البردية تعتبر كتابًا تعليميًّا؛ لأنها مرتبة ترتيبًا تشريحيًّا.. تبدأ بالرأس، ثم الوجه، ثم الفك، ثم الرقبة... ثم الذراعين.. ثم الصدر... ثم البطن والحوض.. ثم الساقين.

وقد عرضت البردية ٤٨ حالة، كل حالة تقدم فى أربعة أجزاء:

١- العنوان مثلاً «تعليمات بخصوص جرح فى فروة الرأس مع كسر فى عظام الجمجمة».

٢- الفحص... مثلا «افحص الجرح حتى القاع مهما كان مؤلمًا».

٣- التشخيص والتوقعات مثلاً «قل.. هذا المرض سأعالجه أو سأكافحه أو لا حيلة لى فيه».

٤- العلاج.. يصف العلاج مثلا «تربنة إذا كان هناك كسر.. خياطة الجرح فى ست الساعات الأولى... أو وضع لباب الخبز المتعفن «بنسلين» إذا كان الجرح متقيحًا «وجود صديد».

حضارة متصلة وعطاء مستمر

افتتح مانيتون المؤرخ المصرى جلسة «مصر ملتقى الحضارات «قائلاً» أيها السادة الحضور.. أسعد الله أيامكم... لقد غضبت من كلمات برليسكونى رئيس وزراء إيطاليا عن الحضارة الإسلامية. وعلى الرغم من اعتذاره فقد دعوته لحضور جلستنا هذه؛ لأن التاريخ هو التنوير، والتنوير هو إضاءة المساحات المظلمة فى العقل المجتمعى أو العالمى... سواء كانت هذه المساحات المظلمة... تاريخية أو علمية... أو سياسية أو دينية؛ أعنى فى أى فرع من فروع المعرفة.

استطرد مانستون قائلاً: حدثتكم المرة السابقة عن بردية إدوين سميث وهى أساسًا عن جراحة الإصابات.. لقد اخترعنا الخيوط الجراحية من أمعاء القطط GUT CAT والتى مازالت موجودة فى كل غرفة عمليات حتى الآن! جدير بالذكر أننا صنعنا أوتار القيثارة والهارب، من نفس الأمعاء بعد أن اكتشفنا السلم الموسيقى السباعى وكنا نسميه سُلَّمًا؛ لأنه الطريق إلى الملائكة التى تتحادث مع بعضها بالموسيقى!

كما اخترعنا آلة التربنة، ومشرط الشق الحنجرى ذا الحدين «لحالات الاختناق»، كما اخترعنا الإبر الجراحية المصنوعة من الذهب أو الفضة حتى لا تصدأ، كما اخترعنا المخالب «المبعدات»

لإبعاد طرفى الجرح حتى نتمكن من فحص القاع، كما اخترعنا الأربطة اللاصقة لضم الجرح دون خياطة. أيضًا الجبائر لكسور العظام، أما التخدير فكان موضعيًا من وضع الخل على رخام من حجر ممفيس، أو عموميًا من ثمرة (أبو النوم) «الأفيون - المورفين»... ولو قرأتم يا أولادى ما كتبه دكتور محمد كامل حسين أستاذ جراحة العظام ومؤلف كتاب قرية ظالمة «أورشليم»... لوجدتم أنكم تعالجون كسر الترقوة، وخلع الفك، وخلع الكتف، بنفس الطريقة التى كنا نعالج بها هذه الإصابات من آلاف السنين (BAILY-LOVE SURGERY) . تنهد مانيتون وقال: أخذ عنا اليونان (٣٣٢ ق.م. حتى ٣١ق.م.) ثم الرومان (٣١ق.م. حتى ٦٤١ ميلادية)، فكانت جامعة الإسكندرية.

نهل العلماء المسلمون من هذا التراث بعد حركة الترجمة العملاقة فى العصر العباسى الأول.. فكان الزهراوى الأندلسى «قرطبة» مؤلف كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»... والذى توصل للآلات الجراحية المصنوعة من الحديد المطلى حتى لا تبرد سريعًا عند كى الجروح النازفة، وكان ينصح الجراح ألا يمارس الجراحة وهو يشعر بالغرور أو الخوف أو الغضب! وكان يقول لتلاميذه: لا تبخلوا بطبكم على صديق أو عدو..! إنه الزهراوى أبو الجراحة فى العصر الإسلامى.. إنه الإنسان يا أحفادى... فى مسيرته الحضارية.. مسلاتنا الفرعونية... هى قباب الكنائس ومآذن المساجد.. حضارة متصلة وعطاء مستمر!

■ الزهرة المقدسة

حدثنا مانيتون المؤرخ المصرى السمنودى المولد ٢٨٠ ق.م. عن السوسنة أو اللوتسة الزرقاء.. وكيف خرجت من النون «الماء الأزلى» وخرج من برعمها رع.

سأل واحد منا مانيتون: أعرف يا سيدى أن زهرة اللوتس هى رمز مصر فى المعمار الشاهق أو أعمدة المعبد... أو أوراق البردى... فلماذا زهرة اللوتس بالذات؟!

قال مانيتون: لأنها رمز الخصوبة والجمال.. ورمز القيامة، رمز الطهر والنقاء!

سأل صاحبنا: لماذا الطهر يا جدى العزيز ؟

قال مانيتون: إنها تنمو فى ماء أو ماء وطين... وتخرج لنا طاهرة نقية لم تعلق بها قطرة ماء أو ذرة تراب! بل ولا حتى قطرة ندى من السماء !

استطرد مانيتون: كانت دهشة عالم النبات ويلهلم بارثولوت «جامعة بون - ألمانيا» عظيمة! لماذا يعلق التراب أو الماء بأية زهرة إلا اللوتس؟ لماذا تنظف أوراقها نفسها بنفسها من الغبار والتراب والضباب والندى والمطر؟!

عشرون عامًا من الجهد العلمى ودراسة عشرة آلاف نوع من الزهور والنباتات. تحت ميكروسكوب إلكترونى يكبر سطح هذه النباتات ستة آلاف مرة! شاهد بارثولوت حدائق منحوتة على أسطح هذه الزهور والنباتات! نتوءات.. قنوات.. عصوات! أشكالا كالمكرونة الإسباجتى! دوائر مستديرة.. ولكن أعجب الأشكال، زهرة اللوتس، والتى أعطته سرها الأعظم بعد هذا العناء!

تخيلوا لوحًا من الخشب.. دقت فيه ملايين المسامير الدقيقة من السطح الخفى، فظهرت أطرافها المدببة من السطح الآخر! هذه هى ورقة زهرة اللوتس تحت الميكروسكوب بعد التكبير ستة آلاف مرة! هذه الدبابيس التى لا عد لها... لا تسمح لأى شىء بالاستقرار عليها أو الالتصاق بها! بدأ بارثولوت تجاربه على هذه الزهرة الطاهرة ! كان يضع على سطحها قطرة من الصمغ المائى ويفرشها... فتجمع نفسها فى كرة صغيرة وتتدحرج بعيدًا عنها! هكذا مع الغبار والماء.. وسائر الأشياء! اهتز العالم لزهرتنا المقدسة وأنتم لا تدرون عنها شيئًا! أعلنت «الإيكونومست» فى فبراير ١٩٩٩ أنها فتح جديد فى عالم الصناعة ! وفى عام ١٩٩٨ تعاقدت أربع شركات لصناعة أطباق وأوان لا يعلق بها شىء! دخلت شركات لصناعة قطارات وسيارات سطحها كزهرة اللوتس تطرد الندى أو المطر أو الجليد! حتى الملابس تم صناعتها بخاصية زهرة اللوتس، حتى الأجهزة الطبية كصمامات القلب، والشرايين الصناعية، تم صناعتها بخاصية زهرة اللوتس حتى لا يترسب عليها الدم!

كنا نقول فى صلواتنا.. كما أن زهرة اللوتس تولد فى الماء والطمى.. وتعيش فيه ثم تخرج منه نظيفة طاهرة ! كذلك الإنسان يولد فى العالم ويعيش فيه، ولكن يجب أن يخرج منه طاهرًا نظيفًا كزهرة اللوتس.

كلمة أخيرة، كسب العالم والألمانى مارثولوت ثروة طائلة من اكتشافه هذا عن زهرتنا المقدسة.

■ بحوث مصر الفرعونية

قال مانيتون المؤرخ المصرى ٢٨٠ق.م. قرأت تحقيق «روزاليوسف» عن المؤتمر التاسع للجمعية الأوروبية للبيولوجيا الضوئية فى النرويج، والمفاجأة المفرحة التى ذكرتها ألفت سعد عن علمائنا فى المؤتمر، وكيف قدموا بحوثًا عن مصر الفرعونية أنها كانت أول من استخدم الضوء فى علاج الأمراض خاصة الجلدية منها، مثل البهاق والفطريات، وأحب أن أوضح لكم طريقتنا العلمية منذ آلاف السنين.

أحببنا النور وعرفنا أن الله تجلت قدرته فى الشمس.. فكانت هيليوبوليس أو مدينة الشمس... بل عرفنا أن الطفل المولود إذا لم يتعرض للضوء.. لا تنمو الشبكية ويصاب بالعمى! تحدث علماء مصر عن علاج البهاق «مساحات بيضاء فى الجلد» بالضوء.

نعم كنا نصنع عصيدة من السبانخ والبقدونس ونضعها على الجزء المصاب من الجلد، ثم نعرض الجسم لضوء الشمس! كانت هذه العصيدة تركز أشعة الشمس عشرين مرة فوق الجزء المصاب فتعود للجلد صبغته «الميلانين» التى فقدها بسبب المرض !

وهذا ما تسمونه الآن المستحثات الضوئية أو .Photosensitizers

قال واحد منا: لقد ذكر د. البتانونى فى المؤتمر أن العلاج الضوئى يساعد على التئام الجروح وقتل البكتيريا فهل هذا معقول!

قال مانيتون: لقد انزعج الأطباء والممرضات أثناء الحرب العالمية الثانية حين أضاءت جروح وضمادات بعض المرضى! وعرفوا أنها بكتيريا مضيئة تساعد على التئام الجروح! وهناك نوع من هذه البكتيريا المضيئة يعيش فى البحار تسمونها البحار المتوهجة.. بل تجدون فى إسكتلندا أفواه الصيادين تتوهج بنوع من أم الخلول المضيئة اسمها Photos Dactylus

استطرد مانيتون: لقد شاهدنا فى إفريقيا عقودًا للرقبة وأساور لليدين والرجلين من الحشرات المضيئة «بعد قتلها» حتى تضيء لأصحابها.. جدير بالذكر أنه يمكنكم القراءة على ضوء حشرة واحدة !

سأل واحد منا: فى أى البلاد تظهر هذه الكائنات المضيئة وهل يمكن تحضيرها ؟

أجاب مانيتون: فى ١٩٢٧ ظهرت لحوم مضيئة فى قرية بنى ماضى فى بنى سويف حين وقعت عليها بكتيريا مضيئة ! كما ظهرت هذه اللحوم المضيئة بشكل وبائى ١٤٩٢ فى إيطاليا وأورليانز بفرنسا ولكنهم أعدموها خوفًا منها ! بل إن شجرة عيد الميلاد المضيئة، فكرة حشرية وليست بشرية من أمريكا الجنوبية!

خنافس تطفئ وتضيء اسمها Colophotia على الأشجار!

بل إن سير توماس كافندش تراجع عن غزو كوبا، حين اعتقد أن مئات الآلاف من الإسبان خرجوا لملاقاته بالمشاعل.. ثم تبين أن هذه المشاعل لم تكن سوى ذبابات النار Fire Flies طائرة فى الهواء.

أما عن تحضيرها فيمكنكم ذلك بطريقة العالم الألمانى موليش: شرائح لحم رقيقة تبلل بمحلول ملح ٣٪ وتوضع فى وعاء بغطاء زجاجى وتحفظ فى درجة حرارة ١٠ مئوية لمدة أربعة أيام، هذه الطريقة تأتى ببكتيريا مضيئة فى ٦٨٪ من الحالات. استخدم موليش هذه البكتيريا فى عمل مصابيح تضىء لمدة أسبوعين ! بدون حرائق أو نفايات احتراق.. بل ضوء هادئ جميل.. هذا الضوء يا أحفادى هو أمل المستقبل فى الإضاءة خصوصًا بعد أن نجحت الهندسة الوراثية فى هندسة أشجار مضيئة.. سيصبح كوكبنا الكوكب المنير !

إن كيمياء هذا الضوء هى مادة اللوسفرين التى يعمل عليها أنزيم اللوسيفرين، فينطلق الضوء مخلفًا وراءه ماءً ! هذه البكتيريا اسمها العلمى Bacterium Phosphorum صباح النور يا مصر.

■ تحذيرات طبية !

قال مانيتون المؤرخ المصرى «٢٨٠ ق.م» عرفت أن هناك معركة حامية فى الأوساط الأوروبية والأمريكية بخصوص ختان الذكور.. صحيح أننا أول من قمنا بإجراء هذه العملية تحت مخدر موضعى، وتجدون هذا مسجَلاً فى مقبرة أنكاما هور «الأسرة السادسة ٢٣٤٥ ق. م» إلا أن الأوساط الطبية فى إنجلترا ١٩٤٩، وأستراليا ١٩٧١، وكندا ١٩٧٥، أعلنت أنه ليشت هناك دواع طبية – إلا فى القليل النادر – لختان الذكور !

وأنا أحب أن تكون ندوتنا علمية... أسمع فيها الرأى والرأى الآخر.

طلبت الكلمة، قلت: إن نسبة ختان الذكور فى الولايات المتحدة ٦٤٪، وكندا ٣٥٪، وبريطانيا ١٠٪، أما ألمانيا، والدول الإسكندنافية، والاتحاد السوفيتى، والصين، واليابان.. فهى أقل من واحد بالمائة، إلا أن هناك خمس فوائد لختان الذكور:

١– التهابات المسالك البولية أقل بنسبة ١٪ فى الأطفال المختتنين عن غيرهم.

٢– نحن نعرض هؤلاء الأطفال «إذا لم يختتنوا» إلى عملية تحت مخدر عام إذا أرادوا الاختتان عند الكبر.

٣– سرطان القضيب أقل.

٤- الأمراض التناسلية مثل الإيدز والزهرى والهربس... أقل.

٥- سرطان عنق الرحم عند زوجات المختتنين من الرجال أقل.

قام رئيس الهيئة العالمية لمكافحة ختان الذكور فى تورنتو «كندا» يقول: إلى متى سيظل الأطباء عبيدًا للآباء، فى إجراء عملية لا داعى لها ؟! ثم إن الله لم يخلق خلية واحدة فى الإنسان عبثًا.. واسمحوا لى أن أرد على الفوائد الخمسة الخاصة بختان الذكور:

أولاً: التهابات المسالك البولية.. الفرق بسيط جدًّا واحد بالمائة، ويحدث فى الأطفال الذين يعانون ارتجاع البول من المثانة للكلى.

ثانيًا: لم تعد هناك خطورة من المخدر العام، والذين سيحتاجون هذه العملية عند الكبر إنما هم قطرة فى محيط.

ثالثًا: نسبة سرطان القضيب واحدة فى إسرائيل (١٠٠٪ ختان)، والسويد ١٪ ختان، إذن فالأمر نظافة وليس ختانًا !

رابعًا: أوافق زميلى وأشجع ختان الذكور فى البلاد التى ليست فيها ضوابط جنسية أو نواة دينية.

خامسًا: بخصوص سرطان عنق الرحم.. هى مسألة صحية.. يراعى فيها الزوج القواعد الصحية مع زوجته.

وأخيرًا.. اسمحوا لى أن أذكر لكم المضاعفات المحتملة لهذه العملية:

١- النزيف ١٪.

٢- تقيح الجروح.

٣- طهارة غير كاملة مع التصاق الجلد برأس القضيب ١٠٪ ويحتاج لعملية أخرى.

٤- التهابات رأس القضيب (بسبب أمونيا البول فى كافولة الطفل).

٥- قطع جزء من رأس القضيب «كارثة طبية».

٦- فقد الإحساس الكامل لأن الغلفة «الجلدة» بها نهايات أعصاب.

قام مانيتون يقول: أشكر لكما الرأى والرأى الآخر، وأطلب من كاتب هذه السطور أن يدلى برأيه وتوصياته.

قلت: إن الختان ليس مسألة طبية فقط ولكن ختان الذكور مسألة طقسية دينية جغرافية... بدأت منذ عشرين ألف سنة كأضاح للآلهة (إسالة الدماء البشرية)... ثم قامت بها مصر القديمة كإجراء صحى... وأخذ عن مصر اليهود كعهد بين الله وشعبه المختار.. ثم أخذت باقى الشعوب عن مصر هذا التقليد، ولكن دعونى أؤكد على كل من يجرى هذه العملية أن يتأكد أولاً أنه ليست هناك أمراض سيولة الدم فى الأسرة أو الطفل خوفًا من النزيف، أيضًا فحص الأعضاء التناسلية للطفل خوفًا من وجود تشوهات خلقية، حيث إننا نحتاج إلى الغلفة «الجلدة» فى إصلاح هذا التشويه.

وأخيرًا تأجيل العملية لما بعد ثلاث سنوات من عمر الطفل حتى يتم انفصال الجلدة عن رأس القضيب تمامًا بصورة طبيعية، ولعل أجدادنا القدماء كانوا يحرصون على أن يجروا هذه العملية فى عمر عشر سنوات لهذا السبب الذى عرفناه فى القرن العشرين.

■ تقبيل الرجال للرجال

أراد واحد منا أن يقبل مانيتون، فأشاح بوجهه بعيدًا قائلاً: لم تكن هذه العادة (تقبيل الرجال للرجال) موجودة عندنا فى مصر القديمة.. صحيح تجدون رسومًا على الجداريات لإخناتون وهو يقبل إحدى بناته.. وهذا دليل على أننا عرفنا التقبيل منذ آلاف السنين، لكن ليس بين الرجال بعضهم وبعض!

فالقبلة عمل إنسانى راق.. وهى لغة غير منطوقة تقول.. إنى أعطيتك قلبى.. أعماقى.. داخلى؛ ذلك لأن الشفاه يلتقى فيها الجلد بالغشاء المخاطى المبطن لداخل الإنسان كله!

والقبلة هى تلامس أى جزء من الوجه أو اليد أو الرأس مع شفاه الإنسان الآخر.

وتختلف القبلة وطقوسها من شعب لشعب آخر.. فمثلاً نجد فى الصين واليابان.. القبلة طقسًا شديد الخصوصية... لا يراه أحد أبدًا.. أما الإسكيمو فالقبلة بحك الأنوف !! أما فى جنوب شرق الهند فالأنف والفم على خد الآخر مع الشهيق !!

أما الأفارقة فلم يعرفوا التقبيل إلا بعد دخول الرجل الأبيض، وحين شاهدوا «لأول مرة» أوربيًّا يقبل زوجته انفجروا ضاحكين؛ لأنهم اعتقدوا أنه يأكل شفتيها.

قام أحد الأطباء يقول: القبلة الوحيدة المسموح بها بين الطبيب وأحد مرضاه هى قبلة الحياة Kiss of Life حين يتوقف القلب والتنفس.. وتكون خلال قناع Mask مخصوص. وهى لحظات حرجة للطبيب والمريض.. يتمنى الاثنان ألا تحدث أبدًا.

استطرد الطبيب يقول: إن عضة بشرية قد تؤدى إلى تسمم دموى وتودى بحياة إنسان؛ ذلك لأن ميكروبات الفم والأسنان أشد خطرًا من بكتيريا الأمعاء! إن أكبر خبيرة فى أمراض الكبد هى الدكتورة شيلا شيلوك البريطانية.. تعتقد أن فيروسات الالتهاب الكبدى C تنتقل بوسائل مختلفة منها ذقن المصاب الحليق إلى ذقن حليق آخر صاحبه غير مصاب؛ لأن المسام مفتوحة عند الرجلين، وتعتقد شيلا أن عادة التقبيل بين الرجال قد تكون سببًا من أسباب ارتفاع نسبة الإصابة بفيروس C فى مصر (٢٠ - ٥٣٪) وهى أعلى نسبة فى العالم كله.

قام عباس العقاد يقول: لقد أفسد الأطباء علينا حياتنا.. القبلة بين الرجل وزوجته أحد رموز الحب.. وقد وجدنا أجسام المناعة فى لعاب المحبين.

كما وجدنا أن نسبة الإصابة بالزكام والبرد والإنفلونزا سبعة أضعاف عند غير المحبين (التغيرات البيوكمياوية فى الحب - مارجريت هيدفيلد).

كما لاحظنا أن نسبة سرطان الثدى تزداد بعد موت الأزواج؛ وذلك بسبب انهيار جهاز المناعة، الحب يا قوم هو سر الوجود

والقبلة أهم علاماته. وأنشد يقول:

شفاه أذوق منها طعم الحياة   وهل طعمها غير طعم القبل

تسمونها قبلة واسمها   رحيق الحياة ورى الأمل

قام مانيتون يقول: فى البدء كانت مصر.. وفى البدء كان الحب فى مصر.. أحببنا الله وهذا هو الإيمان، وأحببنا الناس وهذا هو الخير، وأحببنا الأقربين وهذه هى المودة والرحمة.

■ التصوير فى مصر القديمة

قال واحد منا لمانيتون المؤرخ المصرى السمنودى ٢٨٠ق.م حدثنا يا سيدى عن فن التصوير فى مصر الفرعونية.. إننا مبهورون بروعة الرسم ووضوح الألوان وثباتها.. وكأن الفنان انتهى منها بالأمس القريب.. وهى تتحدى الزمن منذ آلاف السنين.. صحيح ما قاله أفلاطون: «علموا أولادكم كيف نتذوق الفنون، ثم بعد ذلك أغلقوا السجون» !! قال مانيتون: استخرجنا الألوان من الزهور، وثمار الأشجار، والحشرات «الفراشات» ونبات النيلة، ولكننا وجدنا الألوان تبهت بمرور الزمن، فاستخدمنا أكاسيد الكوبالت المشع للون الأزرق، كما استخدمنا الكروم، والكادميوم، والتيتانيوم، والمنجنيز لباقى الألوان.

وهناك لون أزرق خاص بنا.. ويعرف عالميًّا بالأزرق المصرى Egyptian Blue وكنا نحضره بصهر السيلكا «الرمل» فى درجة حرارة ١٠٠٠ مئوية.. وكما تعرفون.. عندما يسيح الرمل فى ٩٠٠ درجة مئوية يصبح لونه أخضر ثم أزرق فى ١٠٠٠ درجة مئوية، ثم شفافًا فى ١٢٠٠ درجة مئوية، كنا نطحن الزجاج الأخضر أو الأزرق للحصول على بودرة ألوان خضراء أو زرقاء.. نستخدمها بعد ذلك فى التلوين !!

جدير بالذكر أننا كنا نحصل على درجات الحرارة العالية بالنفخ فى النار لزيادة ما تسمونه الآن بالأكسجين.

استطرد مانيتون قائلا: لماذا تسألوننى ومعنا الدكتور «حسين محمد على» أستاذ الترميم فى جامعة المنيا ؟! أرجو أن يتفضل ويكمل لنا هذا الموضوع.. خصوصًا أنى قد عرفت أنه اشترك فى ترميم وتلوين مقبرة نفرتارى فى بنى حسن.

تقدم دكتور حسين قائلاً: كان أجدادنا عباقرة حقًا.. استخدموا أكاسيد الحديد من الهيماتيت، والسناج «هباب المصابيح» Lamp Black للون الأسود لأنه ٩٩٪ كربون خالص، كما استخدموا العصفر والكركم والكركديه، أما اللون القرمزى فكانوا يحضرونه بغلى الفراشات القرمزية فى الماء.

وكانوا يدهنون الجدران بصفار بيض البط.. (فلم يعرف الدجاج فى ذلك الوقت) لسد الثقوب فى الجدران.. ثم يختارون وسيطًا للون كالغراء (من حوافر الحيوانات) أو شمع عسل النحل أو زلال البيض مع الخل أو الصمغ من شجر السنط.

وكان التصوير «بالرسم أو الحفر» عندهم نوعين:

١- التمبرا Tempera وهو خلط الألوان مصحونة بوسيط مثل الصمغ أو زلال البيض أو شمع مذاب.

٢- الفرسكو المصرى Fressco وهى من Fresh - أى طازج- وهو تغطية الجدار (الطوب النىء) بطبقة من الملاط؛ أى الطين والجبس قبل رسم اللوحة.

أما التصوير الشمعى.. فأنتم تجدونه فى ثمانى مقابر فى جبانة طيبة (الأسرة ١٨)، كما عرفوا التذهيب: أى تكسية التماثيل الخشبية برقائق الذهب بعد طلائها بالغراء.

أما الفرشاة فكانت إصبع الفنان! أو بوصة، أو ريشة طائر، أو ريشة من الصوف أو الكتان، أو فرشاة معدنية ساخنة للألوان الشمعية.

أما الترميم يا أصدقائى فهو محاولة الحفاظ على الأثر على ما هو عليه، ويتم ذلك بمواد تسهل إزالتها عند تطور العلوم.. ومن الضرورى استخدام ما هو أفضل منها، ونحن تقابلنا مشكلة الأملاح على التماثيل.. وحل هذه المشكلة هو كمادة من الطين والرمل بنسبة ١: ٧، هذه المادة تذيب الملح وتزيله.

■ السحر!

قلنا لمانيتون: قرأنا لأحد علماء المصريات قوله: ضع كلمة تكنولوجى بدلاً من كلمة سحر.. تعرف الكثير من أسرار الفراعنة. كيف كنتم ترتفعون بالأحجار العملاقة، والتى يصل وزن أحدها خمسة عشر طنًّا حتى تكون سقفًا، وما حقيقة الأمر فى موضوع الزئبق الأحمر الموجود داخل المومياوات؟! حبذا لو ركبنا آلة الزمن مع «هـ.ج. ويلز» وارتحلنا خمسة آلاف سنة إلى الماضى البعيد.. على أن تكون مرشدنا وضامنًا لنا سلامة العودة !

هو ذا نحن فى معبد بتاح فى منف.. كان الكاهن قادرًا على إخفاء الأشياء وإظهارها، كما كان قادرًا على الارتفاع فى الهواء Levitation وكأنه ألغى قانون الجاذبية الأرضية.. تذكرنا «كولن إيافانز» البريطانى وقدراته الخارقة.. اعتقدنا أن كهنة مصر القديمة توصلوا إلى قانون «أينشتين» تحويل المادة إلى طاقة والعكس صحيح.

اتجهنا بعد ذلك إلى معبد زايس فى صان الحجر.. كان السحرة يلقون بعصيهم فتتحول إلى ثعابين، كان الساحر المصرى حورو فى مباراة مع الساحر الحبشى.. أشعل الحبشى النار فى قصر فرعون، فقرأ حورو تعويذة أنزلت الأمطار بغزارة فأطفأت النار.

اتجهنا إلى شاطئ بحيرة جميلة.. سفينة ذهبية عليها الملك سنفرو والأمير مروى، والساحر «جاجام عنخ» وعشر من الجميلات، سقط قرط الأميرة فى البحيرة،فقرأ الساحر تعويذة، ظهر قاع البحيرة، التقط الساحر القرط وقدمه للأميرة.

هو ذا قصر الملك خوفو والساحر جدجدى.. يقطع رأس الثور ثم يقرأ تعويذة، فيلتحم الجسم بالرأس وينتصب واقفًا ويخور خوارًا عظيمًا.

ركبنا آلة الزمن وارتجلنا إلى سيوة. وجدنا تمثال آمون العظيم وحوله الكهنة وأمامه الإسكندر الأكبر! تحرك التمثال ناحية الإسكندر قائلاً له: أنت ابنى وقد ولدتك أمك بدون زرع بشرى، من الروح القدس.. متى؟! كيف تحرك التمثال وتحدث إلى الإسكندر ؟! لا نعرف !

طلبنا من مانيتون أن يفسر لنا ما نراه، قال: هؤلاء السحرة لا يغيرون من طبيعة الأشياء، بل من طبيعة الحواس أو ما تسمونه التنويم المغناطيسى، فترى العين، وتسمع الأذن، ما يوحى به الساحر.

كما أن قلة قليلة من الكهنة تميزوا بموهبة الـ E.S.P أو Extra Sensory Perception أى استقبال المعلومات والأحداث خلال قنوات غير الحواس الخمس.. مثل التخاطر، والجلاء البصرى، ومعرفة الأثر، ومعرفة المستقبل، ومعرفة الماضى، وهكذا! كما وهب بعض منهم خاصية الـ P.K أو Kinesis Psycho - ؛ أى قدرة

الطاقة النفسية السيطرة على المادة.. مثل تحريكها أو نقلها أو الارتفاع بها فى الهواء.

أما مسألة أحجار الهرم فهى Human Mega Machine أى الآلة البشرية العملاقة، وسنعرض لها فيما بعد.

غربت الشمس، ركبنا آلة الزمن حتى نعود للحاضر.. كان مانيتون يردد:

دواؤك معك ولا تبصر وداؤك منك ولا تشعر

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

■ كيف عرفوا البييضة الملقحة؟!

قلنا لمانيتون المؤرخ المصرى السمنودى المولد ٢٨٠ قبل الميلاد: حدثنا يا سيدى وأفصح قليلاً عن بعض أسراركم! فكلما تعمقنا فى تاريخكم ازددنا انبهارًا بكم ! بل حيرة فى أمركم!!

لقد زرنا مقبرة رمسيس السادس فى وادى الملوك وبالتحديد غرفة الدفن.. فشاهدنا عجبًا!

لقد شاهدنا يا سيدى على أحد جدران هذه الغرفة.. رسمًا لحيوان منوى وبجانبه صورة لبييضة، ثم صورة هذا الحيوان المنوى وهو يخترق البييضة، ثم انقسام هذه البييضة الملقحة إلى خليتين ثم أربع خلايا، وهذا يؤكد أن ما نراه حيوان منوى وبييضة وليس شيئًا آخر.

تقدم أ.د. عادل إمام أستاذ القلب قائلاً: أنا كطبيب أعرف أن أربعمائة مليون حيوان منوى يمكن وضعه فى رأس دبوس إبرة!.

إن لدى شريحة Slide تصور هذا السر العلمى الذى وصل إليه أجدادى العظماء أعرضها فى مؤتمرات الداخل والخارج.. كما أن هذه الصورة موجودة فى كتاب وادى الملوك.. أفق الأبدية صف ٢٧٢، وصف ٣٢١ لمن أراد الاطلاع عليها.

قال واحد منا: ليس هذا فقط، بل نجد فى بردية آنى فصل ١٧ صورة لحيوان منوى بالرأس والنواة والذيل، وقد وصفته عالمة

المصريات الفرنسية مدام لاروش نوبل كور صاحبة كتاب رمسيس الثانى الذى برأته من ادعاءات اليهود بأنه فرعون العبور.

استطرد صاحبنا: فهل كان لدى الأجداد ميكروسكوبات ترى بواسطتها هذه الكائنات الدقيقة؟! بل كيف عرفوا وشاهدوا انقسام البييضة الملقحة وهى لا تنقسم إلا داخل جسم المرأة أو مراكز التلقيح المجهرى التى لم تظهر للوجود إلا منذ بضع سنوات؟

قال مانيتون: أنتم تعرفون أننا صنعنا الزجاج من السليكا بألوانه الثلاثة.. الأخضر، والأزرق، والشفاف، كما صنعنا العيون الزجاجية، كما توصلنا لصناعة العدسات التى استخدمناها فى صناعة الميكروسكوبات والتلسكوبات، أعرف أنه ليس هناك دليل مادى على ذلك، ولكنكم ستعثرون عليه فى الأيام القادمة، فلا يمكن معرفة حضارة آلاف السنين فى مائتين من السنوات.

هل تعرفون أن كلمة منوى إنما هى من الإله «مِن» Min إله الخصوبة عندنا، وقد أخذها الغرب أيضا فأصبحت Semen أى السائل المنوى، كما أخذ اليونان نفس الفكرة وأصبحت الإله بريابوس صاحب العضو المنتصب دائمًا، وقد أخذ الأطباء هذا الاسم وأطلقوه على حالة مرضية تصادفهم وهى الانتصاب المؤلم الدائم وسميت Priapism.

جدير بالذكر أنه إذا حدثت هذه الحالة فى الأطفال فعليكم بتحليل الدم؛ لأن احتمال سرطان الدم وارد فى هذه الحالات.

ولا تنسوا الخس فى طعامكم فقد كان يقدم للإله يوم احتفالنا بموسم الحصاد.

■ متحف للطب فى مصر القديمة

قلنا لمانيتون المؤرخ المصرى السمنودى ٢٨٠ ق.م: أليس حرامًا أن تكون بردياتنا الطبية خارج بلادنا.. بردية إيبرز فى جامعة ليبزج «ألمانيا» وبردية هيرست فى كاليفورنيا، وبردية إدوين سميث فى نيويورك، وبردية شستر بتى فى المتحف البريطانى، وبردية برلين فى متحف برلين، وغيرها كثير فى لايدن، وتورين فى روما وبودابست !

لماذا لا ننشئ متحفًا للعلوم الطبية فى مصر القديمة نسترد فيه بردياتنا ونجمع فيه آلاتنا الجراحية، ونوضح فيه ما وصلنا إليه من إنجازات؟ لقد قال هيرودوت: المصريون لهم شهرة عظيمة لمعارفهم الطبية، كما كتب وارن داوسن: إن أسس العلوم الطبية جميعًا وضعت فى مصر منذ خمسين قرنًا من الزمان!

قال مانيتون: دعونى أتصور أننا نحتفل بافتتاح هذا المتحف بعد ثلاث سنوات أى سنة ٢٠٠٩ م.

هو ذا إمحوتب إله الحكمة والكتابة والطب، المهندس العظيم الذى بنى الهرم المدرج فى الأسرة الثالثة ٢٦٦٦ ق.م.. إننى أتصور تمثاله فى مدخل المتحف، وبجواره كتابه بالعربية والإنجليزية والفرنسية، كتابة ظاهرة واضحة وليست باهتة

بحروف صغيرة كالمتحف المصرى! كما أتصور تسجيلاً بلغات مختلفة لمن أراد أن يسمع بدلاً من القراءة.

يقول إمحوتب الذى يعنى اسمه «هذا الذى يأتى فى سلام»: أنا هو الذى كتب أقدم البرديات الطبية فى العالم كله، والمسماة الآن بردية إدوين سميث.

كان وزيرًا للملك زوسر، وحاملاً لخاتم الملك، ومشرفًا على كل شيء فى البلاد.

هل تذكرون يا أبنائى -وبعض منكم كانوا فى كليات الطب- كيف كنتم تعلقون شارة إمحوتب الجميلة على صدوركم؟ أين ذهبت ؟ هل تعلمون أن الكتاب السنوى الذى تصدره جامعة بوسطن فى الولايات المتحدة الأمريكية اسمه «إمحوتبيان؟ Imhotebia.

كما أن يحيى كوجك المفكر السعودى أنشأ جمعية فى مدينة نصر اسمها جمعية «إمحوتب العلمية»؟

استطرد مانيتون:

أتصور قسمًا فى المتحف للآلات الجراحية؛ الإبر الذهبية والفضية، والجفوت، والأوانى، والميزان «للعقاقير»، والمناشير، ومعالق الكحت، وآلات الكى، والمشارط، وآلات التربنة، والخيوط الجراحية المصنوعة من الكتان أو أمعاء القطط، والمقصات، وغيرها كثير، ولعلكم تذكرون مقبرة الطبيب التى اكتشفت منذ بضعة أشهر، كل هذه الآلات لدينا، لماذا لا نعرضها بدلاً من وضعها فى المخازن؟

أتصور أقساماً مختلفة لفروع الطب التى تخصص فيها أجدادكم، حتى إنه كان هناك تخصص للأمراض غير المعروفة أسبابها حتى أمراض المستقيم، كان لها اختصاصى يسمى راعى الشرج! أتصور يا أبنائى قسماً للأسنان نعرض فيه سلوك الذهب لتثبيت السن القلقة مع السن التى بجوارها! كما تعرض فيه عمليات «التربنة» الصغيرة فى الفك الأسفل لاستخراج الصديد من تحت الضرس بدلاً من خلعه! نعرض مواد الحشو التى كانت من سلفات النحاس والعسل الأبيض والصمغ!

نعرض فى هذا القسم زراعة الأسنان منذ آلاف السنين وملاحظاتهم الدقيقة.

«تثبت السن المزروعة إذا كانت من توءم ولا تثبت إذا كانت من غيره».

■ ريش الإوز وكبد الثور !

الزمان: ٢٠٠٩ ميلادية.

المكان: المتحف المصرى للعلوم الطبية بالقاهرة.

المرشد: مانيتون المؤرخ المصرى ٢٨٠ ق.م.

المجموعة: فوج سياحى من بلاد العالم.

قلنا لمانيتون: حدثتنا الأسبوع الماضى عن إمحوتب، وأخذتنا إلى غرفة الآلات الجراحية ثم إلى قسم الأسنان، فماذا نرى اليوم؟!

أخذنا مانيتون إلى بهو طب العيون.. قال: هى عين حورس التى تتصدر كل تذكرة طبية فى أى بلد من بلدان العالم ! أنتم تعرفون الأسطورة التى تقول إن الحرب قامت بين حورس وعمه الشرير ست الذى تنكر على هيئة خنزير أسود، وفقأ عين حورس، ولكن تحوتى أسطورة... إله الحكمة أعاد عين حورس إلى ما كانت عليه. وحين يرسم الأطباء هذا الرمز فهم يقولون لمرضاهم سوف نعيد إليكم صحتكم كما أعاد تحوتى عين حورس إلى ما كانت عليه.

استطرد مانيتون: انظروا إلى هذه اللوحة، إنها من مقبرة إيبوى، إنها جراحة فى العين لعتامة العدسة التى تسمونها المياه البيضاء، وكنا نسميها ارتفاع المياه Rise Of Water وسماها اليونان كاتاراكت؛ أى شلالات المياه!

إن الجراح المصرى القديم كان يشفط العدسة المعتمة بأنبوب رفيع أو يدفعها من مكانها فتسقط فى خزينة العين الخلفية، بعيدًا عن مسار الضوء فيرى المريض جيدًا بعد ذلك.

ها هو الملقاط الذى كنا نلتقط به الشعرة من جفن العين، وها هى أنواع الكحل المختلفة خصوصًا الكحل الأخضر الذى كنا نعالج به التهاب الجفون لاحتوائه على آثار من النحاس، وهذه الآثار قاتلة للميكروبات خصوصًا هذا النوع الذى تسمونه: ستاف أورس! ها هى جمجمة وبها عين صناعية من الزجاج لإنسان فقد عينه، إن الزمن يقدر على الأنسجة ولا يقدر على الزجاج.

شاهدنا مجموعة من ريش الإوز، سألنا مانيتون عنها قال: كنا نستخدمها قطّارات للعيون «جمع قطارة».

ها هى صورة من بردية إيبرز وفيها وصفة للعشى الليلى، شواء كبد الإوز، ولا يخفى إيبل Ebbell إعجابه الشديد.

إنه رائع حقًّا أن يعرف القدماء أن كبد الثور غنى جدًّا بفيتامين «أ» الذى يشفى من العشى الليلى.

ها هو نفرتس Nefertes أشهر طبيب عيون فى الدولة القديمة ٢٧٨٠ ق.م.! وجدنا صورة لقورش ملك الفرس وصورة لهيرودوت سألنا عنهما.. قال مانيتون: أما قورش «والد قمبيز» فلأنه استعان بأطباء العيون فى مصر لمهارتهم التى طبقت الآفاق، وأما هيرودوت فلأنه القائل إن هذه الشهرة كانت سببًا فى غزو فارس لمصر! تمتم مانيتون قائلاً:

لا رعــاك الله يا يــوم قمــ بيز ولا طنطنت بك الأنبياء

علمت كل دولــة قـد تـولت أننا سُمُّهــا وأنَّـا الــوبــاء

ارتوى سيفها منا فعاجلها الله بسيف ليس له ارتواء

■ «الولادة»... جلوسًا !

الزمان: ٢٠٠٩ ميلادية

المكان: المتحف المصرى للعلوم الطبية فى مصر الفرعونية.

المرشد: مانيتون المؤرخ المصرى السمنودى ٢٨٠ ق. م..

المجموعة: فوج سياحى من أنحاء العالم كافة.

قلنا لمانيتون: لقد كنت مرشدنا لأقسام الأسنان وطب العيون، وقسم خاص للآلات الجراحية.. واليوم نريد أن تشرح لنا ما سوف نراه فى جناح أمراض النساء والتوليد فى مصر القديمة.

ها هو كرسى الولادة الذى ترون مثله فى المتحف المصرى فى ميدان التحرير.. كانت المرأة تلد على كرسى لا مقعدة له! كانت المرأة المصرية تلد وهى جالسة.. وليست على ظهرها كما تفعلون الآن... ويقول أستاذنا الدكتور محمد فياض: «إن آلام الولادة فى هذا الوضع (الكرسى) أقل كثيرًا من الوضع الحالى...» جدير بالذكر أن الولايات المتحدة اتبعت هذه الطريقة منذ خمس سنوات!!!

انظروا ها هى وسائل منع الحمل التى اتبعناها منذ آلاف السنين.. إنها لوالب نحاسية كنا نضعها فى الرحم! وفى مؤتمر النساء والتوليد فى سينجابور أهدت إحدى الشركات للدكتور

محمد فياض نماذج من هذه الوسائل التى تمنع الحمل: ويقول الدكتور فياض: «لمعت عيناى بالدموع.. وانحنيت إعجابًا لأجدادى العظماء».

وجدنا البصل والثوم... وعرفنا أنهما كانا من وسائل تشخيص انسداد أنابيب فالوب من عدمه... وتجدون شرح الطريقة فى بردية كاهون.

كما وجدنا القمح والشعير... لتشخيص الحمل من عدمه.. بأن تبلل هذه الحبوب ببول المرأة، فإن كانت حاملاً فى ذكر نبت القمح، وإن كانت حاملاً فى أنثى نبت الشعير.. أما إذا كانت غير حامل فلا ينبت شىء منهما.

كان بجوار القمح والشعير صور لبول غاليونجى. أستاذ الغدد الصماء وأحمد عمار أستاذ النساء والتوليد. اللذين أجريا تجارب... وأثبتا صحة ما توصل إليه الأجداد!

وجدنا غرفة نظيفة فى حديقة... اسمها الماميزى كانت تعزل الأم فيها بعد الولادة لمدة أسبوعين.. لا يزورها أحد إلا من يقدم لها الطعام... خوفًا من حمى النفاس!

هذه العناية بالمرأة قبل وبعد الولادة عرفتها مصر منذ آلاف السنين وعرفتها الولايات المتحدة ١٨٩٨ كما عرفتها فرنسا ١٩١١ !

وجدنا صورة لطبيب فرعونى يفحص ثدى امرأة لوجود ورم... ومكتوب:

إذا تحسست ورمًا براحة اليد فى ثدى المرأة ووجدته فجًا كالفاكهة غير الناضجة.. فقل لأهل المريضة: هذا داء لا حيلة لى فيه !!!

جدير بالذكر يا أصدقائى أن كتب الجراحة التى بين أيديكم... تصف سرطان الثدى.. بأن الطبيب يحسه براحة اليد، وأنه كالكمثرى غير الناضجة.

ألا يؤكد هذا ما قاله عالم المصريات وارن داوسن: إن أسس العلوم الطبية جميعًا.. وضعت فى مصر منذ خمسين قرنًا من الزمان؟!

■ النساء يستحممن مرتين

الزمان : ٢٠٠٥ ميلادية

المكان: المتحف المصرى للعلوم الطبية فى مصر القديمة

المرشد: مانيتون المؤرخ المصرى ٢٨٠ ق.م

المجموعة: مجموعة سياحية من جميع أنحاء العالم.

قلنا لمانيتون: لقد أوشكت جولتنا داخل المتحف على الانتهاء.. لقد شاهدنا معك أقسام الجراحة؛ والآلات الجراحية، والأسنان، وطب العيون، وقسم النساء والتوليد، ولم يعد باقيًا إلا أن نرى آخر أقسام المتحف، ألا وهو الصحة العامة.

وجدنا آنية من النحاس، والفخار، والبرونز، وبجوارها مسحوق رمادى.. قال مانيتون: هذا المسحوق مكون من ملح النطرون والصودا وتراب الفرن! هذا هو «الصابون» الذى كنا نستخدمه لغسل الآنية وإزالة الدهون.

فى مكان آخر شاهدنا قططًا محنطة وبجوارها كرات من الدهن، وأوتارًا لآلة الهَارْب الموسيقية، وخيوطًا جراحية CATGUT ، كما وجدنا فئرانًا محنطة..! قال مرشدنا: حين كانت القطط تكبر وتموت، كنا نأخذ منها دهونها وأمعاءها قبل التحنيط، أما الأمعاء فكنا نصنع منها الخيوط الجراحية وأوتار الهارب، العود، القيثارة!

في مكان آخر شاهدنا نموذجًا لحمَّام فرعوني؛ الدش لصب الماء من فوق، والجدران مغطاة بصفائح البرونز، وبلاعة بغطاء بسلسلة!

قال مانيتون: انظروا إلى هذه اللوحة.. إنها لسيدة تستحم.. جالسة على كرسي، ومعها فتاتان؛ إحداهما تصب الماء على رأسها، والثانية تقدم لها وردة. استطرد مانيتون: لعلكم قرأتم ما كتبه هيرودوت: المرأة تستحم مرتين كل يوم في مصر. إن قيود النظافة شديدة، خصوصًا على رجال الدين، ولكن يبدو أن مناصبهم الرفيعة تعوضهم عن هذا العناء!!

وجدنا مواسير نحاسية قطرها ذراع أي ٥٢ سم.. سألنا عنها.. قال مانيتون.. إنها مواسير للصرف الصحي! كانت تمتد من كل بيت ٤٠٠ متر بعيدًا عنه! وحين زار هيرودوت مصر قال: عجبت للمصريين! يتناولون طعامهم بالخارج، ويقضون حاجتهم بالداخل! قال مانيتون. كان العالم كله يقضي حاجته في الخلاء.. أما أجدادكم فهم أول من نبه العالم لنظام الصرف الصحي.. المعمول به الآن.. ليس هذا فقط، بل كانت لدينا أنواع مختلفة من دورات المياه.. ولكن أهمها من الناحية الإنسانية.. هذا النوع المتنقل للمرضى.. حين نخرج في رحلاتنا للصيد.. حتى لا نلوث البيئة.. كما كنا نستخدم تركيبة من الفحم وبعض الكيماويات.. ونحرقها للتبخير حتى نطرد الذباب.

■ نظرية «الزَّهرية المكسورة»!

طلب مانيتون.. المؤرخ المصرى القديم ٢٨٠ ق.م أن نلتقى فى ندوتنا الأسبوعية عند الهرم الأكبر.. لأنه يحمل لنا مفاجأة علمية!

قال مانيتون: اليوم أحمل لكم مفاجأة.. نظرية جديدة فى كيفية بناء الهرم، هذا الإعجاز الذى أطار صواب علماء المصريات فى كافة أنحاء العالم!

•

هل قرأتم كتاب أريك فون دانكشتين صاحب كتاب «عجلات الآلهة» ؟ القائل: إن سكان الكواكب الأخرى هم الذين بنوا الهرم!! ذلك لأن نعومة سطح الحجر وصلت إلى ١ على ٢٠٠ من البوصة، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا بأفران تصل درجة حرارتها إلى «٢٠٠٠» ألفى درجة مئوية، وهذا لا يمكن أن يكون!!

استطرد مانيتون قائلاً: هذا صحيح يا أبنائى إنكم لا تستطيعون أن تُدخِلوا دبوسًا أو موسى حلاقة بين حجر وآخر!

هذه العبقرية المصرية.. اكتشفها حفيد من أحفاد الفراعنة.. إنه المهندس لبيب هانى حليم يوسف.. وقبل أن أقدمه لكم أحب أن أنبِّه إلى أنه سجل نظريته هذه فى وزارة الثقافة. الإدارة المركزية للشئون الأدبية والمسابقات.. إدارة حقوق المؤلف وارد رقم ١٤٥ بتاريخ ٢٠٠٢/٧/٢٨.

تقدم المهندس هانى يقول: إن عبقرية أجدادنا العظماء إنما هى فى بساطتها!! لقد لاحظت أن أحجار الهرم ليست متساوية أو حتى منتظمة الشكل كما لاحظت أرقامًا باللون الأحمر على الحجارة.. كما لاحظت وجود علامات قد تكون دالة على مجموعات العمال.. عمال فرق النقل.. أو المحاجر أو البنائين!

تخيلوا معى زهرية كسرت.. ونحن نعيد لصق قِطَعها من جديد.. أو تخيلوا تمثالاً وقع فكسر.. ونحن نحاول إعادته إلى ما كان عليه من جديد.. هذه النظرية.. ببساطة شديدة هى نظريتى فى بناء الهرم.

كان عمال المحاجر.. يأخذون الحجارة من:

١- هضبة الأهرام.

٢- طرة والمعصرة.

٣- أسوان «الجرانيت». وكانوا يكسرون الحجر إلى قطع «٢-٥ أطنان».

سواء بالإزميل النحاسى.. أو الخوابير الخشبية فى فتحات ١٢ سم.. ثم يسقونها بالماء فيتمدد الخشب ويكسر الحجر إلى أجزاء.. يضعون أرقامًا على كل جزء ثم ينقلونها إلى موقع الهرم حيث يعيدون تركيبها طبقًا لأرقامها وكانوا يضعون مونة خفيفة حتى يسهل انزلاقها بعضها على بعض.. وليس تثبيتها!

■ البساطة العبقرية

تحدثنا الأسبوع الماضى عن نظرية جديدة فى بناء الهرم الأكبر.. وصاحب هذه النظرية المهندس لبيب هانى حليم يوسف، وقد أوضح لنا كيف كان المصريون القدماء يكسرون الأحجار من:

١- الحجر الجيرى الموجود فى هضبة الأهرام.

٢- أحجار الكساء الخارجى من الحجر الجيرى الأبيض الذى تشتهر به محاجر طرة والمعصرة ووادى حوف، وهو أكثر صلابة من أحجار هضبة الأهرام.

٣- الجرانيت، وتم إحضاره من محاجر أسوان، وقد استخدم فى بناء غرفة الدفن الرئيسية فى هرم خوفو.

كما أوضح لنا كيفية قطع الأحجار بالإزميل النحاسى والخوابير الخشبية داخل الحجر، وحين تتمدد بالماء تفلق الحجر إلى أجزاء يتراوح وزنها من ٢ إلى ٥ أطنان، تأخذ هذه القطع أرقاما حتى يعاد تركيبها فى جسم الهرم!

استطرد هانى قائلاً: هذه الأرقام والعلامات أشار إليها د. زاهى حواس، وعالم المصريات رايزنر، وقد جمع أحد الباحثين ١٦٠٠ علامة من هذه العلامات داخل هرم بيبى الأول، كما وجدت داخل الهرم الأكبر فى الغرف الصغيرة أعلى غرفة الدفن الرئيسية.. هذه العلامات والكتابات تحوى أسماء لجماعات

العمال مثل «أتباع خوفو» «المخلصين للملك» «أبناء منطقة... «أشداء منطقة»»، هذه الأرقام، والعلامات، والكتابات، إنما هى لتنظيم وتقسيم العمل والعمال.

كان عدد الأحجار التى توضع فى بناء الهرم حوالى ١٠٠٠ حجر يوميًا!! على مدى عشرين عامًا.. أربعة أشهر الفيضان فقط من كل عام.

كانت الأحجار تنقل من أماكن القطع إلى أماكن البناء بواسطة المراكب، الزحافات الخشبية، SLEDGES، معابر منحدرة بين الهرم والسفح RAMPS وكانوا يستخدمون مونة مكونة من الرمل والجبس والجير بين الأحجار حتى يسهل التحكم فيها ووضعها فى المكان المطلوب بالاستعانة بالروافع الخشبية من عروق الأشجار.

بعد تركيب الأحجار بنفس وضعها الأصلى فى المحجر بجوار بعضها، يقوم قاطعو الأحجار فى موقع البناء بالتدخل فى تشكيل الأحجار.. فقط عند الأركان وأماكن التقاء الأحجار، وهذا يفسر لنا الفواصل الشعرية بين الأحجار كما يفسر سرعة هذا الإنجاز الهائل فى أربعة أشهر فقط، من كل عام على مدى عشرين عاما!

أما عن كيفية إعطاء الأحجار.. الزوايا والأشكال المطلوبة.. فقد كانت باستخدام الأحبال الرفيعة (الدوبار) والمسامير.. لعمل مسطحات مستوية، مثل الطريقة المتبعة حاليًا فى بناء الحوائط ووضع بلاطات القيشانى.

إن عبقرية أجدادنا تكمن فى بساطة الطريقة التى بنوا بها.. والتى غابت عن «إريك فون دانكشتين» فقال فى كتابه «عجلات الآلهة» إن سكان كوكب آخر نزلوا إلى الأرض لبناء هذا الإعجاز المعمارى.. الهرم الأكبر.

■ أمراض فى مصر القديمة

ترى ماذا كانت الأمراض التى تصيب المصريين فى مصر القديمة؟ وما الفحوص التى استخدمت للكشف عن هذه الأمراض؟

فى سنة ١٨٢٥ ميلادية. نشر عالم المصريات الطبيب أوغسطس جرانفيل Augustus Granville دراسته عن مومياء لسيدة مصرية من الأسرة ٢٦، وقد عرف ذلك من شكل غطاء التابوت، وقد جاء فى هذه الدراسة.. أن عمر هذه السيدة يتراوح ما بين ٥٠ و ٥٥ سنة، وأنها أنجبت أطفالا وأنها كانت تعانى مرضًا بالمبايض.. اعتقد جرانفيل أنه سرطان، ولكن الدراسات الحديثة التى سنعرض لها فيما بعد أثبتت أن سبب الوفاة كان التهابا رئويا ولم يكن سرطانا.

وفى سنة ١٨٢٨ م فحص ويليام أوسبورن من ليدز بإنجلترا مومياء كاهن مصرى من الأسرة ٢٠، وكان يدعى ناصف آمون، ولكن فريق البحث الجديد الذى أعاد الفحص فى مانشستر سنة ١٩٨٩م اكتشف أن صاحب المومياء كان يعانى تسوس الأسنان، وتآكلا فى غضاريف الفقرات العنقية، مع خشونة فى مفصل الحوض الأيسر. والتهاب فى أعصاب العين.

وفى سنة ١٩٠٨ م.. فحصت عالمة المصريات البريطانية دكتورة مارجريت موراى Dr. Margaret Murray فى مانشستر..

مومياوين لأخوين، اكتشفت أن الأخوين من أم واحدة ولكن الأخ الأصغر من أب ليس مصريا، وفى سنة ١٩٧٠ م رسم ريتشارد نييف Richard Neave وهو فنان طبى Medical Arti.. تصورا لشكل رأسى الأخوين.. بناء على شكل جمجمة كل منهما فكانا صورة طبق الأصل من تمثالين خشبيين لهذين الأخوين.. وجدا معهما فى التابوت.

وفى بداية القرن العشرين.. احتفظنا بستة آلاف مومياء من النوبة قبل ارتفاع مياه النيل بسبب خزان أسوان الجديد.. توفر على دراسة هذه المومياوات بالقاهرة.. علماء المصريات.. إليوت سميث، دكتور وود جونز Wood Jones وأستاذ التشريح بقصر العينى دكتور دوجلاس ديرى، وقد عرفنا من دراسة هؤلاء العلماء.. طرق الدفن المختلفة وطقوسه، كما عرفنا طرق التحنيط التى سنعرض لها فيما بعد، كما عرفنا الكثير من الأمراض التى أصيبوا بها.

وقد أتيحت الفرصة لجرافتون إليوت سميث لدراسة مومياء ملكية من الأسرة ١٨ ألا وهى مومياء تحوتمس الرابع.. وكانت أول مومياء تفحص بواسطة أشعة إكس.

لقد كانت دهشة المصريين كبيرة سنة ١٩٠٤ حين شاهدوا فى شوارع القاهرة.. عربة يجرها حصان عليها مومياء فى لفائفها الكتانية لملك عظيم اسمه تحوتمس الرابع فى طريقها لمركز وحيد تجرى فيه الفحوص بأشعة (X)، والتى كانت وقتها نادرة... وباهظة التكاليف وكان فى العربة مع المومياء.. جرافتون إليوت سميث!

■ أشعة X والآثار

تحدثنا الأسبوع الماضى عن بعض الأمراض التى كانت تصيب القدماء، ووسائل الكشف عنها.

وكان آخرها أشعة X التى اكتشفها العالم الألمانى ولهلم رونتجن ١٨٩٥، وكان أول من استخدمها هو عالم المصريات البريطانى فلاندرز بترى ١٨٩٨، وتلاه بعد ذلك جرافتون إليوت سميث ١٩٠٤ الذى فحص مومياء تحوتمس الرابع.

وفى سنة ١٩٣١ كان هناك مشروع ضخم فى شيكاغو لدراسة المومياوات بواسطة أشعة X برئاسة عالم المصريات R.L.Moodie موودى.

وفى سنة ١٩٦٨ أصدر وارن داوسن جراى.. كتالوجا عن المومياوات المصرية فى المتحف البريطانى مصورة بأشعة X.

استطعنا أن نعرف منها كسور العظام، تآكل الغضاريف، وحصيات المسالك البولية، حالة الأسنان، القرابة بين المومياوات، حصيات المرارة، وتصلب الشرايين، عمر المومياء عند الوفاة، خطوط هاريس فى نهاية عظام الأرجل، والتى يدل وجودها على مرض - كالسل مثلا - أصاب صاحب أو صاحبة هذه المومياء.

الغريب أننا اكتشفنا جسم طائر داخل مومياء اشتراها أحد السياح على أنها لطفل صغير... والمؤسف أنها كانت خدعة من البائع للسائح اللبيب!

دخلت الأشعة المقطعية ١٩٩٣ ميدان الفحص والتشخيص فى عالم المصريات، وطبقت هذه الطريقة على كاهنة مصرية من الأسرة ٢٢، كانت المومياء فى المتحف البريطانى، ونقلت إلى مستشفى القديس توماس فى لندن لفحصها بالأشعة المقطعية.. كما كشفت هذه الأشعة عن تحول جديد فى فن التحنيط فقد أفرغوا المخ من أنف الكاهنة، وحشوا الجمجمة بالكتان، وكان القلب موجودا ولكنه انكمش بنسبة ٤٤٪ وقدروا عمر الكاهنة ١٩–٢٣ سنة.

استخدم الميكروسكوب الإلكترونى خصوصًا للأسنان، الشعر، الأظافر، والجلد، وقد بدأ استخدام هذا الميكروسكوب ١٩٦٥، حتى المناظير، استخدمت مع المومياء ٢٢٩٤٠ فى متحف المصريات بمانشستر (إنجلترا) وأخذنا عينة من مخ صاحب المومياء ووجدنا أنه مات بسبب Hydatid أو كيس هيداتيد وهو مرض يصيب الإنسان من دودة شريطية تصيب الكلاب.. تنتقل عدواها للإنسان.. وقد تم التشخيص بعد أخذ عينة بالمنظار.

ومن أكثر وأحدث الأشياء إفادة هو الـ D.N.A أو الشريط النووى الحمضى الوراثى.

والآن تجرى دراسة مقارنة بين D.N.A الأجداد من قبل الأسرات، وأثناء الدولة القديمة، والوسطى، والحديثة، وبين الأحفاد أعنى نحن.. هذه الدراسة تتم الآن فى المتحف البريطانى. فهل نحن حقا أحفاد هؤلاء العظماء ؟!

■ أنت تشهد نفسك!

نحن مقبلون على عالم جديد.. عالم ما بعد الكمبيوتر والإنترنت والاستنساخ.. عالم كان يحلم به جورج برنارد شو في كتابه الشهير.. السوبرمان.

كان شو يرى أننا مرحلة.. أو قنطرة ما بين الإنسان البدائى والإنسان الأعلى... أو السوبرمان الذى من صفاته.. الخلو من الأمراض.. كما أنه يصنع الخير لأنه خير... ويبتعد عن الشر لأنه شر.. وليس خوفا من عقاب...! هذا الإنسان الراقى الذى يفزع من مجرد ذكر الدماء.. أصبح قريب المنال بالهندسة الوراثية والاستنساخ..! ومن يدرى ؟ لعلنا نعرف حقائق التاريخ إذا قمنا باستنساخ رمسيس الثانى وسألناه.. عما إذا كان هو فرعون الخروج كما يدعى اليهود أم لا ؟! ولكن ما قصة الاستنساخ ؟

كانت ذلك فى بداية السبعينيات... من القرن العشرين حين نجح ستيوارد فى استنساخ الجزر.. دون حاجة إلى بذور، ثم تلاه هيل برانت فى استنساخ نبات الطُبَّاق (الدخان)... ثم جاء بعدهما توماس كنج (الولايات المتحدة) وجوردون (أكسفورد)... ونجحا فى استنساخ الضفادع.

قامت المظاهرات فى أمريكا ١٩٧٥ بزعامة روبرت شاين شايمر.. وسار المتظاهرون بلافتات: Today Frog, Tomorrow man اليوم ضفدعة، وغدا الإنسان!

وقال شاين شايمر: إن الإنسان المستنسخ منك مثلا.. ليس ابنك لأنه ليس من زوجتك، وليس أخاك.. لأنه ليس من أمك وأبيك.. إنه أنت! أنت تشهد نفسك.. كما كنت يوم ميلادك.. ثم أردف شاين شايمر.. «نحن على شفا انفجار علمى دينى أخلاقى.. قانونى.. لا يعلم مداه إلا الله»!

كان من جراء ذلك: أن أوقف جيمى كارتر العمل بالهندسة الوراثية ١٩٧٥. حتى قام ١٧٠ عالما برئاسة تشارلز وايزمان ١٩٧٧، وقالوا: العلم يرشد ولا يعوق.. وكل شئ له آثار جانبية. فالماء يغرق والنار تحرق والمضادات الحيوية تقتل، ولكن لا غنى لنا عن الماء أو النار أو المضادات الحيوية.. وقسموا معامل الهندسة الوراثية إلى أربعة أنواع... أخطرها.. مجموعة ٤ التى تأتى بكائنات جديدة لم تعرفها البشرية من قبل مثل العنزروف أو العنزة الخروف!.. سمح كارتر بفتح معامل الهندسة الوراثية فى يونية ١٩٧٧، ووضع المعامل من النوع الرابع تحت رقابة مشددة.. وتحت رئاسة إدوارد كيندى الشرفية!

والآن دعونا نركب آلة الزمن.. ونستنسخ... ملك مصر العظيم رمسيس الثانى...! لقد أخذنا الـ د.ن.أ من إحدى خلاياه... ووضعت فى محاليل خاصة... مع ذبذبات كهربية محسوبة إلى ذلك المحلول.. فانقسمت الخلية.. ثم وضعناها فى رحم امرأة مصرية عاشقة للمصريات.. فأنجبت لنا رمسيس الثانى...! وفى سنة ٢٠٢٥ أخذ يحدثنا قائلا: لماذا جئتم بى إلى هذا العالم الغريب؟! لقد سمحتم منذ سنوات بخروجى من وطنى.. إلى فرنسا.. وجاء هذا

الحاقد على حضارتنا موشيه دايان، ولكزنى فى قدمى بعصاه قائلا: أخرجتنا من مصر أحياء.. وأخرجناك من مصر ميتا!

ولو قرأ هذا توراته جيدا: لعرف أنه كان عندى أكثر من مائة ابن وابنة.. فلم أكن فى حاجة إلى تبنى موسى - فى القرآن، إن فرعون الخروج لم يكن له ولد - كما أننى لم أغرق فى بحر سوف (مياه عذبة.. البحيرات المرة).. وبدلوا فى القرن ١٨ بحر البوص REED SEA إلى RED SEA أى البحر الأحمر! أكاذيب... أكاذيب.. أكاذيب.. وذلك ليس غريبا فوصاياهم العشر ليس فيها لا تكذب... وقانون أخلاقى ليس فيه لا تكذب إنما هو قانون أخلاقى ناقص (جيمس هنرى برستد).

أستودعكم الله.

■ أعظم اختراع فى التاريخ

فى محاضرة شائقة للدكتورة بسمة الصقار عن نبات البردى قالت: إن أعظم الاختراعات فى تاريخ البشرية هو ورق البردى الذى سجل عليه الإنسان مسيرته الحضارية حتى القرن العاشر الميلادى حين وصلت الصين إلى صناعة الورق الذى بين أيدينا الآن! ويكفى أن كلمات Paper الإنجليزية و Papier الفرنسية وPapyros الإغريقية مشتقة من Papuro المصرية.

هذا النبات الجميل فارع الطول الذى كان يبلغ طوله ستة أمتار، غطى مساحات شاسعة من الدلتا، صنع منه أجدادنا العباقرة الورق للكتابة، القوارب للمواصلات، الحبال، السلال، الحصير، الأحذية، أشرعة السفن، بل كانوا يمصون قاعدة سيقانه الحلوة كقصب السكر الآن! ولعلكم تذكرون رحلة الشاب النرويجى هايردال فى قارب من نبات البردى إلى الشواطئ الأمريكية رع واحد، رع اثنين، وحين وصل إلى هناك سأله شاب أمريكى: هل عبرت الأطلنطى فى هذا الشىء ؟!

أجابه هايردال نعم، وهذا الشىء المصنوع من نبات البردى يثبت أن المصريين القدماء كانوا عباقرة حقا!

كان معنا المهندس رفعت عليان حدثنا عن صناعة ورق البردى فى مصر الآن فقال:

تؤخذ سيقان البردى وهى ذات مقطع مثلث الشكل، وتنزع القشرة الخارجية لهذه السيقان، ثم تقطع السيقان البيضاء إلى شرائح طولية، توضع فى الماء لمدة يومين، ثم تؤخذ هذه الشرائح وترتب طوليا وعرضيا بالتبادل، ثم تكبس فى مكابس خاصة، ثم توضع بين طبقتين من الكتان لامتصاص الماء، ويتم تغيير قماش الكتان حتى تجف أوراق البردى تماما، ثم توضع هذه الأوراق بين طبقتين من الكرتون، وتكبس مرة أخرى وبعد ذلك تصبح جاهزة للكتابة أو الطباعة.

قالت الدكتورة بسمة الصقار: اختبأت إيزيس وابنها حورس فى أحراش البردى، الذى اتخذه أجدادنا رمزا للشباب الدائم، والجمال الحالم، وصولجان الملك السحرى، فصار البردى رمزا للدنيا وهى تتأهب للميلاد، وزينت أعمدة المعابد بصورة لأعواد البردى وأزهاره.

ترى لولا هذا الاختراع المصرى العبقرى «ورق البردى» هل كانت وصلتنا بردية الحكيم آنى؟! وأمثال أمنوبى وخيتى وحابى؟! هل كنا عرفنا رياضيات وفلك وطب وعقيدة المصريين القدماء؟!

قامت ممالك وسقطت، كما قامت حضارات واندثرت، ولكن حضارة مصر حاضرة فى الماضى والحاضر والمستقبل بفضل ورق البردى الذى اكتشفناه فى سقارة، وكان ذلك فى عهد الأسرة الأولى منذ خمسة آلاف عام.

أرض «السحر» والذهب!

قال صاحبى: هل سمعت عن أشجار المال؟ هى أشجار مهندسة وراثيا بجينات بكتيريا تعيش فى مناجم الذهب، وقادرة على التقاط ذرات الذهب، هذه الأشجار اسمها أشجار آذان الفار Woll Groom Tree ، فإذا أراد العلماء معرفة وجود ذهب من عدمه فى هذا المنجم، يزرعون هذه الأشجار، وبعد شهر يحللون أوراقها فإذا كانت تحتوى على ذهب، فهذا منجم ذهب، وبذلك يوفرون أموالا طائلة فى الحفر والتنقيب!

استطرد صاحبى قائلا: وسؤالى هو: هل وصلت مصر القديمة إلى هذه التقنية العالية؟ أو عرفت الألكامى Alchemy وهو تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب؟! ويكفى أن الرومان سموا مصر بأرض السحر والذهب، كما أطلق عليها الآسيويون منجم الذهب الذى لا يفنى!

ويحضرنى خطاب محفوظ فى المتحف البريطانى لملك ميتانى.. توشراتا Tushratta، هذا الخطاب مسجّل تحت رقم EA 19 يقول فيه لملك مصر: أرجو أن ترسل لى ذهبا، فالذهب عندكم أكثر من التراب!

قلت لصاحبى: لم تعرف مصر أشجار المال، ولم تعرف تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، ولكنها مناجم الذهب فى وادى حمامات، ووادى العلاقى ووادى الهودى وكلها فى الصحراء

الشرقية، والنوبة Town of Gold أو بلد الذهب! وهناك أسطورة فى مصر القديمة تقول إن أشعة الشمس الذهبية من الإله رع تخترق أرض الشروق الصحراوية فتتحول إلى عروق من الذهب داخل طبقات من حجر الكوارتز الشفاف!.

لقد بلغت دقة أجدادنا المصريين فى صناعة الذهب درجة عالية، حتى ١/٢٠٠ من المليمتر، وهذا لغز محير أمام العالم كله، فلا يقدر على هذه الدقة إلا أجهزة إلكترونية معقدة جدًّا (د. على حسن، د. سيد كريم).

ولكن يا صاحبى.. بالذهب سادت مصر، وبالذهب بادت ٢٥٠٠ سنة حين طمع فيها الأوغاد.

هو ذا يهوه إله العبرانيين يقول لأتباعه: اسلبوا المصريين، خذوا ذهبهم وفضتهم.

وهو ذا الوغد قمبيز يهاجم مصر ٥٢٥ق.م ويحطم المسلات ظنًّا منه أن تحتها كنوز الذهب.

وهاهم جرذان الصحراء «الليبيون» كما كان يسميهم مرنبتاح يغيرون على مصر، فما كان من مرنبتاح إلا أن هزمهم وقيد ملكهم وزوجاته بسلاسل من الذهب الخالص.. قيدهم بما كانوا يحلمون به.

كانت ثروة مصر مطمعًا للفرس.. اليونان.. الرومان.. القبائل العربية.. المماليك.. الأتراك.. الفرنسيين.. الإنجليز.

وما لم تحم الثروة قوة، تصبح مصدر أهمية وليست مصدر قوة كالبترول الآن.

قال صاحبى: هل صحيح أن وادى كريم لمناجم الذهب وحقل كريم للبترول، ومدينة الكريمات كلها سميت بعد اسم إبراهيم باشا كريم وزير الرى فى عهد الملك فؤاد؟ وهو والد الدكتور سيد كريم ؟

قلت له: نعم، كما أن دكتور سيد كريم أعلن سنة ١٩٨٠ عن ثلاثة مناجم لليورانيوم فى المنطقة الجنوبية من جبال البحر الأحمر، بناء على خريطة فرعونية قديمة تركها إبراهيم باشا كريم لابنه دكتور سيد كريم، وقد كان اسم اليورانيوم فى مصر القديمة زبياخوس؛ أى المعدن المشع.

وفى سنة ١٩٨٥ أعلنت الولايات المتحدة عن ثلاثة مناجم لليورانيوم فى المنطقة الجنوبية من جبال البحر الأحمر، نفس الأماكن المحددة فى خريطة مصر منذ أربعة آلاف سنة.

ذهل صاحبى مما سمع وقال: يا قوم ضعوا كلمة علم بدلاً من كلمة سحر.. تفهمون عظمة مصر.

■ الشمس وطاقة الحب

قال صاحبى دكتور محمد محمود الرفاعى خبير اليونسكو فى مصادر الطاقة الطبيعية: هل عبد المصريون القدماء الشمس وهل عرفوا عنها ما نعرفه عنها الآن ؟!

قلت: لقد عبدوا الإله الواحد وقالوا: الله لا يمكن معرفة اسمه؛ لأنه فوق مدارك عقول البشر، ولكن رمزوا لاسمه بصفاته العليا وقواه الكونية، فرمزوا له بالشمس كقوة كونية بدونها تندثر الحياة، وعلى كلٍّ نحن نطلق على السيد المسيح شمس البر، وأنه نور من نور أو نور السماوات والأرض!

قال صاحبى: هل تعلم أن البترول والفحم والغاز الطبيعى سوف تنضب وتنتهى سنة ٢٠٣٥؟ قلت: أعرف ذلك كما أعرف أن العلماء يستعدون بطاقة الحب.. أو طاقة الاتحاد التى عرفوها من الشمس ألا وهى اتحاد أربع ذرات أيدروجين حتى تصبح ذرة هيليوم + طاقة لا نهائية نظيفة بدلاً من طاقة الانشطار النووى التى تلوث الحياة والأحياء، والمفاعلات التى تحول الهيدروچين إلى هيليوم اسمها هيدرون وستعمل عند سنة ٢٠٣٥!

قال صاحبى: لدينا أنقى أنواع السليكون فى جنوب سيناء اللازم لصناعة الخلايا الشمسية.. هذا السليكون نصدره بملاليم لإيطاليا بدلاً من تصنيعه عندنا خلايا شمسية! تجد فى السعودية

محطة عملاقة لتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية، وفى تونس مركز عملاق لصناعة الخلايا الشمسية، وفى الأردن المضخات تعمل بالطاقة الشمسية، وفى قبرص معظم المنازل تعتمد على الطاقة الشمسية، وفى أستراليا سيارات تسير بالطاقة الشمسية، وفى إسرائيل ١,٥ مليون منزل تعتمد على الطاقة الشمسية!

ناهيك عن تحلية مياه البحر فى ليبيا وتجفيف المحاصيل فى السودان بالطاقة الشمسية، ونحن بلاد الشمس المشرقة ونصرخ من فواتير الكهرباء بالرغم من معرفتنا بأن هذه الخلايا الشمسية ليس لها عمر افتراضى، بل هى دائمًا وأبدًا! دعنا من هذا وحدثنى عن دور الشمس عند القدماء!

قلت: مهلاً يا صاحبى.. هناك بلدة فى الشرقية تعمل بالطاقة الشمسية، كذلك فندق كبير بالقاهرة، ولكن هذا قليل من الكثير الذى يجب عمله.. أين استخدامنا لطاقة الرياح وطاقة الـ Bio Mass أى من المواد العضوية؟هل تعلم أن كل الطاقة اللازمة لطوكيو إنما هى زبالة طوكيو فقط؟! وإذا كانت الأقمار الصناعية تفرد أجنحتها وتستمد طاقتها من الشمس، ألا نستطيع أن نفرد أسطح بيوتنا للخلايا الشمسية ونوفر فواتير الكهرباء ؟!

قال صاحبى إن عالمة المصريات الفرنسية مدام كريستين نويلكور تعلق على تمثال آمون الذى عينه اليمنى هى الشمس، وعينه اليسرى هى القمر، ومكتوب على التمثال أن العين اليسرى «القمر» تستمد نورها من العين اليمنى «الشمس»، تقول هذه

العالمة الفرنسية: هذه معجزة علمية، فكيف عرف القدماء أن القمر يستمد نوره من الشمس؟!

قلت هذا صحيح.. ولعلك تعلم أن أرشميدس كان يحرق سفن الأعداء بمرايا عملاقة تعكس أشعة الشمس على هذه السفن فتشعل فيها النار، وليس هذا غريبًا فهناك فى إسبانيا بلدة الميرياس برج يصهر المعادن بواسطة مرايا عاكسة لأشعة الشمس ترفع درجة الحرارة إلى (٤٠٠٠) أربعة آلاف درجة مئوية!

قال صاحبى: إن علماء الهندسة الوراثية يحاولون أن يكسبوا الهيموجلوبين صفة الكلورفيل! فحين نتعرض للشمس يتحول الماء وثانى أكسيد الكربون داخل أجسامنا إلى مواد سكرية ونشوية، أى حين نتشمس.. نشبع! فلا عجب أن القدماء قدسوا الشمس.. قوة الإله الكونية.

■ بيوت الحياة

دعانا أحد الأصدقاء إلى مزرعته فى إحدى قرى الريف المصرى.. الهواء مختلف عن هواء القاهرة.. القمر يطل بنوره.. الزرع يتمايل على نسمات الهواء.. وصوت عبد الوهاب يشدو:

أين يا أطلال جند الغالب أين آمون وصوت الراهب ؟

قال واحد منا وهو طبيب: بل قل أين أيامنا الجميلة فى كلية الطب.. وكيف كان كل واحد منا يضع شارة إمحوتب فى عروة بدلته.. فخورين بتاريخنا وإنجازات أجدادنا العلمية والطبية.

قال آخر: حين أراد أمير الشعراء أن يمتدح على باشا إبراهيم.. لم يجد غير إمحوتب فقال:

نال عرش الطب من إمحوتب وتلقى من يديه الصولجانا

يد إبراهيم لو جئت لها بذبيح الطير عاد الطيرانا

يا طرازً يبعث اللّه به فى نواحى ملكه آنا فآنا

استطرد صاحبنا قائلا: حدثنا عن إمحوتب والأطباء فى مصر القديمة.

قلت: إمحوتب اسم مصرى قديم معناه الآتى بسلام، وقد كان وزيرًا للملك زوسر ٢٧٨٠ ق.م، وقد كان طبيبًا ماهرًا ومهندسًا بارعًا خصوصًا فى أمور الفيضان والنيل وبالتالى الزراعة،

فهناك شاهد حجرى جنوب جزيرة فيلة فى أسوان، مكتوب عليه: الفيضان لم يأت سبع سنوات حتى أصاب القحط البلاد.. ولم يجد الملك زوسر من يستشيره سوى وزيره المخلص إمحوتب، وجدير بالذكر أن المصريين القدماء كانوا يعرفون أن للنيل دورة كل سبع سنوات، وكانوا يرمزون لسنوات الوفرة بسبع بقرات سمان، وسنوات القحط بسبع بقرات عجاف.. كما بنوا الصوامع لتخزين القمح فى سنوات الوفرة.

وبنوا أول مقياس للنيل فى جزيرة فيلة على يد إمحوتب، كما كان من ألقابه: «رئيس كتبة الغلال لمصر العليا والسفلى»، كما أشرف على بناء الهرم المدرج من ست درجات؛ لأن الإله خلق العالم فى ستة أيام، كما جاء فى سفر التكوين بعد إمحوتب بآلاف السنين.

كانت شهرة مصر فى العلوم الطبية قد طبقت الآفاق، أصيب قورش الفارسى بمرض عضال فى عينيه، فلم يشف إلا على أيدى أطباء العيون المصريين!

كما جاء فى الأوديسا أن المصريين سبقوا غيرهم فى الطب، كما أرسل المصريون أطباءهم لعلاج ملوك البلاد الأخرى دعما للصداقة (يونكر صفحة ٢٩).

وكانت درجات الأطباء أربعة:

١- الطبيب العام ٢- كبير الأطباء ٣- مفتش الأطباء ٤-رئيس الأطباء، وكان رئيس الأطباء لمصر العليا والسفلى

بمثابة وزير الصحة الآن، كما كان هناك طب باطنى، وجراحى، وطب مدني وعسكرى.

وكانت كليات الطب تسمى بيوت الحياة وطلبة الطب يختارون من الأسر الراقية.

وكانوا يلجئون للطب الروحى (النفسى) إذا فشل الطب الجسمانى (ماسبيرو).

مرت سهرتنا سريعا وكأنها حلم!

وصوت عبد الوهاب يأتى من بعيد:

حلم لاح لعين الساهر	وتهادى فى خيال عابر
وهفا بين سكون الخاطر	يصل الماضى بيمن الحاضر

■ عندما يأكل المريض وصدره مفتوح جراحيًّا

ضع كلمة تكنولوجى بدلاً من كلمة سحر، تفهم الكثير من أسرار قدماء المصريين!

هذا الطائر المقدس أبو منجل IBIS، كان الأجداد يستخدمون منقاره كالوخز بالإبر فى أماكن معينة من الجسم لعلاج الآلام الروماتيزمية.

ظاهر الأمر أن الإله تحوت الذى تقمص فى شكل الطائر أبو منجل هو المعالج، ولكن حقيقة الأمر أنها تكنولوجيا الوخز بالإبر المصرية، والتى أصبحت الصينية بعد ذلك.

سمكة الرعاد الصغيرة EEL Fish كانوا يعالجون بها الصداع النصفى بوضعها على رأس المريض، فكانت تعطى شحنة كهربية للمخ تشفى من الصداع وبعض الحالات النفسية، ونحن الآن نعالج بجلسات الكهرباء E.C.T أو Electro Convulsive Therapy.

أما الرقص فكانوا يعالجون به شلل الأطفال، ونجد على إحدى الجداريات ساقًا مشلولة لطفل سنه عشر سنوات، وهو يرقص على أنغام الموسيقى، وهذا ما نسميه بالعلاج الطبيعى الآن.

لقد اكتشف الغرب طاقة حيوية كامنة فى كل درجة من درجات السلم الموسيقى، كما اكتشفوا دورها فى تعويض الطاقة

المفقودة فى العضو المريض، فأقاموا المعاهد خصوصًا فى إنجلترا وألمانيا للعلاج بالموسيقى.

أما الأساطير وهو ما سطره قدماء المصريين، مثل تقطيع الثور والإوزة، أو أسطورة الثعابين، أو شق البحيرة والتقاط القرط الضائع من إحدى الجميلات فى زورق سنفرو، فهو تنويم مغناطيسى جماعى Mass Hypnosis كما قال الساحر جدجدى: نحن لا نغير من طبيعة الأشياء يا مولاى، بل نغير من طبيعة الحواس، فالعين ترى والأذن تسمع ما نوحى به إليهما وليس كما هو فى الواقع!

كان الطبيب الكاهن الساحر يخدر المريض بوخزه بعصاه فى أماكن معينة فى جسم المريض، وقد شاهدت بنفسى عمليات جراحية كبرى تحت المخدر العجيب ألا وهو الوخز بالإبر! كان المريض يأكل وصدره مفتوح!

عرف أجدادنا المصريون الظواهر فوق الطبيعية Supernaturals كالتخاطر والجلاء البصرى وتحريك الأشياء من بعد، بالظاهرة النفس حركية .Psychokinetic Phenomen

وكنا نعتقد أن هذا سحر، حتى عرفنا أخيرًا من دائرة المعارف للظواهر فوق الطبيعية «٢٠ مجلدًا»، تجد فى مجلد «عقول بلا حدود Minds Without Boundries » أن المساحات الصامتة فى المخ البشرى والموجودة فى كل واحد منا، تنشط عند بعض الناس فتصبح محطات إرسال «مثل ماسبيرو» أو محطات

استقبال مثل «T.V» أو تخرج منها طاقة «غير معروفة» قادرة على تحريك الأشياء! فهل تم رفع أحجار الأهرام بهذا النوع من الطاقة، والتى أطلق عليها الغرب Human Mega Machine أو الآلة البشرية العملاقة؟!

■ عفوا.. يا جدى

قال صاحبى: ما أشد حيائى منك.. بل ما أشد حيائى من نفسى، وإنى أحاول أن أقدم الأعذار فلا أجد أنها تغنى عن الحق شيئا! هذا الحق هو أنى مقصر أشد ما يكون التقصير، جاهل أشد ما يكون الجهل، حفيد عاق أشد ما يكون العقوق ونكران الجميل!!

قلت: هون عليك الأمر وافتح لى قلبك، وحدثنى بما يثقلك من إحساس بالذنب وعذاب الضمير.

قال: أنت تعرف أنى ورثت عن جدى ثروة طائلة ضِياعًا شاسعة، قصورًا رائعة، كنوزًا من ذهب، وأنت تعلم أنى لم أبتكر شيئا.. ولم أصنع شيئا.. أتميز به عن غيرى! بل أعيش عالة على إنجازات هذا الجد العظيم! والذى يحز فى نفسى أن جاءنى رجل يدَّعى أنه عمِّى وقال لى: إن جدك هذا جمع ثروته من الحرام فقد كان كافرا.. يعبد القط والجعران والصقر، وعليك أن تتبرأ منه، وتنتسب لى أنا فقط!!

فأخذت أشتم جدِّى وألعنه وأخجل من ذكر اسمه، حتى أفقت على زلزال مروع!

عثرت على مذكرات جدِّى مكتوبة بلغتى التى لا أعرفها، فاستعنت بمن يعرفها... فعرفت ويا لهول ما عرفت، اكتشفت أن جدى كان عالما فى الرياضيات والكيمياء، والفلك، والطب...

عرفت أنه أول من وضع قوانين الدائرة.. مساحتها، محيطها، نسبتها التقريبية ٧/٢٢، كما أنه أول من وضع قوانين المثلث.. وحساب المثلثات!!

عرفت أن جدى كان مؤمنا بالإله الواحد وكان يصلى ويستحم خمس مرات يوميًا وكان يخاطب العزة الإلهية: أيها الواحد الأحد يا موجد نفسك بنفسك يا مخترق الأبدية.

يا من يرشد الملايين إلى السبل. لم أكن سببًا فى دموع إنسان، كما لم أكن سببًا فى شقاء حيوان! اكتشفت أن عمى ليس عمى، وأنه جاهل كاذب حاقد على جدى العظيم الذى طالما ظلمته!

استطرد صاحبى والدموع تترقرق فى عينيه: لست أدرى إذا كان ما تبقى من العمر يكفى لأن أعوض جدى عما أسأت به إليه من تشويه، ولكن من المؤكد أن ما تبقى من العمر لن يكون إلا له!

قلت: الحمد لله أنك أفقت أخيرًا يا صاحبى.

خبرنى عن واحد.. واحد فقط له جد مثل جدك.. علما وحضارة وثراء!

واسمح لى أن أفكر أمامك وبصوت مسموع.. أنت فقير رغم ثروتك الهائلة.. ومضلل لأنك لا تقرأ، وفى قاع الأمم لأنك تنكرت لجدك الذى كان أول من وضع أنظمة اجتماعية وسياسية للأمم بمعناها الصحيح!

جاء صوت عبد الوهاب:

اجرِ يا نيل عزيزًا فى الوجود وارو للأبناء تاريخ الجدود

قال صاحبى: هل صحيح أن جدى كان يؤله النيل ؟!

قلت: ألم تقرأ لأمير الشعراء عن النيل ؟!

دين الأوائل فيك دين مروءة لم لا يؤلَّه من يقوت ويرزق

جعلوا الهوى لك والوقار عبادة إن العبادة خشية وتعلق.

•

■ هل اكتشف الفراعنة القارة الأمريكية ؟!

نظر الشاب الأمريكى إلى ثورهـا يردال النرويجى وأشار إلى القارب المصنوع من أوراق البردى قائلاً والدهشة تغمره: هل عبرت الأطلنطى فى هذا الشئ ؟!

فكان رد النرويجى: نعم! وهذا الشئ يؤكد أن مصر القديمة كان لديها مهندسون عباقرة، وأنهم اكتشفوا أمريكا قبل كريستوفر كولمبس بألفى سنة!

قال صاحبى: هل هناك أدلة مادية على وصول المصريين إلى هناك؟! أنا أعرف أن سنوسرت الثالث، وأمنحوتب الثالث، وبطليموس الثالث اشتهروا برحلاتهم المعروفة بالبحث عن المعرفة، ولكن كل هذا كلام مرسل تنقصه الأدلة والبراهين! ودعك من باريس إنها من بار إيزيس؛ أى بيت إيزيس! فهى كمن يقول لك أن الشيخ زبير هو «شكسبير»!

قلت: هرم القمر فى المكسيك يشبه هرم سقارة المدرج، أيضًا المسلات فى المكسيك تشبه المسلات المصرية، كذلك طريقة التحنيط! ستجد فى بردية «بريسس فى عصر نخاو الثانى» الأسرة ٢٦س تقول: «قضينا ستة أشهر فوق المحيطات حتى بلغنا الأرض التى تغرب فيها الشمس بعد شروقها عندنا بيوم كامل! تركنا رفاقا، ربما لا نراهم بعد ذلك، ولكنهم سيعلمون أهل

هذه البلاد كيف يتحدثون ويكتبون، وتعاليم آمون التى حررها الكهنة على جدران معابدهم»!

قال صاحبى: قرأت أن عالمين أمريكيين زكراندل، وريمون لينس اكتشفا معبدًا فرعونيًا فى صحراء نيفادا الأمريكية، كما أن سكان أستراليا الأصليين يسمون الشمس زراس وهى رع، وكانوا يعبدون القوة التى خلفها! كما أن قوس البومرانج الأسترالى لصيد الطيور هو نفسه المرسوم على جدران المعابد المصرية، كذلك استخدام الحراب لصيد الأسماك هى الطريقة المصرية نفسها!

قلت: ارجع ياصاحبى للدراسات المقارنة بين نقوش المايا والأورتيك وبين الكتابة الهيروغليفية التى أجراها جريفيث وبارى فيل العالمان البريطانيان، كذلك الدراسة التى أجراها نفس العالمين على لغة الماورى ولغة المصريين فى عهد البطالمة! ستجد عجبا! أن الماورى نسبة إلى ماوى المصرى الذى تخرج فى جامعة الإسكندرية ٢٦٠ ق. م! ويكفى أن مدينة «تكتنهوا كان» بها ٣٠٠ هرم، وهى مدينة جنائزية مشابهة لمدينة منف!

إن بوابات الشمس تملأ بلاد المايا والأورتيك، والقرابين تقدم للإله الواحد!

قال صاحبى: لقد اشترك دكتور سيد كريم فى مؤتمر المكسيك تحت رعاية الأمم المتحدة ١٩٦٣ واعتمد على الدراسات القائمة على الكربون ١٤، وأثبت أن حضارة المايا بدأت ١٣٨٠ ق. م،

وهو الزمن المعاصر لآمون حتب الثالث مؤسس الأسرة ١٨، كذلك أجرى الدكتور محمد حماد دراسة مقارنة بين نقوش المايا والهيروغليفية! وكان التشابه بينهما كبيرًا!

قلت: وهل نسيت خريطة هيرودوت التى نقلها عن مصر وفيها شواطئ إفريقيا الجنوبية، ويتضح فيها اتصال البحر الأحمر بالمحيط الجنوبى والمحيط الأطلسى!

كذلك ريشة ماعت المصرية إلهة العدالة، التى يضعها الهنود الحمر، والأستراليون على رءوسهم، بل يضعها الملوك والقضاة فى الوقت الحاضر! من قال إن تاريخنا ماض؟! إنه حاضر يملأ الدنيا نورًا وعلما!

انظر إلى جماعات الروزى كروشن أو الصليب الوردى، إنهم يؤمنون بعقيدة إخناتون ويحجون إلى الهرم الأكبر كل عام!

ابتسم صاحبى وقال: ليس الفتى من قال كان أبى.. إنه من قال ها أنذا! قلت: لعل قائل هذه الكلمات مثل زياد ابن أبيه! لم يعرف له أب، فسمي «ابن أبيه»! ولكنناانعرف أبانا وجدنا ونفخر بهما؛ لأن الإنسان جينات + زمان + مكان! ونحن نملك جينات هؤلاء العباقرة، فلا تنكروا فضلهم علينا.

■ الحواس ليست خمسًا فقط

قال صاحبى: أما من تفسير علمى لما نسميه سحرًا أو خوارق؟! صحيح أن هناك أساطير فى عصر سنفرو وخوفو على يد سحرة مثل جدجدى، وحورو، وإذا قرأت بردية وست كار ستجد شق البحيرة إلى نصفين، وقطع رقبة الإوزة ثم عودتها للحياة، أو قطع رقبة الثور ثم عودته إلى الحياة، أو إشعال النار فى قصر فرعون على يد الساحر الحبشى ثم هطول الأمطار لإطفاء هذه النيران على يد الساحر المصرى حورو! أو حزام الساحر المصرى الذى ألقاه فتحول إلى ثعبان كبير! كل هذه الأساطير أستطيع أن أعتبرها خيالاً علميًا، ولكن ما قولك فى حجر وزنه سبعون طنا، كيف طار فى الهواء وأخذ مكانه فى الهرم، أو كيف دخل فى غرفة بعرض مترين من مثل معابد فى سقارة ؟!

قلت: ضع كلمة باراسيكولوجى بدلاً من كلمة أساطير.. تضئ الدنيا من حولك!

خذ مثلاً أسطورة «وهى كلمة تعنى ما سطره الأولون»، أقول خذ أسطورة قطع رقبة الإوزة والثور، وكيف عادت إليهما الحياة، وحين سأل خوفو الساحر كيف استطاع أن يغير من طبيعة الأشياء، فأعاد الحياة إلى الميت؟ رد الساحر قائلا: نحن لا نستطيع أن نغير من طبيعة الأشياء يا مولاى، ولكننا نغير من طبيعة الحواس فنجعل العين ترى، والأذن تسمع ما نريد لهما وليس ما

هو فى الواقع، أليس هذا ما نسميه فى الباراسيكولوجى بالتنويم المغناطيسى الجماعى Mass Hypnosis ؟!

إن الحواس يا صاحبى ليست فقط خمسا! بل هناك حواس أخرى تستقبل وترسل كأجهزة الإرسال والاستقبال، نسميها Extra Sensory Perception ويرمز لها بالحروف E.S.P.

هذه الحواس الخارقة تكمن فى المساحات الصامتة فى المخ Silent Areas والتى يعرفها كل طبيب وأى طالب فى الطب، هذه المساحات الصامتة تنشط عند بعض الناس فيكون التخاطر أو الجلاء البصرى أو معرفة أماكن الأشياء أو معرفة ما حدث فى الماضى أو المستقبل، كما تنبأت جين ديكسون بمصرع كيندى قبلها بسنوات، هذه القوى الخارقة قد تؤثر على المادة، فتحرك الأشياء ونطلق عليها ظاهرة الـ P.K أو Psycho - Kinetik أو الطاقة النفس حركية! وقد تؤثر على الجاذبية الأرضية فيرتفع صاحبها فى الهواء Levitati، بهذه الطاقة يرفعون سبعين طنًّا وكأنها ريشة فى الهواء!

قال صاحبى: لقد سجلنا طاقات خارجة من الجسم كالرسم الكهربائى للقلب أو المخ أو العضلات أو الأعصاب، فهل استطاع أحد تسجيل هذه الطاقة الخارقة للطبيعة ؟

قلت: إنه العالم الروسى كيليريان الذى استطاع تحضير أفلام من نوع خاص، استطاعت تصوير هذه الطاقة الخارقة، ويسمى هذا النوع من التصوير:

Killerian Photography

■ عندما صفقوا للنيجيرى؟

قال صاحبى: قرأت كتاب «أثينا السوداء» للكاتب الأمريكى توم بارنال، هذا الباحث يؤكد لنا أن الحضارة اليونانية كلها من أصل فرعونى كما أن اللغة اليونانية القديمة نصفها من أصل مصرى قديم! هذا العالم يجيد ٧ لغات، المصرية القديمة، اليونانية، العربية، العبرية، الصينية، اليابانية، القبطية، وهى اللغة المصرية القديمة بحروف يونانية + سبعة حروف هيروغليفية.

استطرد صاحبى: هذا كلام جميل، ولكنه مرسل فهل تستطيع أن تؤيد قول بارنال بأعلام من اليونان تتلمذوا على أيدى المصريين ؟!

قلت: طاليس أبو الفلسفة اليونانية، تتلمذ على أيدينا وعاد إلى بلدته أيونيا فى اليونان يعلمهم ما تعلمه فى مصر.

أفلاطون أقام فى جامعة أون ١٣ سنة تلميذًا لأجدادنا، ولم ينكر فضلهم عليه وعلى اليونان، فكتب فى كتابه القوانين: ما من علم لدينا إلا وقد أخذناه عن مصر.

إقليدس أبو الهندسة، تعلم فى مصر وكتب كتابه الأصول، ولما سأله بطليموس الأول: أليس هناك طريق أسهل لفهم الهندسة من هذا الكتاب؟! أجابه قائلاً: ليس للهندسة طريق ملكى يا مولاى!

أرشميدس عالم الرياضيات الشهير، تتلمذ وتخرج فى مدرسة «جامعة» الإسكندرية واخترع الطنبور، والحلزون، والمرايا الحارقة التى كان يحرق بها سفن الأعداء عن بعد بتركيز أشعة الشمس عليها «البعد البؤرى» وحين قال للملك هيرون: أعطنى نقطة ارتكاز خارج الكرة الأرضية، وأنا أحرك الكرة الأرضية! طلب الملك منه أن يقف على الشاطئ ويحرك سفينة عملاقة، فحركها أرشميدس بكثير من الروافع وقليل من المجهود! وكلنا يذكر كلماته التى دخلت التاريخ، وهو يجرى عاريا فى شوارع الإسكندرية: وجدتها، وجدتها، ويقال إنها كانت: أفاريكا.. أفاريكا؛ أى تذكزتها، أى أن قانون أرشميدس هذا كان قانونًا مصريًا، ولا عجب فى ذلك، فقد جمع لنا أربعة من علماء المصريات: أرشيبالد، وتشيز، ومانج، وبل، ٣٦ وثيقة أصلية فى الرياضيات المصرية منذ٣٥٠٠ ق. م حتى ١٥٠٠ق.م؛ أى قبل أرشميدس بآلاف السنين!

لقد بنى الإسكندر الأكبر ١٧ إسكندرية فى آسيا، اندثرت جميعها ما عدا إسكندرية الإسكندرية! أعنى مصر، ذلك لأن تراث مصر الحضارى أمدها بالبقاء والنماء!

كانت مدرسة الإسكندرية بها ١٠٠ من العلماء، يطرد العالم ما لم يأت بجديد خلال خمس سنوات، كان الترقى بالإنجاز لا بالأقدمية!

أنجبت الإسكندرية هيروفيليوس مؤسس علم التشريح، وآرازى ستراتوس رائد علم وظائف الأعضاء، ويودى موس أستاذ علم

الأجنة! وأبولو دورس أستاذ العقاقير والسموم، وأمونيوس المصرى مفتت ومستخرج حصيات المسالك البولية!

قال صاحبى: إن نسيت لا أنسى هذا البريطانى الذى كان يتفاخر بحضارة بلاده فى الهايدبارك، فتصدى له رجل قائلا: أرجو أن تكف عن التفاخر؛ لأنى أنا الذى أعطيتك الحضارة! لقد أخذتم حضارتكم من الرومان، والرومان من اليونان، واليونان من مصر القديمة، ومصر فى إفريقيا قارتى لأنى من نيجيريا! صفق الجميع لهذا النيجيرى الذى يفخر بحضارة مصر، وتحسرت على المصريين الذين لا يعرفون تاريخهم وحضارتهم.

■ يجب ألا تدين ما لا تعرف!

قال صاحبى: فى محاكمة الروح فى مصر القديمة، كان الاعتراف الإنكارى (تقر الروح أنها لم ترتكب ٤٢ معصية)، كما كان الاعتراف الإيجابى مثل (كنت عينا للأعمى، ويدا للمشلول، ورجلا للكسيح.. إن قلبى نقى ويدىّ طاهرتان)، وكان القدر يقف بجوار الميزان وكان اسمه شأى SHAY، وهو الذى يشفع لصاحبه أمام محكمة العدل الإلهية، فإذا انتقلنا للفكر اليونانى، نجد عقيدة الأقدار قوية واضحة فى المسرح اليونانى مثل الضفادع لأريستوفان أو أجاممنون أو سوفوكليس!

قلت: بل تقرأ لفيلسوف معرة النعمان (أبو العلاء المعرى) قوله:

وما فسدت أخلاقنا باختيارنا ... ولكن بأمر سببته المقادر

وفى الأصل غدر والفروع توابع ... وكيف وفاء النجل والأب غادر

فقل للغراب الجون إن كان سامعا ... أأنت على تغيير لونك قادر؟

[فى تجديد ذكرى أبى العلاء – طه حسين]

استطرد صاحبى: لو كانت كلمة جينات موجودة فى عصر أبى العلاء، لاختارها بدلاً من كلمة المقادر أو الأقدار! لقد كشفت لنا خريطة الجينوم البشرى عن جينات مسرطنة أى تسبب السرطان، وجينات تؤدى لمرض السكر أو ضغط الدم العالى،

أو الشخصية السيكوباتية المتعدية (٤٧كروموزومًا بدلاً من ٤٦)، أو جينات الانتحار التى تؤدى لمرض الاكتئاب السوداوى، هذا المرض الذى أصاب الكاتب الأمريكى إرنست هيمنجواى، وابنته وحفيدته فانتحر الثلاثة! وأخيرًا اكتشف الجين الإلهى أو الإيمانى GOD GENE VMAT2 كتاب دين هامر! ولا ننسى رأى لامبروزو وكيف أن المجرم الحقيقى هو البيئة أو المجتمع، وما هذا المسكين إلا أداة هذا المجتمع فى تنفيذ جريمته! ماذا تبقى للإنسان يا صاحبى، إذا كانت جيناته وزمانه ومكانه.. لا اختيار له فيها.. فكيف يكون الثواب والعقاب؟!

قلت: لو أنك قرأت بحوث إريك هولمز على المخ البشرى لعرفت أن لنا مخا من ملايين السنين اسمه المخ القديم به مساحات محددة لغرائز الأمومة، الجوع، الجنس، الخوف، الغضب.. إلخ، ولكن هناك أيضًا المخ الجديد CERBRAL HEMISPHERES الذى نما وتطور منذ آلاف السنين، هذا المخ الجديد به مبادئ الأخلاق والدين! قل إن الجبر فى المخ القديم، والاختيار مع الهيمنة والسيطرة للمخ الجديد!

قال صاحبى: أعطنى مثلا لما تقول!

قلت: دمّر هولمز مساحة غريزة الأمومة SINGYLAR-GYRUS فى القطط، والشمبانزى، فتخلت الأمهات عن أطفالها، كما دمّر مساحة الخوف عند الشمبانزى فأصبحت تلعب بالثعابين بالرغم من أنها الرعب الطبيعى للشمبانزى، كما نشّط مساحة

الجنس عند ذكور القطط، فأصيبت بالجنون الجنسى! وأذكر حالة سيدة مريضة بالجنون الجنسى كشفت الأشعة المقطعية ورما بالمخ، وحين أزالوه بالجراحة عادت السيدة لحالتها الطبيعية!

قال صاحبى: من عرف الكثير غفر الكثير! فيجب ألا تُدين ما لا تعرف.

■ الاعتراف بعميد الأطباء

هذه رسالة موجهة من الطبيب البريطانى جاميسون، هارى JAMIESON.B. HURRY صاحب كتاب «إمحوتب» إله الطب المصرى ووزير الملك «زوسر» إلى جميع أطباء العالم خاصة أطباء مصر أحفاد هذا الرجل العظيم.. إنه يقول: إنى ألح على جميع زملائى الأطباء فى جميع أنحاء العالم بالاعتراف بإيمحوتب عميدًا لهم دون سواه، إن أسكلوبيوس إله الطب لدى اليونان، إنما هو شخصية أسطورية، سلب فضل إمحوتب؛ لأن معرفتنا بهذه القمة المصرية جاءت متأخرة بسبب حاجز اللغة التى فك رموزها شامبليون أخيرا. إن صورة إمحوتب يجب أن تكون شارة لمهنتنا؛ لأنه من الأفضل لنا أن يكون على رأس مهنتنا رجل من لحم ودم، شخصية شهيرة متعددة المواهب، بدلاً من شخصية غامضة المنشأ تنتسب إلى عالم الأساطير، نحن لا نعرف شيئًا عن أسكلوبيوس أو أعماله، بينما ترك لنا إمحوتب تحفته المعمارية ألا وهى الهرم المدرج STEP PYRAMID ويستطرد دكتور جاميسون، هارى قائلاً:

لقد كرس إمحوتب حياته لنشاطات مختلفة يمكن إدماجها تحت هذه العناوين: الوزير-الطبيب-المهندس-كبير الكهنة المنشدين-الحكيم-الكاتب-الفلكى-منقذ مصر من المجاعة حين

توقف الفيضان سبع سنوات - مستشار الملك زوسر (الأسرة الثالثة) مدير البيت الكبير-النبيل بالوراثة-كبير كهنة أون.

لقد شيدنا حضارتنا الغربية على أدبيات روما واليونان، ولم نعرف تاريخ مصر العظيمة، وكانت النتيجة أن هذا التراث الأسطورى الخرافى لهذا الإله الكلاسيكى أسكلوبيوس أصبح طاردًا لهذا الإله المصرى الأقدم عهدا، ولكن بعد أن ظهر إمحوتب من وراء الضباب الأثرى، وعرفنا سيرته وعظمته، فإن الوقت قد حان لإقرار العدل الذى يستحقه، وأن يمنح المكانة الرفيعة التى اغتصبت منه قرونًا كثيرة.

قال صاحبى: إنى أشعر بالفخر والخزى معا! بالفرح والحزن أيضا.. أما الفرح والفخر.. فلمكانة تاريخنا العظيم فى العالم كله وأما الخزى والحزن فلا يحتاجان إلى تفسير!

قلت:

وما ضرَّ الورود وما عليها   إذا المزكوم لم يطعم شذاها؟!

إنها كلمات أمير الشعراء.. نحن نعانى من زكام تاريخى!!.. لا نعرف تاريخنا، ولا نتذوقه ولا نبحث عنه..!

لقد كنا يا صاحبى منذ أن كنا طلبة فى كلية الطب، نضع شارة إمحوتب فى عروة ملابسنا.. وأذكر أن أستاذنا الدكتور حسن إبراهيم، وهو ابن الجراح الكبير على باشا إبراهيم، سألنى

يـومًـا حين رأى شـارة إمحوتب عـلـى صـدرى: مـاذا تـعـرف عـن إمحوتب ؟ قلت لـه:

أعرف ما قـالـه أمير الشعراء فى قصيدتـه عن والدكم العظيم..

ابتسم سـائلاً:ومـاذا قـال؟

قلت:

لا عـدمـنـا لإبراهيـم يـــدا
خلقت للفتـق والرتـق بنـانـا

لم تـخط للنـاس يوما كفنـا
إنمـا خـاطـت بقــاء وكيـانـا

لو يرى الله بمصبـاح لمـا
كان إلا العلم جـل الله شـانـا

■ أول أبجدية فى التاريخ

مازال مؤتمر «الهوية والانتماء» منعقدا فى قاعة المؤتمرات بحديقة مصر الفرعونية، افتتح مانيتون المؤرخ المصرى الجلسة بقوله:

سيداتى سادتى من كافة أنحاء العالم أهنئكم جميعًا بحصول ابن مصر البار الدكتور أحمد زويل على جائزة نوبل فى الكيمياء، وقد أسعدنا جميعًا حين قال: لو أن جائزة نوبل كانت موجودة من قديم الزمان لحصدت مصر معظم جوائزها، وجلستنا اليوم نريد أن نذكر فيها إبداعاتنا فى الماضى التى كانت تستحق جوائز نوبل، كما نريد أن نناقش كيف تتقدم مصر ؟ كيف تبدع وتتقدم للعالم الجديد.. خصوصًا أنها فى سنوات قليلة حصل السادات على نوبل فى السلام، ونجيب محفوظ على نوبل فى الفكر الإبداعى الأدبى وأحمد زويل على الإبداع العلمى؛ والآن الكلمة الأولى من وضع القانون الدولى منذ ٤٢٠٠ سنة قبل الميلاد،، تحوت.

تقدم تحوت من المنصة وقال: نحن -المصريين- لنا الفضل الأول فى اختراع الورق من نبات البردى، ولكم أن تتخيلوا كمَّ الضياع الهائل لإنجازات الإنسان دون هذا الاختراع، وأيضًا ابتكرنا أول أبجدية فى العالم كله ويحق لنا أن نعتبره أخطر

ابتكار فى تاريخ الحضارة القديمة؛ لأنه عن طريق الكتابة أمكن توريث الحضارة ونقلها عبر الزمان والمكان، بل وأُخذت الأبجديات الأخرى من حروفنا، كما اكتشفنا الشِّعْرَى اليمانية، وضبطنا بها السنة الشمسية.

قام العالم الأثرى والفلكى أنتونيادى وقال: لقد أخذ اليونانيون عن المصريين كثيرًا من الاكتشافات مثل:

١-الأرقام العشرية والكسور والمعادلات.

٢-المتواليات الهندسية وهندسة الحجوم.

٣-النظرية المعروفة باسم فيثاغورث وقد عاش فى مصر ٢٢ سنة.

٤-المسلات لتعيين الوقت نهارًا (ظل الشمس) والساعات المائلة ليلاً.

٥-الشمس والأرض والقمر أجسام كروية.

٦-اليوم يبدأ من منتصف الليل وتقسيم اليوم إلي ١٢ ساعة ليلاً و ١٢ ساعة نهارًا.

٧-هندسة الأرض (المثلث الذهبى) وهندسة السماء (قوانين الدائرة)، وقد جمع العلماء أرشيبالد، تشيس، مانج، وبل ٣٦ بردية أصلية خاصة بالرياضيات المصرية وتمتد من ٣٥٠٠ ق.م إلي ١٠٠٠ ق.م، وقام أرشميدس وقال: لم تزدهر حضارتنا إلا فى مصر.. طاليس أبو الفلسفة عاش فى مصر.. أفلاطون كذلك، إقليدس أبو الهندسة عاش فى

مصر، وفيثاغورث كذلك، وبنينا ١٧ مدينة باسم الإسكندرية كلها بادت واندثرت إلا إسكندرية مصر، حاولنا نشر الحضارة المصرية اليونانية فى آسيا الصغرى، الهند، فارس ولكن دون فائدة حتى اكتشافى حين شعرت بخفة جسمى فى الماء فاندفعت من الحمام عاريًا وأنا أجرى فى شوارع الإسكندرية أصرخ وأقول أفاريكا..أفاريكا؛ أى وجدتها وجدتها.. الحقيقة أننى قلت: ثيميسيكا.. ثيميسيكا.. أى تذكرتها؛ تذكرتها.. أى تذكرت قانونا رياضيًا من قوانين مصر القديمة.

تدخل مانيتون رئيس الجلسة وقال: لقد أوشك الوقت على الانتهاء ونريد فى خلاصة الخلاصة أن نعرف كيف تتقدم مصر وتعيد مجدها الماضى واقترح أن نسمع العالم المصرى سوسيجينس (٤٥ ق.م) الذى ضبط السنة الشمسية بإضافة يوم كل أربع سنوات، تقدم العالم المصرى وقال: تعلموا من جامعة الإسكندرية حين كان عدد علمائها مائة وكان الترقى بالإنجاز وليس بالأقدمية أو الامتحانات، وكان الباحث يطرد من الجامعة إذا لم يأت بجديد فى بحر خمس سنوات! دعوا الأزهار تتفتح دعوا الأفكار تتصارع.. أين التعددية الفكرية؟ أين العقلية الجدلية؟ أين القنوات التليفزيونية التى تبث العلوم ليل نهار؟ أنتم لا تفترقون عن القرن الحادى عشر.. التلقين والحفظ إنها كارثة تعليمية أنصحكم بقراءة كتابين للفيلسوف زكى نجيب محمود:

١- ثقافتنا فى مواجهة العصر، ٢- مجتمع جديد أو الكارثة.

إن تعريف الإبداع هو الاستجابة المغايرة للأحداث، ومن هنا يأتى الجديد الذى تتقدم به الأمم، لقد أثبتت بحوثكم الجديدة أن الفص الأيسر من المخ هو فص الحفظ، هو الفص التقليدى.. أما الفص الأيمن فهو فص الإبداع والإتيان بالجديد.. هذا الفص ينمو بالموسيقى، بالغناء، بالرسم، بالنحت، بالتصوير وسائر أنواع الفنون وأهمها اللعب.. انظروا إلى الدول المتقدمة.. أكثرها تقدمًا هى أمهرها لعبا، كنا نعلم أطفالنا وشبابنا السباحة، الرماية، التجديف، الصيد، الفروسية، المبارزة، الملاكمة، الهوكى، رفع الأثقال، المصارعة، ألعاب الكرة، اليوجا، فضلا عن الألعاب الذهنية كالشطرنج، أخيرا أؤكد على الحرية الفكرية؛ فالقهر سواء كان دينيًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا وهو أخطر أنواع القهر حين يصبح المجتمع رقابة قهرية على الفكر، هذا القهر لا ينتج فكرًا إبداعيًا خلاقًا، لقد صدق فولتير حين قال: إذا طرق الرقىُّ باب أمة سأل أولا: هل لديكم فكر حر؟ فإذا أجابوه: نعم دخل وارتقت الأمة وإذا أجابوه: لا، ولَّى هاربًا وانحطت الأمة.

■ مؤسس الإمبراطورية المصرية

الموسيقى الحالمة تنساب فى أنحاء مصر القديمة فى كل مكان، والأنوار الخافتة تتلألأ وكأنها نجوم السماء، الكلمات همسة والوجود لمسة، صفحة الزمن مكشوفة، لا حدود ولا سدود بين الماضى والحاضر، عالم جميل حلو، لا لغو فيه ولا تأثيم، عالم كله سلام.

قلت للملك بسمتك الثالث (الأسرة ٢٦) الذى حكم سنة واحدة وانتحر لهزيمة مصر أمام الفرس (٥٢٦–٥٢٥ ق.م) يا جلالة الملك: هذه هى المرة الثانية التى تعرضت فيها مصر للاعتداء الخارجى بعد الهكسوس. قال الملك: لا يا ولدى. لقد تعرضت مصر لاعتداءات كثيرة خصوصًا بعد انتهاء عصر الدولة الحديثة، سألته وما الدولة الحديثة ومن هم ملوكها وأين هم؟ قال الملك: الدولة الحديثة هى الأسرات ١٨، ١٩، ٢٠ والأسرة الثامنة عشرة كانت ١٤ ملكا، منهم أحمس الأول، حتشبسوت، تحتمس الثالث، إخناتون، حور محب، أما الأسرة ١٩ فكان عدد ملوكها ثمانية، منهم رمسيس الثانى، مرنبتاح.

أما الأسرة ٢٠ فكان ملوكها عشرة وتسمى بأسرة الرعامسة؛ لأن من حكامها رمسيس الثالث حتى رمسيس الحادى عشر، ثم أشار الملك إلى قاعة فسيحة تصدح منها الموسيقى وكأنها

واحدة من قاعات قصر فرساى بفرنسا، إنهم مجتمعون هناك، هيا نذهب ونلتق بهم حتى تتحدث إلى من تشاء.

ذهبنا إلى هناك، قدمنى بسمتك الثالث إليهم بكلمات كلها رقة وثناء، قدموا لنا الأمبروزيا (طعام الخلود). الإكوافيتا (ماء الحياة) قلت لهم: الكرم المصرى أصيل منذ قديم الزمان، تمنيت لو أننى سمعت منكم ما تعرضت له مصر فى عصوركم من أطماع واعتداءات حتى وصلنا إلى عصر الانهيار بعد دولتكم الحديثة، التى أقمتم فيها إمبراطورية طولها ٣٢٠٠ كيلو متر امتدت من الفرات شمالاً إلى نبتا فى السودان جنوبا، اتجهت الأنظار إلى تحتمس الثالث، قلت له: يا مؤسس الإمبراطورية المصرية، ويا من تقدمت جيشك على قدميك فى غزونا، حدثنى واملأ قلبى فرحًا وسرورًا قبل أن أسمع من غيرك ما يجعل نفسى حزينة حتى الموت، قال إمبراطور مصر العظيم: لقد حكمت مصر ٥٤ سنة منذ ١٤٩٠ ق.م حتى ١٤٣٦ ق.م وكان ذلك بعد حكم الملكة حتشبسوت، تجمع أعدائى فى السنة الأولى من انفرادى بالحكم فى مجدو (فلسطين) وكانوا زعماء ثلاثمائة وثلاثين قبيلة تحت رئاسة أمير قادش، وقمت بحملة وانتصرت عليهم إلا أمير قادش،هرب إلى قادش وتحصن بها ولم أستطع الانتصار عليه إلا فى حملتى السادسة، وبعدها قدمت ممالك ميتانى، خيتا (آسيا الصغرى)، أشور، بابل، ولاءها لمصر، وأصبحت جميع ثغور فلسطين وسوريا داخلة تحت نفوذ مصر، وأعلنت قادش العصيان مرة ثانية، وآزرها ملك ميتانى، واضطررت لتأديبهم فى حملتى

السادسة عشرة، وأذكر أن زعيم قادش أطلق فرس وسط جيادى التى تجر العربات العسكرية، فأثارت اضطرابًا شديدًا لولا شجاعة وزيرى «آمون حوتب» الذى هجم على الفرس وقتلها. قلت له: كانت مصر فى عصركم لها صوت مسموع النفير، وكلمة مرهوبة الصرير، كانت الخيرات تتدفق عليها من كل جانب، ولكن أفضل أعمالكم التى تتسم بالحكمة.. أنكم أبعدتم رجال الجيش عن إدارة البلاد المالية والسياسية والقضائية والإدارية حتى يتفرغوا لبناء الإمبراطورية ويحافظوا عليها، ولكن حدثنى عن حتشبسوت عدوك، أو عدوك اللدود، فقد كانت تتشبه بالرجال، حدثنى كيف دمرت آثارها، وضاع جثمانها فلا وجود له حتى الآن ؟ قال تحتمس الثالث: كانت ملكة قوية الشكيمة، شديدة البأس، ادعت أنها ليست من صلب أبيها، وإنما هى ابنة للإله آمون رع الذى اختار أمها الملكة لتكون أما لابنة إلهية تحكم مصر! كما ادعت أن والدها تحتمس الأول بايعها بالملك، وأن الكهنة وكبار رجال الدولة وافقوا على ذلك! لقد اغتصبت الملك من والدى تحتمس الثانى، ثم اغتصبته منى بعد ذلك، كانت هى عمتى، وكانت تكتب اسمى مع اسمها فى البداية، ولم تمض سنوات حتى أصبح لها الأمر المطلق، ولم يعد لى أى ذكر بجوارها، ووقعت فى حب المهندس المعمارى سنموت الذى بنى لها معبد الدير البحرى، والذى وقعت فيه كارثة الأقصر منذ وقت قليل، ولكنها انقلبت عليه وكأن سنموت بعث حيًا فى سنمار!

فلما اشتد ساعدى وانتهت أيام حكمها ولا تسألنى كيف كانت

نهاية هذه المرأة، أزلت كل أثر من آثارها، وكنت آمر العمال بأن يوقدوا النار فى تماثيلها ثم يصبوا الماء عليها فتتناثر إلى آلاف القطع.. قلت له: لقد شاهدت هذه القطع فى متحف المتروبوليتان بنيويورك بعد أن أعادها الأثريون على سابق شكلها.. دعنا من الملكة حتشبسوت التى اشتركت معها صُوريًّا أربع سنوات وأُعطيت بعد ذلك نصف قرن من الزمان أقمت فيه الإمبراطورية المصرية، هل صحيح أنك شاهدت أطباقًا طائرة فى عصرك؟ قال: نعم يا ولدى تجد هذه الظاهرة مسجلة فى بردية فى الفاتيكان تقول عن لسانى: «فى السنة ٢٢ من حكمى، فى فصل الشتاء ظهرت أجسام مستديرة فى سماء البلاد، أمرت بتسجيل هذه الظاهرة للأجيال القادمة».

■ دعائم الحضارة

قال صاحبى: أعتقد أن الحضارة المصرية قامت على ثلاث دعائم: ١- الأخلاق ٢- العلوم ٣- السماحة الدينية؛ أى الإيمان بإله واحد، ولكن بمعتقدات أو طرق مختلفة كالآمونية، والآتونية، والأوزيرية.. إلخ، وفرق بين السماحة Tolerance وبين التسامح Forgivness

السماحة هى احترام معتقد الآخر، والتسامح هو خطأ ارتكبه الآخر فى حقك وأنت تنازلت عنه، لذا يجب أن تقول سماحة الأديان وليس تسامحها! استطرد صاحبى قائلا: وحين أراد الفرعون المارق إخناتون أن يفرض الآتونية التى تعرفها مصر من قبله بآلاف السنين (رع) بدأ الشر العظيم كما بدأ انهيار الإمبراطورية المصرية مع تعصبه الممقوت! الذى مزق مصر إلى شيع وطوائف! يقولون إن هذا القرن هو القرن الأمريكى، ولكنى لا أرى ذلك، ويكفى ما أثاره المتزمتون أخيرًا حول نظرية داروين، انحصرت مساحة الحرية الفكرية. وانحسرت فى مفاهيم قديمة آن الأوان أن نتحرر منها!

قلت: هذا صحيح.. لقد دعا مفكرون أحرار مثل سبينوزا، وجورج برناردشو، وهكسلى، ونتشه إلى مناقشة هذه المفاهيم بدلا من لىِّ الحقائق حتى تتفق معها، فنهضت أوربا كما نهضت

إسرائيل! صحيح أن لها خيال مآتة من الحاخامات، ولكنها دولة علمانية مائة بالمائة، ولن تتقدم مصر إلا بأن نتلو مرسوم عزل الكهانة السياسية، لأن العلمانية فى سطر واحد هى أن رجال العالم كالخبراء والعلماء - كل فى ميدانه - هم الذين يحكمون وليس رجال الدين والسياسة هى فن الإنتاج «هارولد لاسكيس» وما شأن رجال الدين بالإنتاج الزراعى أو الصناعى أو العلمى.. إلخ؟

قال صاحبى: وما رأيك فى نظرية داروين ؟!

قلت: لم يقل داروين إن الإنسان أصله قرد، بل قال إن الإنسان والثدييات العليا كالشمبانزى والأورانج أوتان والغوريللا تجمعها صفات مشتركة، وهذا صحيح ويكفى أن العلم أثبت أننا والشمبانزى نتشابه فى ٩٨٪ من الجينات!

كما أن فيروس شلل الأطفال لا يصيب إلا الإنسان والشمبانزى! كما أن ٨٥٪ من البشر يحملون دم قرود RH «نوع من القرود يدعى ريزص«Rhesus Monkey»!

كما قال أن أشكالاً كثيرة من الأحياء اندثرت؛ لأنها لم تقو على التكيف كالديناصورات التى اندثرت من ٦٠ مليون نسمة! وهذا هو قانون الانتخاب الطبيعى، أو البقاء للأصلح!

كما قال إن فى حياة الفرد تتمثل حياة العصور، فنحن نمر بمرحلة الخلية الواحدة، ثم مجموعة الخلايا، ثم المرحلة السمكية «خياشيم» ثم.. ثم..!

كانت المعارضة مريرة من فرنسا لداروين، كما هاجمه أسقف أكسفورد Samuel Willbforce وسأله إذا كان انحدر عن القرود من طريق الأب أو الأم؟! فرد عليه Huxly : أفضل أن ينحدر من كليهما معا على أن يخاطب جاهلاً مثلك!

الشيء الجميل أن الكنيسة التى هاجمته فى ١٨٥٩ اعتذرت فى ١٩٥١، وقال البابا بيوس الـ ١٢: تقبل الكنيسة نظرية التطور للإتيان بالجسم البشرى، على شرط أن تكون الروح من الله، «ولم يتعرض داروين للروح».

■ عائلات صقر

قلت لصديقى الدكتور مصطفى الرفاعى مؤلف كتاب «الطيور المهاجرة»: أريد أن تحدثنى كعالم فى الطيور وليس كعالم فى جراحة المسالك البولية، أليس غريبًا أن أجدادنا القدماء اعتبروا الصقر - وليس النسر بالرغم من أنه ملك الطيور - من الطيور المقدسة، بل ونظروا إلى الصقر على أنه الـ BA أو الروح، وكثيرًا ما صوروا الروح صاعدة إلى النجوم على هيئة صقر برأس إنسان، كما اعتقدوا أن الصقر إنما هو روح حورس، التى تحمى الملك، فنجد الصقر فاردًا جناحيه حول خفرع (الأسرة ٤) على سبيل المثال!

قال صديقى: إنما الصقر هو الذى يجب أن يكون ملكًا للطيور، وليس النسر، فالصقر طائر ذكى، يسهل تعليمه اصطياد الفريسة، ويمكنه اصطيادها حية كالحمام الزاجل الحامل لرسالة وقت الحروب القديمة، كما يستطيع أن يهبط على رأس غزالة ويفرد جناحيه فى عينيها، حتى يسهل صيدها، ودائمًا يقف على أعلى شىء كقمم الجبال أو رءوس الأشجار!

قلت: أعرف أن أجدادنا كانوا يرمزون للإله بالصقر؛ لأنه الطائر الوحيد الذى ليست له جفون، والله لا يغفو عن رؤية البشر، كما أنه دائمًا فى الأعالى، والمجد لله فى الأعالى، كما أنه طائر

نبيل لا يهاجم أوكار أو عشش الطيور، ولا يأكل الجيف «جمع جيفة» كالنسور، بل لا يصطاد فريسته إلا وهى طائرة حتى يعطيها فرصة للنجاة! وبهذه المناسبة لماذا أطلق بوش الابن على حملته فى أفغانستان: النسر النبيل؟!

ابتسم الدكتور مصطفى قائلا: لقد أطلق لويس التاسع على حملته التى هزم فيها وأسر فى دار ابن لقمان بالمنصورة اسم: «النسر النبيل» فهذا اختيار غير موفق لأن النسر ليس نبيلاً، ولأنه فأل سيئ على بوش الابن! ولقد شعر المصريون بعظمة الصقر، فأنشئوا معبدا باسمه فى إدفو، وحتى الآن نقول «الصقر صقر وله همة، يموت من الجوع ولا ينزل على رمة» وقد أخذ العرب عنهم هذا الفهم، وأصبح صقر مصر هو صقر قريش.. إن العرب أحفادنا وتلاميذنا!

قلت لصاحبى: حين أتأمل مملكة الطيور والحيوانات اكتشف أن حاسة الشم عند الكلاب عشرة آلاف مرة قدر الإنسان «جانونج»، وأن كُلْية القطة أو حيوانات الصحارى أكثر كفاءة ستين مرة من كُلْية الإنسان، وأن النعامة تضع رأسها على الرمال حتى تسمع وقع أقدام الصياد فتهرب إلى الاتجاه المعاكس، وأن الخفاش هو أول سونار ظهر على الأرض، وأن عيوننا لعب أطفال إلى جانب عيون الصقور، ويبدو أن «العقل ما فيش غيره حيلتنا»، كما تقول شادية فى أغنيتها المشهورة!

قال الدكتور مصطفى: وياريت نستخدمه! هل تعلم أن الصقر يرى بوضوح على بعد ٥ كيلو مترات، وأنه يطير بسرعة ٩٠ كيلو

مترا فى الساعة، وينقض على الفريسة بسرعة ١٧٠ كيلو مترًا فى الساعة! ويستعمل الآن فى المطارات لطرد الطيور حتى لا تتعطل الطائرات وربما تسقطها!

قلت مبتسمًا: أعرف الكثير من عائلات صقر والصقار، ولكنى لم أسمع أبدًا عن عائلة نسر! وهذا هو الحس المصرى المرهف للأسماء.

■ عضو التذكير

كتب ول ديورانت فى موسوعته قصة الحضارة أن الإنسان البُدائى كان يتقرب للآلهة بالأضاحى البشرية أو الحيوانية، وما عملية الختان «الطهارة» إلا نوع من التضحية بالقلفة، وإسالة الدماء، دون القضاء على الأطفال الذكور!

وقد ذكر هيرودوت، واسترابون، وديودور الصقلى، أن عملية الختان كانت تمارس فى مصر القديمة منذ أقدم العصور وقبل عصر الأسرات بآلاف السنين.

كان الكاهن يضع خلا على رخام من حجر ممفيس، فيتصاعد ثانى أكسيد الكربون البارد الذى يخدر القلفة التى سيقطعها فى عملية الختان.

جدير بالذكر أن هذه العملية كانت تجرى بعد سن الخامسة، وقد أثبتت العلوم الحديثة أن هذه العملية لا يجب أن تتم قبل عمر ثلاث سنوات، حتى يتم الانفصال الطبيعى للقلفة عن رأس القضيب Journal of North America

إن كلمة ختن، ختان، ختم، إنما هى كلمات مصرية قديمة، فحرف الخاء فى الكتابة الهيروغليفية إنما هو دائرة بداخلها سطور، أى شكل الختم، وكلمة خت معناها قطع، ومنها كلمة Cut الأجنبية بمعنى قطع، وبحرف النون خ ت ن، معناها ختم قطع، من قديم، أى أن هذا عهد «ختم» بالقطع من العصور القديمة.

كانت مصر القديمة لا تسمح بدخول المعابد إلا للمختونين «سليم حسن» وكانت شعيرة قاصرة فقط على المصريين دون شعوب العالم من حولهم، مما يؤكد تفردنا واختلافنا وريادتنا لكل من حولنا.

لقد تم ختان إبراهيم عليه السلام فى مصر، وهو فى الثمانين من عمره، جدير بالذكر أنه لم يكسر تماثيل مصر لأنها ليست أصنامًا كما فعل مع أهله فى أور الكلدانيين! كما ختن ابنه إسماعيل وهو فى التاسعة والتسعين، كان الختان ختمًا إلهيًا، وعهدًا بين الله وإبراهيم وقال الله لإبراهيم: هذا هو عهدى تحفظونه بينى وبينكم يختن منكم كل ذكر فيكون علامة عهد بينى وبينكم، عهدًا أبديًا «تكوين ١٧-١٣».

كانت عملية الختان لتذكير الناس بهذا العهد الإلهى بين الله والمصريين، ثم باقى شعوب العالم فسمى هذا العضو المختون بـ: عضو التذكير!

وجاءت منها باقى الاشتقاقات ذكر، ذكورة، ذكرى إلخ! جدير بالذكر أن كلمة Testis أى خصية إنما جاءت من كلمة شهادة Testimony ومنها يشهد Testify ذلك لأن إبراهيم التوراتى كان يضع يده على «فخذه» حين يشهد أو يقسم!

جدير بالذكر أن مصر القديمة لم تمارس ختان الإناث، والذى أصبح اسمه الآن تشويه أعضاء الأنثى التناسلية Female Genital Mutilation وأن ما بدا على بعض المومياوات وكأنه

ختان للإناث، إنما هو بسبب ملح النطرون على الجسد وتآكل هذه الأعضاء «ماسبيرو – إليوت سميث».

إن كلمات دين، ملة، حنيف، ختان، صوم، حج، ماعون، كلها مصرية قديمة! حقا فى البدء كانت مصر.

المصادر:

قصة الحضارة.. ول ديورانت، المصريون القدماء.. أول الحنفاء.. د. نديم السيار.

العهد القديم.. «سفر التكوين»، نظرة طبية فاحصة فى الحب والجنس.. د. وسيم السيسى.

■ السحر والسحرة

السحر هو استخدام قوى غيبية لشفاء مرض أو جلب ضرر أو منفعة لإنسان، وكلمة سحر باللغة المصرية القديمة حكاو، والساحر هو حكاى، والتعويذة بالمصرى القديم هى سحرى «فوكنر ٢٣٨»!

ونحن نقول باللغة العربية ها يسحر له؛ أى سيصنع له تعويذة، وكانت إيزيس يطلق عليها ورت حكاو أى عظيمة السحر!

يعتبر السحر هو الأب الطبيعى للطب؛ لأن الساحر كان يستعين فى بعض الأحيان بالنباتات الطبية بعد أن يقرأ عليها بعض التعاويذ، وبمرور الزمن اكتشف المرضى أن هذه النباتات الطبية تأتى بمفعولها سواء فى وجود الساحر أو غيابه!

كان الساحر فى مصر القديمة - وربما حتى الآن - يتمتع بصفات معينة، كتشويه فى وجهه أو جسمه «كل ذى عاهة جبار» أو يعانى من مرض عصبى كالصرع، وقدرة هائلة على الإيحاء بالشفاء، وكان يستعين بالتعاويذ الدينية.

كان السحرة فى مصر القديمة يلبسون عقودًا حمراء، ويمسكون بحبل أحمر اللون به عقد، ويبدءون بتحية الهاتورات السبع، ثم ينفخون فى هذه العقد، وقد ذكر القرآن الكريم هؤلاء السحرة فى قوله: ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، ثم يبدأ الساحر فى طلب ما يريد، كإبعاد شر أو جلب شفاء، نجد فى إحدى البرديات.. الساحر

يخاطب الروح الشريرة فى جسد الطفل قائلاً « اخرجى يا كاسرة العظام، يا متسللة إلى الشرايين، هل حضرت لتقبيل هذا الطفل؟! لن أسمح لك بتقبيله؟!.. هل أتيت لتأخذى هذا الطفل معك ؟ لن أسمح لك بذلك، لقد أحضرت معى الدواء، العسل، حلو للأحياء، مميت للأشرار!.. اخرجى أيتها الشريرة عن طريق «البول أو القىء»!

وكان أشهر السحرة DJEDI, DJED, وأشهر برديات السحر هى بردية وست كار WESTCAR، نجد فيها دور السحر فى شق البحيرة فى عهد الملك سنفرو، ذبح الإوزة والثور وإعادتهما للحياة فى عصر الملك خوفو، والتى تحولت إلى ثعابين فى المباراة بين الساحر المصرى والساحر الحبشى، وقد ذكر القرآن الكريم قدرة السحرة المصريين على ذلك، وكيف التهمت عصا موسى - عليه السلام - ثعابينهم!

يذكر لنا التاريخ المؤامرة التى حدثت فى قصر رمسيس الثالث، كان الصراع على الحكم، وقتلوا طفلين بالسحر، وكانوا على وشك قتل رمسيس الثالث نفسه بالسحر، وانكشفت المؤامرة، وأعدم فيها من ثبتت خيانته، كما حكم بالإعدام على اثنين من القضاة لتواطئهما مع بعض جميلات القصر! وكانت المحكمة مكونة من خمسة عشر قاضيًا.

جدير بالذكر أن الاشتقاق الفارسى لكلمة ماجى «مفرد مجوس» جاءت من Magie الفرنسية أو Magic الإنجليزية، ومعناها العلم، كما أن كلمة الساحر Magicean معناها العالم «بول غليونجى» فالسحر هو الأب الشرعى للعلم، وبالتالى فلا يجب أن ننكر فضل السحر على العلم.

■ أشجار المال والسكر

قال صاحبى: أعتقد أن سر عظمة الحضارة المصرية القديمة أنها لم يكن لها تاريخ!! إنها فجر الضمير أو فجر التاريخ!

جميع الدول تبحر فى بحر الزمن، تركت شاطئ الماضى، وتتجه إلى شاطئ المستقبل، هناك دول تنظر إلى المستقبل، ودول أخرى أعطت ظهرها للمستقبل، ووجهها للماضى، يثقلها تاريخ فرعونى أو قبطى أو إسلامى!! انظر إلى المصريين فى الخارج.. نماذج مشرفة حقًا! والسبب وراء هذا النجاح هو العمل من أجل المستقبل، وعدم إهدار طاقاتهم فى كنا وكان!!

قلت: إن حضارة مصر التى بدأت بالتدوين، قامت على سعى حضارى آلاف السنين، وهذا فى حد ذاته تاريخ، والشىء الوحيد الذى ينفرد به الإنسان هو أنه كائن حى ذو تاريخ، ونهضة أوروبا قامت على ثلاث: أن يكون لها تاريخ (أخذت التاريخ اليونانى الرومانى). الثورة الصناعية، إصلاح الخطاب الدينى. التاريخ هو وعاء التجارب الإنسانية، التاريخ معوق إذا كنا نعيش فيه ونتجمد بداخله، ولكنه حافز للتقدم إذا كنا نتعلم منه! ولو أنك قرأت تاريخ حسن الصباح «ثورة الحشاشين» كيف نشأت وكيف تطورت إلى الاغتيالات السياسية بسبب اليد الرخوة للدولة، لفهمت الكثير مما نحن فيه الآن! وكيف كان يمكن تجنب هذا البلاء!

قال صاحبى: دعنا من هذا كله، وحدثنى عن هذا الكتاب الذى معك!

قلت: هذا الكتاب اسمه شكل المستقبل Shape of the Future لكاتبه آرثر كلارك، وفيه يحدثنا عن شكل العالم فى الثلاثين سنة القادمة!

فعلى سبيل المثال ستكون المواصلات بالطرق المتحركة، والأحزمة الطائرة والسيارات التى ترتفع عن سطح الأرض ٥٠ سم، ووقودها بالماء «طاقة الهيدروجين»، والأعجب من هذا أنك لن تذهب إلى اليابان مثلا، بل ستكون فى مركبة فضائية خارج الغلاف الجوى ، وتظل ساكنا فى مكانك، حتى تأتى إليك اليابان «دوران الأرض» فتنزل إليها، لن تسافر إلى مكان ولكن المكان هو الذى يأتى إليك!

وستكون خانة الجنسية فى الباسبورت، أرضى، أو مريخى، أو زهراوى، أو قمرى!! لأننا سنكون: المجموعة الشمسية المتحدة!!

أما عن الغذاء فنحن عالة على الحيوان والنبات، بل نحن والحيوان عالة على النبات بسبب الهيموجلوبين غير القادر على الاستفادة من الطاقة الشمسية، وتحويل ثانى أكسيد الكربون والماء إلى سكريات ونشويات مثل النبات، وذلك لاختلاف بسيط بين الكلوروفيل، والهيموجلوبين! وهم يعملون الآن على إكساب الهيموجلوبين صفة الكلوروفيل فإذا أحسست بالجوع تخرج إلى الشمس فتشبع، سوف تنتهى المجاعات، خصوصًا أن معظمها فى

بلاد مشرقة بالشمس، بل ستنتهى معظم الحروب لانتهاء الصراع من أجل الإبقاء على الحياة!

ابتسم صاحبى وقال: أرجو ألا ندخل فى خلافات، هل التعرض للشمس أثناء الصيام حلال أم حرام!؟

قلت: هل سمعت عن أشجار المال؟ لقد هندسوها وراثيًّا، وأثمرت أوراقًا من ذهب! هل سمعت عن أشجار السكر؟ والتى تبلغ حلاوتها ألفى مرة حلاوة السكر العادى؟! قال محمد قنديل: تقول سكر.. أقول أكتر ٢٠٠ مرة، جاء العلم فقال بل ألفى مرة!!.

■ سر العبقرية

قال صاحبى: أين رجال الآثار الذين هم بالمئات؟! لماذا لا يردون على ما كتب فى الصفحة الأولى من أهم الجرائد القومية، إن تعامد أشعة الشمس على وجه رمسيس الثانى ٢٢ فبراير، ٢٢ أكتوبر، إنما هو محض مصادفة، لا أساس لها من علم الفلك أو الرياضيات ؟!

قلت: حين أراد روزفلت النيل من الحضارة المصرية القديمة، غلى الدم فى عروق أحمد شوقى أمير الشعراء وقال له:

اخلع النعل واخفض الطرف واخشع   لا تحاول من آية الدهر غضا

شاب من حولها الزمان وشابت   وشباب الفنون مازال غضا

أنا المحتفى بتاريخ مصر   من يصن مجد قومه صان عرضا

جدير بالذكر أن غضا فى البيت الأول معناها التقليل من شأن مصر، وغضًّا فى البيت الثانى معناها شبابا.

قال صاحبى: كنت فى ندوة الأحد للأستاذ محسن لطفى السيد عالم المصريات وسألته عما جاء بخصوص تعامد الشمس.. فقال: إنها معجزة فلكية، بل معجزة داخل معجزة، والمعجزة الثانية أخطر من الأولى، فحين تبزغ الشمس فى فجر ٢٢ فبراير و٢٢ أكتوبر تخرج من البحيرة التى هى أمام معبد «أبو سمبل»

وتدخل أشعة الشمس إلى قاعة الأعمدة ثم إلى قدس الأقداس، فتضيء وجه حور أختي «إله الدلتا أو حورس الأفقي»، ثم تضيء وجه رمسيس الثاني «ابن الشمس»، ثم وجه آمون «إله الشمس الباطن»، ثم تضيء نصف وجه الإله بتاح، ويظل النصف الآخر في ظلام دامس!

ذلك لأن الإله بتاح له صفتان، الأولى هي صفة الإله الخالق المشرق المضيء، لذلك تضيء الشمس نصف وجهه فقط، والثانية أنه إله العالم السفلي المظلم واسمه بهذه الصفة «سوكر» التي جاءت منها سقر!

وهنا المعجزة الكبرى، والتي تدل على حسابات فلكية ورياضية دقيقة!

سألت صاحبي: وهل صحيح أن الشمس تتعامد مرتين في السنة، عيد ميلاده،وعيد تتويجه ؟!

قال: هذا رأى عالمة المصريات الفرنسية مدام كريستين نوبلكور، وقد تكون هذه التواريخ فعلاً كما هو شائع ومعروف، وقد تكون لمناسبات أخرى، ولكن الواضح أنها قائمة على علوم فلكية ورياضية.

قلت: هل تعلم أن هذه العالمة الفرنسية مذهولة مما قرأته أن عين آمون اليمنى هي الشمس، واليسرى هي القمر، والعين اليسرى تستمد نورها من العين اليمنى!

إنها تقول: ما نعرفه عن علوم مصر القديمة قطرة، وما نجهله محيط! ليس هذا فقط، فحين تبزغ الشمس تضىء وجه أبى الهول بالتدريج، وكأن مصر ترفع الظلام عن وجهها كل صباح، وقد استوحى المثال محمود مختار هذه الفكرة من أبى الهول بعد أن شرحها له الدكتور سليم حسن، فكان تمثال نهضة مصر، وقد آن الأوان أن نزيل مبانى نزلة السمان حتى تضىء وجه أبى الهول من جديد.

تمتم صاحبى بأبيات من الشوقيات:

مشت بمنارهم فى الأرض روما ومن أنوارهم قبست أثينا

تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارة منطقينا

وسر العبقرية حين يسرى فينتظم الصنائع والفنونا

■ الإرث الجميل

كان موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب يشدو بأغنية الكرنك من شعر أحمد فتحى:

أين يا أطلال جند الغالب   أين آمون وصوت الراهب؟

قال صاحبى: اسمع ماذا يغنى عبد الوهاب! ألا ترى أن الكل إلى زوال ولا يبقى غير وجه ربك ذو الجلال! أين حضارة مصر العظيمة الآن؟! بل أين الإمبراطورية الرومانية أو البريطانية التى كانت لا تغرب عنها الشمس؟ بل أين الإمبراطورية الأمريكية بعد مائة عام؟ يبدو أن الفلسفة العدمية أو اللاشيئية؛ أى أن كل شىء سيصبح لا شىء صحيحةٌ! وإلا خبِّرنى ماذا تبقَّى لنا من الحضارة المصرية القديمة؟!

قلت: يجب أن نفرق بين الإمبراطوريات والحضارات، الإمبراطوريات تزول أما الحضارات فتبقى فى مسيرة الإنسان الحضارية عبر آلاف السنين! صحيح أن جند الغالب أصبحت أطلالا، ولكن آمون وهى - آمين - أصبحت فى كل صلاة يهودية أو مسيحية أو إسلامية! كذلك صوت الراهب موجود عند المتصوفة والرهبان!

أمَّا ماذا تبقى لنا من الحضارة المصرية، فالرد هو أنه تبقى لنا الكثير! هذه الموسيقى التى تسمعها، السلم الموسيقى هو سلم

مصرى قديم بدأ ثلاثيًا، ثم خماسيًا ثم سباعيًا، ولم يستطع أحد أن يضيف إليه شيئًا!

انظر إلى كنوز المعرفة التى حفظناها على الورق، أليس هذا اختراعًا مصريًا من أوراق البردى، والأقلام من بوص البردى، والأحبار من نبات النيلة الأزرق ؟!

أليست النسبة التقريبية ٧/٢٢ التى لا تخلو معادلة لأينشتين أو بوهر أو نيوتن منها، أليست هذه المعادلة الرياضية، مصرية قديمة ٣٥٠٠ ق.م «أرشيبالد – مانج – بل»!

ألم تكن الخيوط الجراحية كات جُت CATGUT التى نستخدمها حتى الآن فى غرف العمليات، اختراعا مصريًا قديما، ناهيك عن المشارط والإبر الجراحية.. إلخ.

ألم يكن المثلث القائم الزاوية، والذى أخذه فيثاغورس عنا «الحبل ذو الـ ١٢ عقدة» من الرياضيات المصرية القديمة؟ هذا عن العلوم، فما بالك عن الأخلاق والعقيدة ؟ بل اللغة أيضا! أليس أجدادنا المصريون هم أول من عرفونا بحياة أبدية بعد هذه الحياة، وأن هناك حسابا «محكمة العدل الإلهية» وأن هناك ثوابا «جنات يارو» وأن هناك عقابا «النار وعم موت أى الوحش الذى يلتهم الموتى»، حتى إن «جيمس هنرى برستد» يقول فى كتابه «فجر الضمير»: كان يومًا أسود حين اكتشفت أن القانون الأخلاقى فى مصر القديمة أسمى بكثير من القانون الأخلاقى فى التوراة الذى خلا من لا تكذب، وقانون أخلاقى ليس فيه لا تكذب،

إنما هو قانون أخلاقى ناقص! لا.. يا صاحبى لقد تركوا لنا الكثير.. تركوا لنا السمعة الطيبة والإرث الجميل، تركوا لنا ما نفاخر به الأمم، تركوا لنا آثارًا لو أحسنا الاستفادة منها كإسبانيا لأصبحنا أغنى منها، ويكفى أن نصيب إسبانيا من الدخل القومى سنويًّا، كدخل الدول العربية كلها مجتمعة! تركوا لنا ثروة لا تحتاج أن نسقيها «زراعات» ولا أن نعلفها «ثروة حيوانية» فقط علينا أن نحميها من أعداء الحضارة، وأتباع ابن لادن وطالبان! لا يا صاحبى.. لقد حذرنا أبو العلاء:

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى إنى أخاف عليكمو أن تلتقوا

■ ويقولون فراعنة!

قال صاحبى: قرب انتهاء عصر الاضمحلال الأول (من الأسرة السادسة حتى الأسرة العاشرة) قرأت أن الملك خيتى الرابع (رابع ملوك الأسرة العاشرة)، كان يوجه تعاليمه إلى ابنه مرى كارع ومنها:

ما أعظم العظيم الذى يكون رجاله عظماء! وما أقوى الحاكم الذى يكون أتباعه نبلاء! تحلَّ بالفضائل حتى يثبت عرشك على الأرض، هدئ من روع الباكى، ولا تظلم الأرملة، ولا تجرد أحدًا مما يملك، ولا تكن فظًا بل كن رحيم القلب، ولا ترفع ابن الشخص العظيم على ابن الشخص المتواضع، بل قرب إليك الإنسان حسب كفاءته، حاذر من الانقسام الداخلى فى البلاد حتى تستطيع أن تتصدى للغزو الخارجى[1].

قلت ما أحوج أى حاكم فى أى زمان أو مكان لهذه النصائح والإرشادات، ولو أن خيتى الرابع معنا فى هذه الأيام لأكمل نصائحه قائلا: عليكم بمكافحة الانفجار السكانى.. إنه السرطان الذى يأكل أى تنمية فى مصر.. ويكفى أن مليون فم جديد تطلب الغذاء كل سنة، ثم المدارس بعد أربع سنوات، ثم البيوت بعد عشرين سنة!

---

(١) (معالم تاريخ القانون المصرى الفرعونى - دكتور محمود السقا - كلية الحقوق - جامعة القاهرة - صفحة ٤٨)

فـى سنـة ١٩٠٥ كـانت مصـر والنرويـج أربـعـة مـلايين نسمـة، وبـعـد مـائـة سنـة، أصبـحـنـا سبـعين مـليـون نسمـة، والنرويج خمسة ملايين، قارن يا صاحبى بين تنمية مائة عام لمليون فى النرويج، وخمسة وستين مليون فى مصر! لقد أجمع علماء السكان أننا إذا توالدنا كالأرانب، نموت كالأرانب

If we breed Like rabbits we die Like rabbits.

قال صاحبى: ولكن بعض رجال الدين يقولون الحديث النبوى الشريف «**تناكحوا تناسلوا.. فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة**».

قلت هذه مشكلتنا يا صاحبى..

ننتزع الحديث من وسط ظروفه وأسبابه..! كان هذا الحديث والإسلام قليل.. أما الآن فالإسلام كثير، أضف أن المباهاة يوم القيامة بالنوعية وليست بالكمية، دليلى على ذلك الحديث النبوى: «تردون على حوضى يوم القيامة أرسالاً وأمما، فأقول لكم.. بعدًا بعدا.. سحقا.. سحقًا»!

لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء»، وسألوه: ما جهد البلاء يا رسول الله: قال: «قلة المال، وكثرة العيال»!

قال صاحبى: لماذا لا نأخذ تجربة سنغافورة فى تنظيم الأسرة؟! إنهم يفرضون غرامة على الأب خمسمائة دولار إذا أنجب الطفل الثالث، ليس هذا فقط، بل يرفع دعم الدولة عن هذا الطفل الثالث.. سواء فى الغذاء أو الدواء أو التعليم، فأصبحت سنغافورة

وهى الدولة التى استقلت عام ١٩٦٤، والتى مساحتها ٤٤ × ٢٤ كيلو مترًا فقط، صاحبة أعظم مطار فى العالم، والدولة رقم واحد من ناحية النظافة!

قلت هذا صحيح.. فنحن فى عصر العقل لا العضلات BRAIN NOT BRAWN وهذه الكلمة BRAWN لاتينية معناها العضلات، والعقول لا تحتاج إلى كمية، بل نوعية تعليم حتى يكون الإبداع والابتكار..

■ لعنة غرفة الأسرار

قلت للمؤرخ المصرى مانيتون: إن ما نعرفه عنكم قليل من كثير وأنا عضو فى الجمعية الأمريكية لدراسة الظواهر الجوية A.P.R.O وقد وصلنى شريط فيديو عن مؤتمر فى ألمانيا أقامته جمعية رواد الفضاء القدامى يونية ١٩٩٩، وقد تمكن علماء جامعة بريمن من بناء طائرة مكبرة ٦٠ مرة من نموذج الطائرة الفرعونية التى اكتشفها الأستاذ الدكتور خليل مسيحة P.H.D الطبيب وعالم الآثار المصرية، وقد تمكن هؤلاء العلماء من تحويل هذه الطائرة الفرعونية من الطيران الشراعى إلى الطيران الآلى بعد تركيب مروحة وموتور صغير يعمل باللاسلكى، وقد شاهدت هذه الطائرة الفرعونية وهى تطير وتقوم بمناورات فى الجو، ولدى شريط الفيديو إذا أردت الاطلاع عليه!

سألنى مانيتون: زدنى إيضاحًا بهذا الكشف قبل أن أخبرك بما لا تعلم عن هذا الموضوع، قلت: فى سنة ١٩٦٩ أجرى الدكتور خليل مسيحة دراسة على نموذج خشبى كان المعتقد أنه لطائر، إلا أن عالم المصريات لاحظ أن النموذج ليس له أرجل! كما أن الذيل عمودى وليس أفقيًا، كما أن زاوية ميل الجناح مع الجسم، إنما هى زوايا طائرة وليست زوايا طيور، أعلن دكتور خليل. رحمه الله - عن اكتشافه فى مؤتمر صحفى بالمتحف المصرى عام ١٩٧٢، وتوالت زيارات المهتمين بهذا الكشف حتى عقد

مؤتمر عالمى بالنمسا - فيينا - ١٩٨٢ وأخيرًا مؤتمر ألمانيا الذى عقد فى شهر يونيو ١٩٩٩، وطارت فيه هذه الطائرة الفرعونية بعد تكبيرها ستين مرة، قال مانيتون: انظر إلى نماذج الطيور فى المتحف المصرى، كلها لها أرجل، ولها أجنحة بزوايا مختلفة عن نموذج دكتور خليل مسيحة، كما أن الذيل أفقى وليس رأسيًا، لقد كان من أحلامنا الطيران.. وتجد فى الدور الأول من المتحف المصرى رجلا بأجنحة محلقًا فى السماء وتحت قدميه - على بعد سحيق - صور للماعز والأبقار وسائر الحيوانات، والسؤال هنا: هل كان هذا التمثال أمنية نتمناها أم حقيقة توصلنا إليها؟ فهذا سر مكنون فى غرفة الأسرار بالهرم الأكبر، والتى ستصلون إليها عما قريب.

قلت: يا جدى العزيز لقد سجل لكم التاريخ ظهور أطباق طائرة فى سماء البلاد فى فصل الشتاء من السنة ٢٢ من حكم جلالة الملك تحتمس الثالث (بردية الفاتيكان)، كما سجل التاريخ نزول مركبة فضائية فى إنجلترا القرن التاسع الميلادى إبان حكم الملك شارلمان، ونزل من هذه المركبة ثلاثة رجال وامرأة، وقد حاول الناس الفتك بهم لولا تدخل رجل دين أقنع الناس أن الشيطان هيأ لهم ما يشاهدونه أمامهم!! وفى إيرلندا سنة ١٢١١ ميلادية حدث ما يشبه ذلك، وفى سنة ١٢٧١ حكم بإعدام كاهن، ظهر جسم لامع، فأوقفوا الإعدام! وعربة حزقيال، الطيار الأمريكى كينيث أرنولد ١٩٤٧/٦/٢٤ أول من شاهد تسعة من الأطباق الطائرة، واعتقد أنها سلاح طيران جديد وأسماها

الطائرات التى بدون أجنحة، وتوماس مانتل الذى فقد حياته وهو يطارد طبقًا طائرًا، وكان ذلك فى ١٩٤٨/١/٧، ويؤرخ له بأنه أول شهيد للأطباق الطائرة، القضية التى رفعها المحامى بيتر جيرستون ثلاث مرات ضد وكالة الأمن القومية بأمريكا تحت رقم ٥٥٢ب١ لمعرفة ما تعرفه الوكالة عن الأطباق الطائرة، واعترف رئيس الوكالة يوجين ييتس EUGINE YATES أن لديهم ٢٣٩ وثيقة عن الأطباق الطائرة! وجاء فى حيثيات الحكم أن الوكالة لها كل الحق فى حجب هذه الوثائق عن الجمهور؛ لأن كشف ما تحتويه هذه الوثائق يضر مصالح الولايات المتحدة ضررًا بليغًا (المرجع: سرى فوق العادة - تيموثى جود ص٤١٣)، القضية التى رفعها نفس المحامى مع محام آخر هو هنرى روثبلات Henry Rothblatt ضد وكالة الفضاء الأمريكية ناسا، استنادًا على قانون حق الحصول على المعلومات مادامت لا تؤثر على سلامة الولايات المتحدة، وصدر الحكم فى ١٩٧٨/١٢/٢٠، أن يسمح للجمهور بالاطلاع على مائة صفحة فقط من تسعة آلاف صفحة عن الأطباق الطائرة، على أن تظل ٨٩٠٠ صفحة طى الكتمان! ودائرة المعارف البريطانية مرجع ١٨.. تذكر لنا الأدلة المادية عن الأطباق الطائرة، حدثنى يا جدى وقد وعدتنى أن تقص على ما لا أعلم، قال مانيتون: سوف تجد الإجابة الوافية فى غرفة الأسرار بالهرم الأكبر، قلت له: كيف ذلك ولعنة الفراعنة تلاحق كل من يقترب من هذه الغرفة! ففى ١٩٦٧/٣/١٤ قام الدكتور خليل مسيحة بعمل مجس لهذه

الغرفة، أجلت مصلحة الآثار العمل، قام دكتور الفارز (نوبل) بدراسات عن هذه الغرفة، تضاربت النتائج وتعطلت أجهزة الكمبيوتر، حتى إن د. عمر جنيد (أحد أعضاء الفريق العلمى) قال: إما أن قوانين الطبيعة التى تعلمناها خطأ وإما هناك طاقة غير معروفة لنا تؤثر على الأجهزة الإلكترونية، ثم جاءت أخيرًا ١٩٨٧ بعثة «واسيدا» اليابانية وجاء فى صفحة ٦٤ من تقرير البعثة: اكتشفنا الغرفة، لم نعرف من أبعادها أكثر من ثلاثة أمتار؛ لأن أجهزة القياس تحطمت لأسباب غير معروفة!! قال مانيتون: سوف نخفى ما تسمونه (لعنة) حين تصبح البشرية مؤهلة لمعرفة الأسرار العلمية بداخل هذه الغرفة!!

■ أجراس الربيع فى الحقول!

دعانا المؤرخ المصرى «مانيتون» لقضاء عيدنا القومى «شم النسيم» فى قرية سياحية على الساحل الشمالى.. مررنا على قرى سياحية كثيرة معظمها تحمل أسماء أجنبية، وكأن لغتنا قد خلت من الأسماء أو كأن تاريخنا لم يعد له وجود فهل نجر أصحاب هذه القرى جرًّا إلى متاحفنا وآثارنا حتى نبصرهم ونعلمهم أن نهضة أوربا قامت على إحياء التراث اليونانى الرومانى ٥٠٠ ق.م، والذى هو قائم على التراث المصرى ٥٠٠٠ ق.م، ويكفى أن أفلاطون فى كتابه «القوانين» قال: ما من علم لدينا إلا وقد أخذناه عن مصر؟!

جلسنا على شاطئ البحر، كان البيض عليه دعواتنا مكتوبة لأن يوم شم النسيم هو يوم القدر، أما الفسيخ فكان اسمه البور «البورى» وهو رمز الخلق «بويضات السمك فى الماء» ومن الماء خلق الله كل شىء حى، أما البصل فهو الطارد للأرواح الشريرة أما الخس فهو هدية للإله «من» إله الخصب والنماء، وأخيرًا الملانة وهى الأجراس التى تعلن مقدم الربيع حين تهزها الريح وهى فى الحقول.

قال واحد منا لمانيتون: نحن نعرف يا سيدى أن دراسة فيلولوجى أى لغة.. أعنى علمها أو فقهها.. تعتمد على ثلاثة:

١-علم الصوتيات Phonetic

٢- علم الصرف أو صور الكلام Morphology

٣- علم قوانين الاشتقاق Etymology

فهل من المعقول أنه ليس لدينا حتى الآن مرجع فى فقه كلمات اللغة العربية؟ من أين جاءت؟ وكيف اشتقت؟! إنك يا سيدى إذا فتحت: The Oxford English Etymology لوجدت أصل كل كلمة إنجليزية فمثلاCotton من قطن، Sugar من سكر، Catheter من قسطرة، Alkali من قلوى، وقس على ذلك عشرات الكلمات، أما نحن فليس لدينا مرجع واحد للغتنا العربية!

بعد صمت طويل قال مانيتون: نحن نؤرخ للحضارات ببداية عصر التدوين واستعمال الأبجدية، وبهذا المقياس نجد أن الحضارات العربية فى شمال ووسط الجزيرة ٢٠٠ ق.م بينما حضارة سبأ فى الجنوب ٨٠٠ ق.م وقد وجدنا أن الأبجدية الآرامية قبل الميلاد وبعده هى أبجدية التدوين عند العرب الآراميين كما أن أقدم نص عربى ينتمى إلى ٣٢٨ بعد الميلاد على شاهد امرؤ القيس بن عمرو:

«امرؤ القيس ملك العرب ونائب قيصر الروم.. حارب أهل نجران وأخضعهم».

استطرد مانيتون: دعونى أدهشكم ببعض الكلمات التى نستخدمها الآن وكنا نستخدمها منذ خمسة آلاف سنة كتابة.. وطبعًا قبل ذلك بكثير نطقا! واع «واحد» بح «انتهى»، عا

«حمار»، واحة «واحة»، حج «حج»، ماعون «زكاة»، آذان «آذان»، أدو «عدو»، يعنو «يرضخ»، يم «بحر»، جنح «جناح»، بسك «بصق - فوكنر ٩٥»، الباح «الباه - القوة الجنسية»، موى «ماء» وشمع «سمع»، مأأ «نظر»، شارام «سلام»، كمح «خبز»، يميس «يكذب»، أمم «أخذ»، ضبع «إصبع»، حنف «حنيف»، إمساح «تمساح»، يكب «يبكى»، ياد «ولد»، سى «رجل»، ست «سيده»، ختم «ختم»، إيمى إر «أمير»، مدمس «فول»، آوح «يآوح.. فوكنر ص٢»، يصب «يعبى - يعبئ» عافف «ذباب»، سمر «سمير»، يامن «يمين»، ين «إن - فوكنر ٢٢»، مركبة «مركبة فوكنر ١١٢»، أنتكَ «أنتِ»، أنتت «أنت - مؤنث»، مت «مثل»، وهناك آلاف الكلمات الأخرى جمعها أحمد كمال باشا، ولكن الأهم من ذلك أن تاء التأنيث، وياء الملكية، وكاف الملكية.. إنما هى قواعد مصرية قديمة.. ولنا تكملة إن شاء اللهً.

■ قداسة الرقم (٧) عند الفراعنة

كان للرقم ٧ قداسة عند أجدادنا الفراعنة، فالبقرات السبع توفر الطعام للمتوفى فى العالم الآخر «كتاب الموتى صفحة ١٤٨»، والهاتورات السبعة تتنبأ بمصير كل مولود.. وقصة الأمير الذى لقى حتفه على أنياب كلب.. تعتبر من روائع القصص المصرى العالمى..

كان المصريون القدماء يعتقدون أن العالم السفلى له سبعة أبواب، وأن هناك سبعة أرواح لحماية أوزيريس، وسبعة أرواح لحماية آمون، أما حورس الطفل الإلهى فله سبعة عقارب لحمايته عند ميلاده!

أما الإله الذى لا يمكن معرفة اسمه؛ لأنه فوق مدارك عقول البشر.. فقد خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع (هرم سقارة ست درجات.. رمزًا لأيام الخلق) أما السلم الموسيقى فكان عند الفراعنة سبع، والسماوات سبع، وفتحات الوجه سبع، والحواس سبع، «خمس حواس + القلب + العقل»!

كما كانوا يطوفون حول هرم ميدوم (الفيوم) سبع مرات، فى لوحة المجاعة.. الممر الهابط لهرم أوناس، نجد أوناس (ونيس) حزينا ويقول: (قلبى فى غم.. وعرشى فى حزن.. إن الفيضان لم يأت سبع سنوات).. كان أجدادنا يرمزون لسنوات الوفرة بسبع

بقرات سمان، وسنوات عدم مجيء الفيضان بسبع بقرات نحاف، وكانوا يعرفون أن للنيل دورة كل سبع سنوات «إمحوتب».

أما تخطيط العالم.. فكان يقوم به تحوتى ومعه سبعة صقور!

ولو قرأنا رؤيا يوحنا فى العهد الجديد.. لوجدنا سبعة أرواح أمام عرش الإله، والكنائس سبع ومنابر الذهب سبعة، والأختام سبعة، والمصابيح أمام العرش سبعة، والخروف له سبع أعين، وسبعة قرون، وشبه إنسان فى يده سبعة كواكب.

وعند فتح الختم السابع.. تجد سبعة ملائكة يقفون أمام عرش الله، ومعهم سبعة أبواق «جمع بوق»، والرعود سبعة.

وقد تأثر عصر ما قبل الإسلام بالصابئة أو حكماء مصر «آل سابى» الذين هاجروا للجزيرة فى عصر الاضمحلال.. «من الأسرة ٦ حتى ١٠»، فكان الابتهال ٧ مرات، الطواف ٧ مرات، السعى بين الصفا والمروة ٧ مرات، رمى الجمرات ٧مرات!

كما انتقلت قداسة هذا الرقم لإخوان الصفا وخلان الوفا، فنجدهم يقولون: اعلم أن الساعة الأولى من نهار الأحد.. هى للشمس، الاثنين للقمر، الثلاثاء للمريخ، الأربعاء لعطارد، الخميس للمشترى، والجمعة للزهرة، والسبت لزحل، وقد أخذ الغرب بهذا التقسيم السباعى فأصبح يوم الأحد هو Sunday، الاثنين هو Moonday، أو Monday أو Lunde بالفرنسية ولونا معناها قمر، أما الثلاثاء فهو Mardi أى يوم مارس أو المريخ أو Tuesday وتيوز هو إله الحرب عند أمم الشمال!

أما الأربعاء فهو Mercurdi لأن Mercury هو عطارد كوكب الفنون.. لذا نجد اسمه بالإنجليزية Wednesday لأن أودين هو إله الفنون عند أمم الشمال.

أما الخميس فهو Judi لأن جوبتر هو المشترى، والجمعة Vendredi من فينوس أى الزهرة، أما السبت فهو من زحل Saturn.. لذا سمى Saturday.

عمار يا مصر - ما من فكر إلا وبدأ بك!

يريد اليونسكو أن يشطب عضويتك؛ لأن أبناءك «عفوا» أبناء ليسوا أبناءك.. يريدون أن يلوثوا الحرم الأثرى لأهراماتك بمدفن «للقمامة»!!.

■ معجزات مصر العلمية

قال صاحبى : ماذا لو أعلنت السويد أنها ستمنح جوائز نوبل للدول التى ساهمت فى المسيرة الحضارية منذ آلاف السنين. ترى ماذا سيكون نصيب مصر من هذه الجوائز ؟!

قلت : ستحصد مصر من هذه الجوائز ما لا يعد ولا يحصى!

ستحصل مصر على جائزة نوبل فى الفلك؛ لأنها أول من ضبطت الزمن بالسنة الشمسية ، حين رصدت الشعرى اليمانية، وتحولت من التقويم القمرى إلى التقويم الشمسى، وعرفت أن السنة ٣٦٥ يومًا، ثم أضافت لها يومًا كل أربع سنوات على يد العالم الفلكى المصرى سوسيجينس، وكان ذلك سنة ٤٨ قبل الميلاد .

تقول عالمة المصريات الفرنسية كريستين نوبل كور: إنها معجزة علمية أن تعرف مصر منذ آلاف السنين أن القمر يستمد نوره من الشمس! تجد مكتوبًا على أحد تماثيل آمون: العين اليمنى هى الشمس، والعين اليسرى هى القمر، والعين اليسرى تستمد نورها من العين اليمنى!

ألا تستحق مصر جائزة نوبل؟! ناهيك عن تعامد الشمس على وجه رمسيس الثانى، مرة فى عيد ميلاده، وأخرى فى عيد تتويجه ملكًا .

فـإذا اتجهـنـا إلى الـطب يـكـفـى أن الخيـوط الجراحـيـة الـتـى نستخدمها حتى الآن، اختراع مصرى Catgut «كات جت» من أمعاء القطط ! كذلك عرفوا البنسلين فى لباب الخبز المتعفن الذى كـانـوا يضـعـونـه فـى الجروح المتـقـيـحـة، كمـا عـرفـوا الـبـلـهـارسـيـا، وكـان اسـمـهـا «عـاع»، وعـرفـوا الـدودة المسـبـبـة لـهـا، وسـمـوهـا «حـررت»، بـل وصـفـوا نـفـس الـعـلاج الـذى كـنـا نسـتـخـدمـه حـتـى عشرين سنة مضت إلا وهو كلوريد الأنتيمون، كما أجروا عمليات الترينة، والمياه البيضاء «كاتاركت». قل لى كم من جوائز نوبل يستحق هذا كله؟!

فإذا جئنا لعالم الكمياء ، فهذا العلم سمى على أحد أسماء مصر وهو كيميت أو كيمى بمعنى الأرض السوداء؛ أى أرض الطمى والزراعة، وكيمياء معناها: العلم الأسود، وهى تسمية يونانية لاعتقادهم بدخول الأرواح فى التفاعلات الكيميائية!

عرفت مصر كيمياء الصباغة والألوان التى تتحدى الزمان، عرفت كيمياويات الدواء، والتحنيط التى تحافظ على الأجساد آلاف الأعوام، عرفت كيمياء المعادن، فأنتجت السبائك وكان أهمها البرونز فى صناعة السلاح، لك أن تتخيل كم من جوائز نوبل تستحقها مصر فى هذا المجال ؟!

حتى جائزة نوبل للسلام، تستحقها مصر دون منازع ، كأول دولة عقدت اتفاق سلام – معاهدة قادش – بين رمسيس الثانى والحيثيين .

أضف إلى ذلك أول قانون لحقوق الإنسان حور محب، مصر، وأول ماجناكارتا Magna Carta أى عقد اجتماعى بين الحاكم وحقوق الشعب «أمنمحات الأول – الأسرة ١٢» كان مصر، وأول قانون كل الناس أمامه سواء بسواء كان مصر، وأول بطولة تاريخية – تحوتمس الثالث – مؤسس أول إمبراطورية فى العالم القديم كان مصر، وأول قانون دولى ينظم العلاقة بين الدول بعضها البعض – تحوتى – كان مصر.

وأول من أرسل الله لهم أنبياء وحكماء – إدريس – الخضر – لقمان – عرَّفوا الدنيا بالثواب والعقاب، الجنة والنار، حياة بعد هذه الحياة، كان مصر، بل أول قانون أخلاقى أسمى بكثير من قوانين أخلاقية جاءت بعده كان مصر، حدثنى يا صاحبى كم من جوائز نوبل حصدت مصر حتى الآن؟!

قال صاحبى والدمع يترقرق فى عينيه :

اجر يا نيل عزيزًا فى الوجود

وارو للأيام تاريخ الجدود

وانهضى يا جنة الدنيا وسودى

وأعيدى مجدك الماضى أعيدى

بأس أحرارك من بأس الحديد

فاثبتى كالطود فى يوم الصراع

■ الطب الفرعونى

قال صاحبى: حضرت مؤتمر الصيدلة فى مصر القديمة «١٩-٢٢ مارس ٢٠٠٧» هذا المؤتمر الدولى المشترك بين المركز القومى للبحوث وجامعة مانشيستر بإنجلترا، والذى عقد فى المركز القومى للبحوث بالقاهرة، وقد حضرت بحثك عن الأدوية التى من أصل كيماوى أو حيوانى أو نباتى، واستخدمها أجدادنا القدماء فى علاج أمراض المسالك البولية والتناسلية، فهل لك أن تلقى ضوءًا على بحوث المؤتمر لمن لم يحضره؟!

قلت: تحدثت روزالى ديفيد - مديرة قسم البيوكيماويات المصرية فى مصر القديمة - عن بحوثها على المومياوات المصرية منذ ثلاثين عامًا فى جامعة مانشيستر، والبحث عن آثار العقاقير التى كانت مستخدمة فى هذا الزمن البعيد، وكيف أنهم يلجئون للبرديات الطبية، واستخدام كل التحاليل الطبية للتأكد من صحة هذا العقار مقارنة باسمه المذكور، حيث إن حاجز اللغة يشكل لهم عقبة، يتغلبون عليها باللجوء إلى الـ D.N.A فى بعض الأحيان! كما حدثتنا عن مشروعها الخاص بالصيدلة فى مصر القديمة، بالاشتراك مع المركز القومى للبحوث ووكالة البيئة فى جنوب سيناء.

ثم حدثنا أ. د. سمير يحيى الجمال عن تعليم الصيدلة فى مصر القديمة، وكيف كانت أسماء الأدوية مكتوبة على برديات، وهذه

البرديات كانت موجودة فى كل معابد مصر، وهذا يؤكد أنهم «القدماء» لم يكونوا يخفون علومهم عن الناس، كما يعتقد البعض، كانت هليوبوليس أو مدينة الشمس، هى أول مكان لتعليم الطب والصيدلة، ومن هذه المدينة انتشرت إلى باقى أنحاء مصر.

كان للقدماء حدائق خاصة Botanic Gardens لزراعة النباتات الطبية، وكانوا يدربون الصيادلة الصغار على طرق تحضير الدواء.

وكيف كانوا يقسمون على عدم استخدام معارفهم فى الإضرار ببنى الإنسان، الشيء العجيب أنه كانت لديهم فى المعابد الكبرى حجرات لإلقاء الدروس على الطلبة، كما كانت هناك معامل داخل هذه المعابد للتجارب المعملية!

تحدثت جاكلين كامبل عن الروشتات فى مصر القديمة وكيف كانت قريبة الشبه من تذاكرنا الطبية الآن!

كما استمعنا إلى محاضرة عن الطب التكميلي في المجلس البريطاني كما حدثنا الدكتور سالم مجيد الشماع عن التداخلات والتية بين الأدوية التقليدية والأعشاب الطبية.

قال صاحبى: حدثنى عن البحث الذى ألقيته!

قلت حدثتهم عن عبقرية القدماء فى عمل اللبوسات بديلا عن الحقن، خذ مثلاً مادة الأنتيمون لعلاج البلهارسيا، كانوا يحضرون هذا المعدن بالجرعة المتقنة، ويضعونها فى قمع على

هيئة لبوس شرجى من عجينة التين البرشومى Figs ، ويتركونها حتى تجف، وعند الاستعمال، كانوا يدهنون سطحها بالعسل الأبيض حتى تنزلق بسهولة للداخل!

صاح صاحبى: وقال: ليتنا استخدمنا هذه الطريقة فى علاج البلهارسيا، إذن لما أصبحنا أعلى نسبة إصابة بفيروس سى الذى يسبب أسوأ أنواع الالتهاب الكبدى الوبائى، والمعروف للكل أن استخدام الحقن لإعطاء طرطرات الأنتيمون من مريض لمريض بدون تعقيم، هو السبب لانتشار هذا المرض الوبيل!

قلت لصاحبى: دعنى أكمل ولا تقاطعنى، وبعد إدخال اللبوس شرجيا، يسيح التين بفعل حرارة الجسم، ويمتص الأنتيمون للدورة الدموية، لقتل ديدان البلهارسيا! هل رأيت عبقرية أكثر من ذلك؟!

عرفوا المرض وسموه «عاع»، وعرفوا الدودة المسببة ورسموها وسموها «حررت»، وعرفوا الدواء وهو «كلوريد الأنتيمون» وعرفوا طريقة تحضيره، وطريقة استعماله «اللبوسات الشرجية»، بل عرفوا طرق الوقاية من البلهارسيا، بالعازل الذكرى حتى لا يلوث مياه النيل.. كما نراه مرسوما على الجداريات!

حدثتهم يا صاحبى عن ضعف الكلى أو توقف عملها Anurea، واستخدام القدماء للشعير، والعرعر، واليانسون والبصل Onion، وبصل العنصل Squill والبقدونس، والخروب والخس والفجل والكركم.

أما البول المدمم «دم فى البول» فقد استخدموا الكزبرة والصنوبر والسنط والدوم والتين والتوت الأسود وحب العزيز Edible Galngale ولسان الحمل Plantago-major.

أما حرقان البول، فقد استخدموا الشعير والخبيزة والجاوى «حقن شرجية» واللوز والخلة البلدى والريحان والصفصاف الأبيض والبشنين «حقن شرجية».

أما الضعف الجنسى فقد وصفوا له جوز الطيب، وحبة البركة والخشخاش «لسرعة القذف» والخس والداتورة والفجل وزيت الكتان والبطيخ.

هذا قليل من كثير يا صاحبى، ولولا حاجز اللغة واستخدام البرديات كوقود للأفران وتدمير مكتبة الإسكندرية لكانت لدينا ثروة علمية لا حدود لها!

قال صاحبى: لقد وصلوا إلى قمة العلوم والحضارة بالوفرة الاقتصادية، والعدالة الاجتماعية، وقانون الأخلاق.. ثم قال:

مشت بمنارهم فى الأرض روما
ومن أنوارهم قبست أثينا
تعالى الله كان السحر فيهم
أليسوا للحجارة منطقينا
وسر العبقرية حين يسرى
فينتظم الصنائع والفنونا

أمير الشعراء

■ الشهرة والمصير المؤلم

هى دارسة للعلوم الفلسفية، أنجبت طفلة وأسمتها هيباشيا على اسم الفيلسوفة المصرية عالمة الرياضيات والفلسفة بجامعة الإسكندرية، والتى ولدت ٣٧٠م، وماتت موتا عنيفًا فى مارس ٤١٥م، ولم يتجاوز عمرها ٤٥ سنة قلت لها: «مبروك»، وأرجو لابنتك أن تنال شهرتها، وإن كنت لا أتمنى لها مصيرها المؤلم.

قالت: زدنى إيضاحًا بحياة هيباشيا ونهايتها.

قلت: إنها ابنة عالم الرياضيات المصرى ثيون، وكان أستاذًا بمتحف الإسكندرية، ورثت ابنته عنه حب العلوم والفلسفة، حتى إنها أصبحت أصغر أستاذة فى جامعة الإسكندرية عند سن الثلاثين، أى سنة ٤٠٠م!

ذاع صيتها وامتلأت قاعة المحاضرات بالطلاب والكبراء من داخل الإسكندرية وخارجها، حتى إن المؤرخ المصرى المسيحى سقراط يقول عنها: «لقد تفوقت هيباشيا على أهل زمانها من الفلاسفة، وكان الناس يأتون إليها من شتى أقطار الأرض»، وكانت هى فصل الخطاب فى الموضوعات الجدلية، كما يقول عنها إدوارد جيبون أعظم المؤرخين الإنجليز «١٧٣٧ - ١٧٩٤م». إن هذه العذراء صاحبة الجمال الأسطورى كانت فى منتهى التواضع على الرغم من جمالها وعلمها وشهرتها.

يقول جيبون: تولى كيرلس السكندرى منصب رئيس الأساقفة – البطريرك – ٤١٢م، خلفا لعمه توفيلوس بعد أن تشرب فى منزل هذا العم دروس الحقد والعنف والهوس الدينى، هاجم معابد اليهود فى الإسكندرية، وسواها بالأرض! بل سمح للغوغاء، بنهب ممتلكاتهم، بل طردهم من الإسكندرية وكان عددهم ٤٠ ألفا، مبررا أفعاله بأنهم كانوا أثرياء ويكرهون المسيحيين!

ليس هذا فقط، بل هاجم حاكم المدينة الرومانى أورستس Orestes مع خمسمائة من الرهبان، وكادوا أن يفتكوا به. لولا تدخل أبناء الإسكندرية لإنقاذه، فنجا من موت محقق وإن كان مثخنا بجراحه!

وفى يوم مشئوم من فصل الصيام الكبير، وفى ليلة مظلمة من شهر مارس ٤١٥م، اعترضت جماعة من رهبان صحراء النطرون بإيعاز من كبيرهم كيرلس السكندرى، اعترضوا عربة العالمة العظيمة التى لم تعتنق المسيحية، وأنزلوها من عربتها كما فعلوا مع أورستس حاكم الإسكندرية، ثم جروها إلى كنيسة قيصرون، ثم قاموا بنزع ملابسها حتى أصبحت عارية تماما! مشهد بالغ الغرابة وهم النساك الأطهار «برتراند راسل»، ثم تقدم بطرس قارئ الصلوات Peter The Reader وقام بذبحها وهى عارية مكتوفة الأيدى والأرجل بواسطة النساك الأطهار، ثم مزقوها إلى أشلاء، وقاموا بكشط اللحم عن العظم، وفى شارع سينارون أوقدوا نارا، وقذفوا بأعضاء جسدها وهى مازالت

ترتعش بالحياة «برتراند راسل» تاريخ الفلسفة الغربية ج٢ص١٠٣س ويستطرد راسل: «وكان الرهبان يتحلقون حول الجسد المحترق وهم فى مرح وحشى شنيع»!

ويقول ول ديورانت: أيمكن أن يكون كيرلس ورهبانه هم تلاميذ المسيح؟! أيمكن أن نقول عنهم إنهم نور العالم وملح الأرض؟! هل هؤلاء هم تلاميذ المسيح الذى عفا عن مريم المجدلية، وعن زانية أخرى وقال: «من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولا بحجر»! هل هؤلاء هم تلاميذ من قال: «لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن، أدر له الأيسر»!

قال أحد أصدقاء كيرلس عنه: إنه عاش حياة الرهبنة خمس سنوات، ولكن فكره كان عالقا بالدنيا!

ويتساءل ديورانت: لماذا جردوا العذراء من ملابسها، هل أرادوا أن يمتعوا القلب النقى بمشهد الجسد الجميل العارى؟! ولما كان يصعب على الرهبان أن يصلوا إليه، فإنه من السهل عليهم تمزيقه!

قالت محدثتى: كم من الجرائم ترتكب باسمك أيها الدين!

المراجع:

١- دائرة المعارف البريطانية مجلد ٥ص٢٥١.

٢- ول ديورانت قصة الحضارة مجلد ١٢ص ٢٤٧.

٣- برتراند راسل: فى المقالة.

٤- نساء فلاسفة: عبد الفتاح إمام مجلد ٤ص٢٦١.

اقتراح للدكتور زاهى حواس

شاهدت برنامجا فى قناة Discovery Civilization عن انتقام الفراعنة.. كنوز مصر المفقودة Pharo's Revenge Egypt Treasures كان الدكتور زاهى حواس يصول ويجول بين متاحف العالم مطالبا بحجر رشيد من المتحف البريطانى، وتمثال نفرتيتى من متحف برلين، والمسلة اليمنى لمعبد الأقصر، والموجودة فى ميدان الكونكورد فى باريس.

جدير بالذكر أن متحف «مايكل كارلوس» فى كندا، كان يحتفظ بمومياء رمسيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة عشرة، أسرة الرعامسة، والتى كان منها الفرعون المفترى عليه رمسيس الثانى الذى برأته عالمة المصريات الفرنسية المعاصرة كريستين نوبل كور من افتراءات اليهود، أنه فرعون موسى، وهو من هذه الفرية براء، هذا المتحف أهدى مومياء رمسيس الأول إلى مصر.. إيمانا منه بأن كنوز الفراعنة لابد أن تعود إلى مصر.. أقترح على الدكتور زاهى حواس أن يضع تسجيلا بالعربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية بجوار كل مومياء. من مومياوات الملوك الفراعنة.. ترى لو تحققت هذه الفكرة وذهبنا إلى متحف الأقصر لزيارة رمسيس الأول واستمعنا إلى التسجيل باللغة العربية ماذا سيقول؟!

أنا هو رمسيس الأول، مؤسس أسرة الرعامسة، استلمت الحكم بعد حور محب، هذا القائد العسكرى المحنك، أول من وضع قانونا لحقوق الإنسان، كنت زميلا له فى الجيش، وكنت طاعنا فى السن حين آل إلىَّ الحكم، كنت أقدس الإله ست، لهذا سميت ابنى سيتى، الذى تلانى على العرش، بعد أن حكمت فقط سنتين، سمحت بحرية العقيدة، وأنشأت المعابد فى منف، والنوبة، وشيدت لى قبرًا فى وادى الملوك.

كنت أؤمن بالبعث، وكنت أعرف أن النهر يفيض ويغيض، ولكنه يفيض من جديد، والشمس تشرق وتغيب، ولكنها تشرق من جديد، كذلك أنا ولدت وسوف أموت، ولكنى سأبعث من جديد، هذا البعث لابد له من التحنيط، وقد تم على أكمل وجه، حتى يحافظ على جسدى آلاف السنين! ظللت فى مثواى راقدًا بجوار مجموعة من الملوك، حتى عثر علينا عبد الرسول، باعنى بثمن بخس إلى أحد السياح الذى استطاع تهريبى إلى كندا، متحف «مايكل كارلوس». ظللت هناك مائة عام، ولحسن حظى كان مدير المتحف الكندى الحالى رجلاً عادلاً متحضرًا.. فاتصل بالدكتور زاهى حواس حتى أعود إلى مصر بلدى بعد غربة طالت إلى حد كبير، وأنا لا أحمل مرارة ضدكم!

بلدى وإن جارت على عزيزة   وأهلى وإن جاروا على كرام

وأتقدم بالشكر للدكتور زاهى حواس، وأخيرًا أوصيكم بزيارة مومياء حفيدى رمسيس الثانى فى المتحف المصرى بالقاهرة، أعظم ملوك مصر الذى حكم ٦٧ عاما، وقال عنه أمير الشعراء:

من كرمسيس فى الملوكِ حديثًا ولرمسيس الملـوك فـــــداءُ

بايعته القلـوب فى صلب سيتى يـوم أن شاقـها إليه الرجــاءُ

وقولوا لأولادكم.. إننى لست فرعون موسى لأن فرعون موسى من الملوك الرعاة أعنى الهكسوس.

■ العلم لا وطن له ولا دين

قال صاحبى: تقدمت مصر وفرضت حضارتها آلاف السنين حين حكمت بالدين، كذلك إسرائيل... دولة دينية.. فوصلت إلى ما وصلت إليه، وأنا أرى أن مصر لن تتقدم إلا حين تتحول إلى دولة دينية، أو دولة مدنية بمرجعية دينية فما رأيك؟!

قلت: الدولة المدنية تحكمها قوانين من صنع البشر، والدولة الدينية تحكمها قوانين من الوحى الإلهى.. فلا يجب الخلط بين النظامين لإرضاء الطرفين !

أما عن تقدم مصر الفرعونية بالدين، فهذا غير صحيح.. بل تقدمت مصر القديمة، بالرياضيات، والعلوم، والفنون، وحين حكمها الفرعون المارق أخناتون، ودَرْوَشَها، وفرض مفردات الخطاب الدينى فى كل وجه من أوجه حياتها، انهارت مصر، لذا حذفوا اسمه من قائمة الملوك، وأغلب الظن أنهم حرقوا جثمانه، الذى لم نجده حتى الآن !

أما عن إسرائيل، فقد قامت على فكرة دينية – أرض الميعاد– إلا أنها دولة علمانية مائة بالمائة، ويكفى أن حاييم وايزمان، حين عرضوا عليه بلادًا أخرى مثل أوغندة أو الأرجنتين، قال: بل أرض فلسطين لأن بها البحر الميت الذى سيهب إسرائيل الحياة بسبب ثرواته من البوتاسيوم الضرورى للمخصبات الزراعية.

أنت تعرف يا صاحبى حين ظهرت إسرائيل، عرضوا رئاستها على ألبرت أينشتين.. أكبر علماء عصره.. ولكنه رفض قائلا: العلم لا وطن له ولا دين.

صحيح أن إسرائيل بها التيار الدينى المتعصب، ولكنها تُحكم بالقوانين الوضعية، ذلك لأن الواقع ابتعد عن النصوص الدينية فنسمع عن حاييم فايتسمان قوله: توراتنا كقطعة قماش منقوعة فى الدماء، وقد آن الأوان أن نشفيها من هذا الدم !

كما نزع سبينوزا اليهودى القداسة عن التوراة، وناقش النصوص الدينية، كما أعلن علماء اليهود فى الموسوعة اليهودية، أن كثيرًا مما كتبه موسى، وكتب بعد وفاته.. بمئات الأعوام! إن النصوص الدينية فى التوراة تحتم رجم الزانية، وقطع يد السارق وغنائم الحرب، وسبى النساء، اقرأ (عدد٣) من التوراة.. سوف تجد كيف انقلب موسى التوراتي على يثرون كاهن مدين، الذى آواه وهو طريد، وزوجه ابنته، واحتضنه لمدة أربعين عاما، تقول التوراة: كلم موسى الشعب،، فقتلوا كل ذكر وكل ملك من ملوك مديان، وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، ونهبوا جميع مواشيهم، وأملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بالنار ! فهل يتم هذا الآن، أم أن حقوق الإنسان، ومعاهدة جنيف للحروب، هما اللذان يحكمان دولة إسرائيل؟! لقد فارق الواقع النصوص الدينية، فاقتصرت هذه النصوص على العبادات وهى ثوابت، وابتعدت عن الواقع وهو متغير.

تقدمت إسرائيل لأنهم ناقشوا نصوصهم الدينية، اقرأ سيجموند فرويد - موسى والتوحيد - ص١١٣، إن إله اليهود كان إلها فظا، ضيق العقل، محليًا عنيفًا.. ومتعطشًا للدماء. كما ناقشوا نجاسة المرأة إذا أنجبت طفلة ونجاستها إذا أنجبت طفلا ذكرًا، وتخلوا عن هذا كله.. في ظل قانون حقوق الإنسان، وكلنا يذكر جولدا مائير.. رئيسة الوزراء.. رغم نصوصهم أنه لا ولاية للمرأة في الولايات العامة !

في عصر الشتات... اختلط اليهود بالدول الأوربية، وعرفوا.. أن الفكر الديني كاسح على المستوى النظري، كسيح على مستوى الواقع العملي، فذهب الرق، وسبي النساء، وغنائم الحرب، وروح الاستعلاء كيهودي على الأممي (الأمم الأخرى). أو كرجل وليس امرأة، ذهب هذا كله.. إلى غياهب الإهمال والنسيان، رأوا شعوبًا تتقدم بدون دين سماوي مثل البوذية، الكنفوشيوسية، الزرادشتية، فعرفوا أن الإنسان يمكنه أن يعيش بلا دين، ولكن لا يمكنه أبدًا أن يعيش بلا عقل، كما عرفوا أن الزمن تجاوز نصوصهم في العصر الحديث، لظهور جرائم لا يعرف النص عنها شيئًا.. كاختلاس الأموال بالكمبيوتر، دون أن يتحرك السارق بالمسروق من مكانه، فكان لابد من تشريعات قانونية، لأن النصوص ليست لكل زمان ومكان! وكان «الإجماع الصامت» كما يقول هاملتون جبا على نسيان هذه النصوص.

عرف اليهود من معيشتهم في الدول الأوربية أن نصوصهم الدينية تفرق بين اليهودي والأممي، الحر والعبد، الرجل والمرأة، وأنه لا وجود لحق حرية العقيدة في النص الديني، وكيف أن هذه

الدول العلمانية تتعايش فى سلام مع كل العقائد BELIEFS اللادينية، فعلى سبيل المثال ٩٠٪ (تسعون بالمائة) من الألمان والإنجليز لا يؤمنون بوجود اللّه!

قصت علىَّ سيدة مسيحية، أنه فى مراسم إكليل عقد زواجها.. كان الكاهن يقول لها: أن تسمعى وتطيعى طلبات زوجك، كما كانت سارة تسمع وتطيع أبانا إبراهيم، فقالت له: لا.. هل أسمع كلام زوجى أن أذهب إلى فراش رجل غريب مثل فرعون مصر أو أبيمالك ملك جرار فى فلسطين ! صمت الكاهن، استطردت هذه السيدة تقول لى: كانت سارة ٧٥ سنة، وفرعون لم يكن يعرف أنها زوجة بل أخت إبراهيم.. لأنها كذبت عليه بناء على أوامر زوجها.. وكان فرعون عظيمًا.. ردها لزوجها مع عطايا وحراسة حتى يخرج من أرض مصر !! والغريب أن الله يعاقب فرعون، ولا يعاقب إبراهيم !

قال صاحبى: لم تذكر لى كيف أهمل اليهود نصوصهم الدينية بخصوص التصوير والموسيقى.. فهى من المحرمات باستثناء العود والمزمار لداود النبى، وكيف أصبحوا ملوك السينما فى هوليوود، بل ملوك الموسيقى فى ألمانيا وأوروبا، اجتهدوا مع نصوصهم الدينية، فحصدوا جوائز نوبل، وسيطروا فى الولايات المتحدة على كل ما يسيطر على العقل والمعدة والغرائز ولم يعد باقيا لدينا إلا أن نغير اسم نيويورك إلى "Jewyork" أى بلد اليهود ! كما قال «هيربرت سبنسر – عضو الكونجرس المسيحى».

■ القزم السويسرى

قال صاحبى: رأيته بعينى رأسى فى يناير الماضى حين زارنا فى القاهرة، معلنًا أن الهرم الأكبر، واحد من ٢١ أعجوبة جديدة فى هذا الزمن العجيب الذى يقف فيه الأقزام على قمم عالية، فيبدون أمام السذج عمالقة، إنه القزم برنارد ويبر BERNRARD WEBER ، السويسرى الكندى الجنسية، منتج أفلام، ومساعد لصانع الأفلام الإيطالى فريدريكو إيللينى، هذا القزم الهزيل أنشأ موقعا على الـ NET للتصويت على عجائب الدنيا السبع فى العصر الحديث، فجاء الهرم الأكبر رقم ٨.

رأيت هذا الرجل، وجه سميك غليظ وقفا أشبه بقفا الحمار وعيون فيها النصب والاحتيال، والذلة والصغار، يحدثنا كأنه أسد، وليس له من الأسد إلا جلده، ولكنه من الداخل قطة صغيرة تموء، يظن أنه يخدعنا، ونحن نعرفه بهواه للصهيونية العالمية أكثر مما يعرف نفسه، ماذا يعرف هذا الجاهل، والقطيع الذى يصوت له عن الهرم الأكبر؟! بل ماذا يكون القزم السويسرى الكندى إلى جانب هيرودوت أبو التاريخ الذى اختار الهرم كأول عجيبة من عجائب الدنيا، والتى اندثرت جميعها ما عدا الهرم الأكبر، وهذه أعجوبة الأعاجيب فى حد ذاتها، أين حدائق بابل المعلقة، أو تمثال كبير الآلهة زيوس، أو فنار الإسكندرية؟!

جميعهم ذهبوا إلى العدم، أما الهرم فهو الباقى، لأن بينه وبين الزمان عهدًا أن يزولا فى الموعد المنتظر!

ماذا يعرف هؤلاء الجهلة عن رياضيات الهرم التى كتب عنها جون تيلور JOHN TYLOR وكيف أن الهرم هو الوثيقة الحية، وبراءة الاختراع لمصر أنها صاحبة رياضيات الدائرة، وأهمها النسبة التقريبية التى لا تخلو معادلة لأينشتين أو بوهر أو كبلر منها، ذلك لأن محيط الهرم على ارتفاعه =7/22, ومحيط غرفة الملك على ارتفاعها =7/22, ومحيط التابوت فى غرفة الملك على ارتفاعه = 7/22 !

ماذا يعرف منتجو الأفلام هؤلاء والمصوتون وراءهم بالحوافر والأقدام على هذه البحوث التى صدرت أخيرًا فى كتاب التاريخ الممنوع لكريستوفر كينيون ٢٠٠٥ وكيف أن الهرم الأكبر كان محطة لتوليد نوع من الطاقة اسمها Pizo ELECTERIC EFFECT هذه الطاقة التى اكتشفناها حديثًا لتفتيت حصوات المسالك البولية، وتقطيع صخور الجرانيت!

إن الهرم الأكبر معجزة فلكية هندسية، حتى أصبح علمًا قائمًا بذاته PYRAMIDOLOGY !

لم نسمع عن علم اسمه إيفونولوجى (برجل إيفل) - أو تاج محللوجى (تاج محل) أو أكروبولوجى (أكروبول) أو حائطولوجى (حائط الصين العظيم) وكلها من العجائب المرشحة أن تكون عجائب فى هذا الزمن العجيب قبل الهرم الأكبر!!

إنها هجمة صهيونية لا شك فيها.. تؤكد ما كتبه سيجموند فرويد، أن عقدة اليهودية الأزلية هى الحضارة المصرية القديمة.

يؤكد هذا لقائى مساء شم النسيم الماضى فى فندق الواحة مع فريق كندى لقناة تليفزيونية وثائقية، طالبين منى حلقة تليفزيونية موثقة عن أوجه التشابه بين حياة السيد المسيح، وأوزيريس فى مصر، ديونزيس فى اليونان، آتس ATTIS فى آسيا الصغرى، أدونيس فى سوريا، باخوس فى إيطاليا، ومتراس MITHRAS فى فارس، رفضت ذلك، وأحسست أنهم صهاينة، فقلت لهم : لماذا لا يثبتون أن أحداث العهد القديم كغرق جيش مصر فى البحر وتوقف الشمس ليوشع، وخلق النور قبل الشمس، أو الطيور قبل الحيوانات، ليس لها سند علمى أو تاريخى؟! اصفر وجه أحدهم وقال: هذا الكتاب – العهد القديم – للمستقبل قلت: أعطنى مثلا.. عجز عن ذلك، فأعطيته مثلاً للمجزرة التى قام بها موسى التوراتى فى أهله حين أمر كل واحد بقتل أخيه وصديقه، فقتل فى هذا اليوم ثلاثة آلاف رجل (خروج٣١) !

وأخيرًا لدينا فى مصر مسئول... نزع شعار الهرم عن الفضائية المصرية، وتركها للفضائية الإسرائيلية ثلاثة أهرامات!

ألم يقرأ هذا الرجل :

وبناة الأهرام فى سالف الدهر كفونى الكلام عند التحدى؟!

لم يعد لدينا يا رجل ما نعتز به غير تاريخنا.. ورموز تاريخنا ألا وهو الهرم.. أعيدوا لنا تراثنا المنهوب، ورموزنا المصرية.. كفانا بداوةً وتخلفًا حتى أصبحنا فى حال لا يسر عدوًّا أو حبيبًا، تحية للدكتور زاهى حواس الذى يرفض إخضاع أهرامنا لآراء حفنة صهيونية من الحاقدين والحاسدين.

■ المراجع العربية

١- الطب المصرى القديم. د/ حسن كمال ١٩٩٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢- الطب المصرى فى عصر الفراعنة. د/ نبيل عبيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣- فن الولادة فى مصر القديمة. د/ محمد فياض، دار الشروق ١٩٩٥.

٤- المرأة المصرية القديمة. د/ محمد فياض، دار الشروق ١٩٩٥.

٥- التداوى بالأعشاب فى مصر القديمة . ليزمانكيه، ترجمة أحمد زويل أمين . مدبولى ١٩٩٣ .

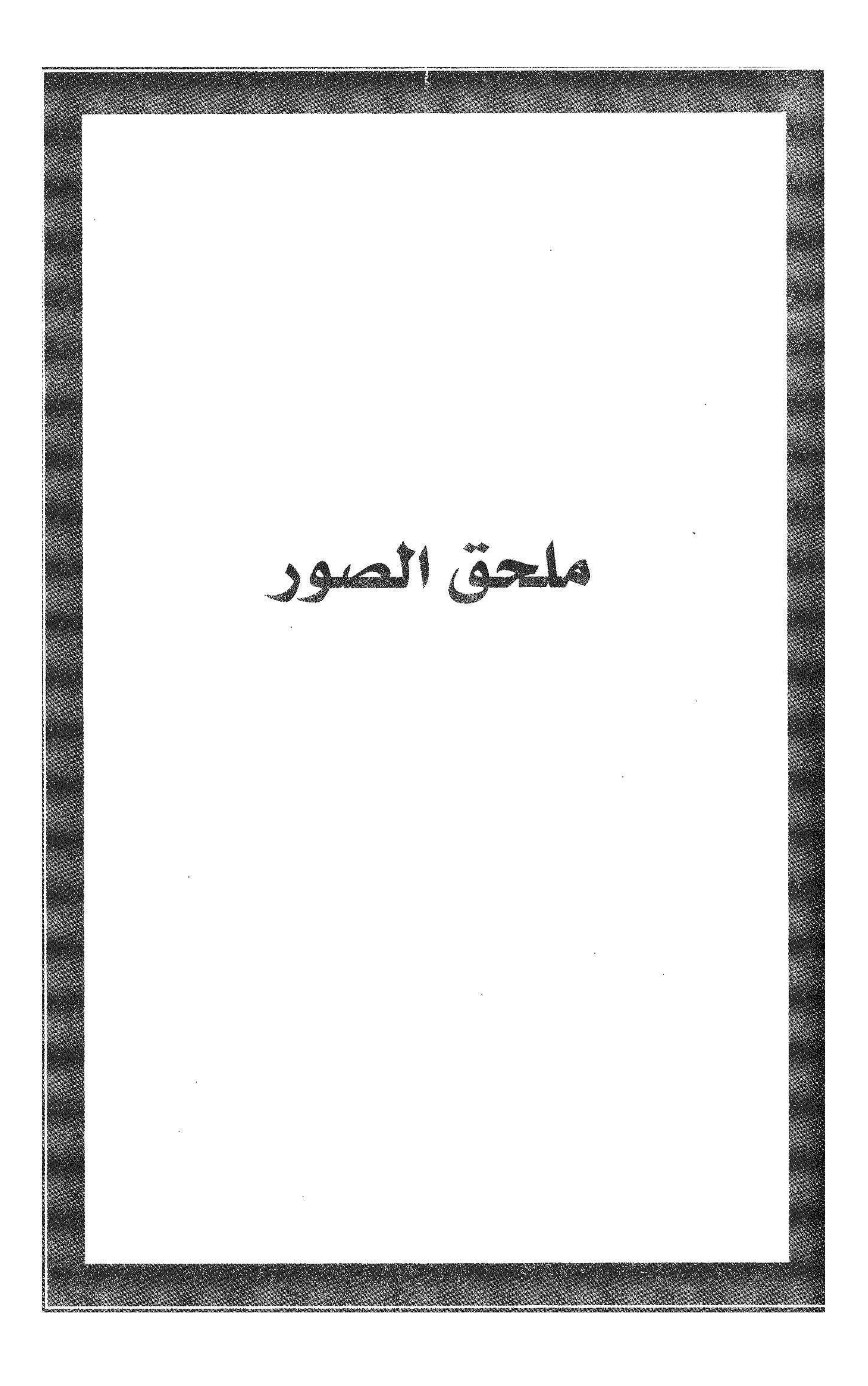
٦- الأهرامات المصرية . د/ أحمد فخرى، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣.

٧- فضل الحضارة المصرية على العلوم ١٩٧٣ د/ مختار رسمى ناشد . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٨- الطب عند قدماء المصرين . د/ بول غليونجى، دار ومطابع المستقبل بالفجالة .

٩- الطب والتحنيط عند الفراعنة . د/ بوليوس جيار ، د/ لويس ريتر . ترجمة أنطون زكرى، مكتبة مدبولى ١٩٩٣ .

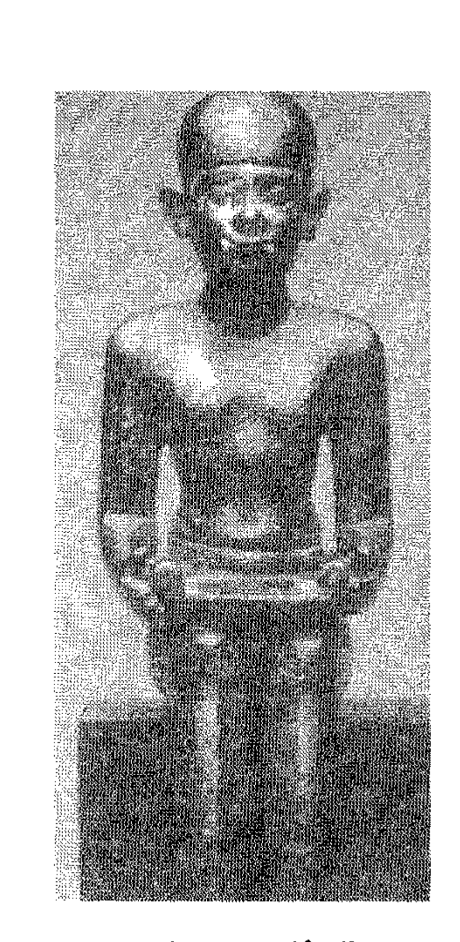
١٠- كتاب الموتى للمصرين القدماء . محسن لطفى السيد. مطابع روزر اليوسف ٢٠٠٠.



ملحق الصور



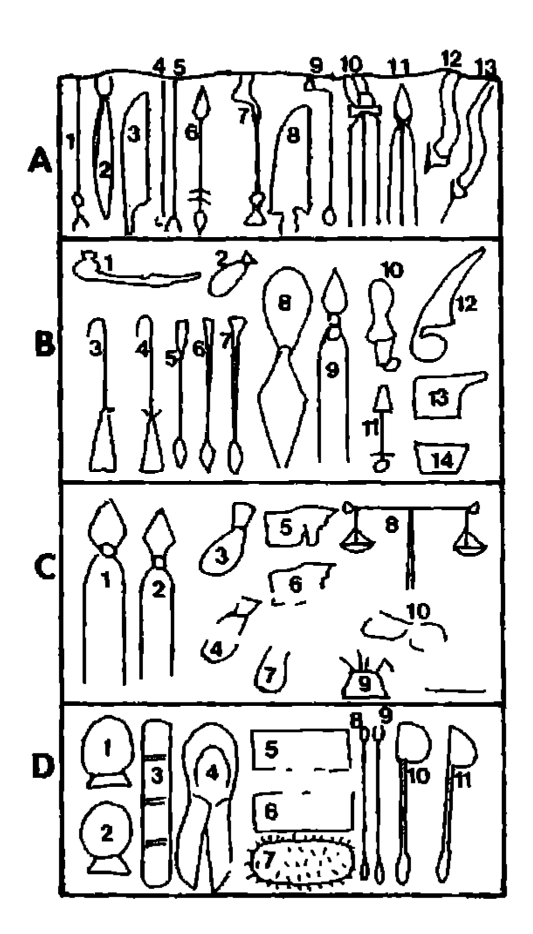
http://guardians.net/hawass/
http://www.kv5.com/
http://www.ancientegypt.co.uk/menu.html
www.ancientnile.co.uk/
Egyptian.Bookshelf: Diseases, Joyce Filer
British Museum 1995
Tutankhamun The Untold Story, Thomas Hoving,
Publisher: Simon and Schuster, 1979
Gods and Myths of Anceint Egypt, Robert A Armour
Publisher: The American university in Cairo 2001
The Oxford History of Ancient Egypt, Ian Shaw\
Publisher: Oxford Univeristy Press 2000
Ancient Egyptian Medicine, John F Nunn
British Museum Press 1996
The Egypt Story, Its Art, Ots Monuments, Its People,
Its History, Fred J Maroon & P.H.Newby
British Museum Dictionary of Ancient Egypt, Ian Shaw
& Paul Nicholson
British Museum Press 1995
The Animal World of the Pharohs Patrick F. Houlihan
American University in Cairo Press 1996
Ancient Egypt the great Discoveries , Nicholas
Reeves
Thames & Hudson 2000
Medicine Across Cultures (History and practice of
medicine in Non western Cultures) , Author: Helaine
Selin; Publisher: Kluwer Acaemic Publishers 2003



تمثال برونزى
لايمحوتب الأسرة ٣

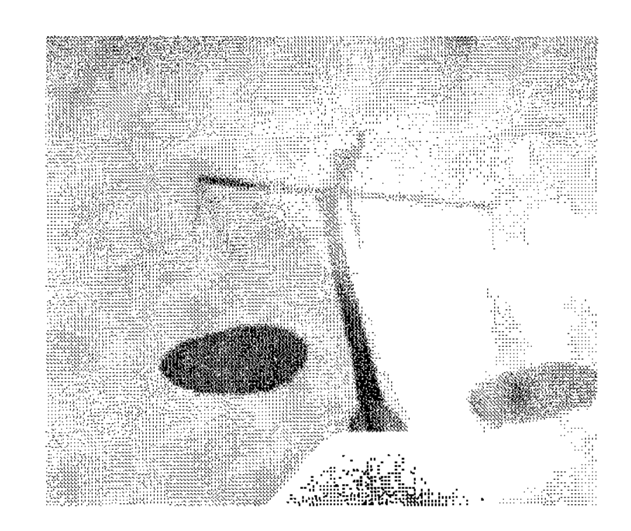


الطبيب حس رع اقدم طبيب الأسرة ٣
طبيب الملك، رئيس قسم الأسنان.



آلات جراحية فى مصر القديمة فى معبد كوم أمبو





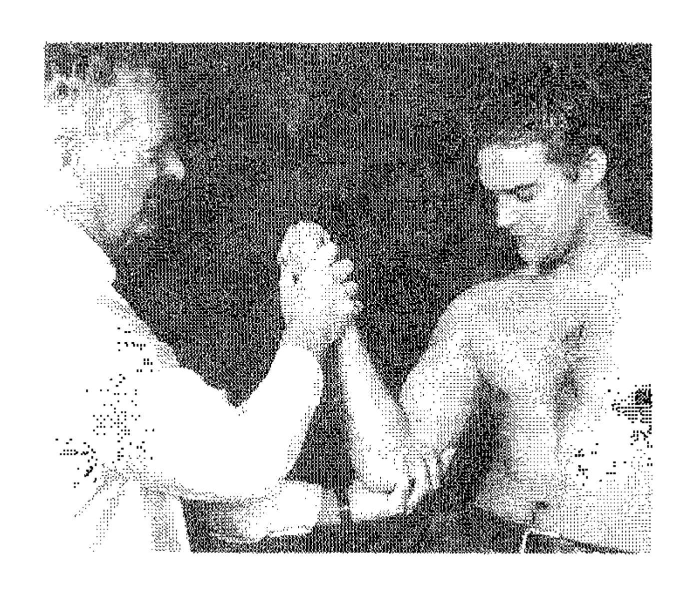
ميزان لوزن العقاقير



جبائر خشبية لكسور العظام



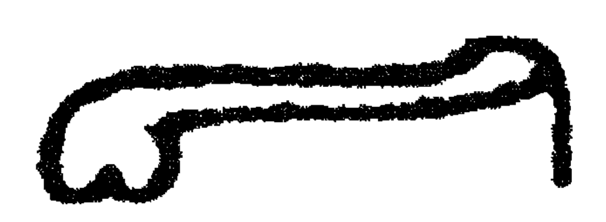
علاج طفل مصاب بشلل أطفال فى ساقه اليمنى بالرقص والموسيقى كعلاج طبيعى



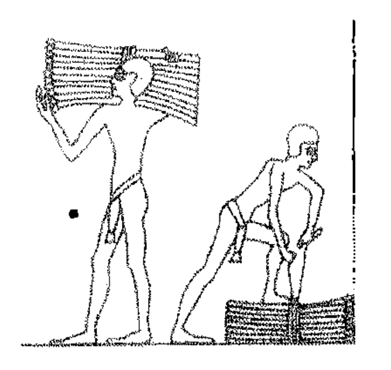
رد مفصل الكتف المخلوع بنفس الطريقة الحديثة التى يتبعها أطباء العظام الآن



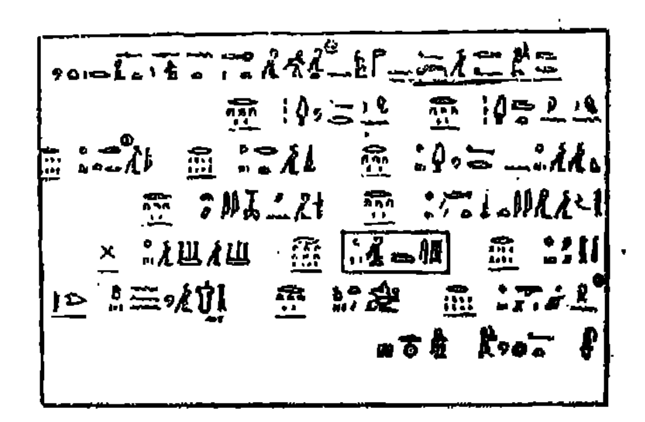
بيضة بلهارسيا من مومياء في مصر القديمة



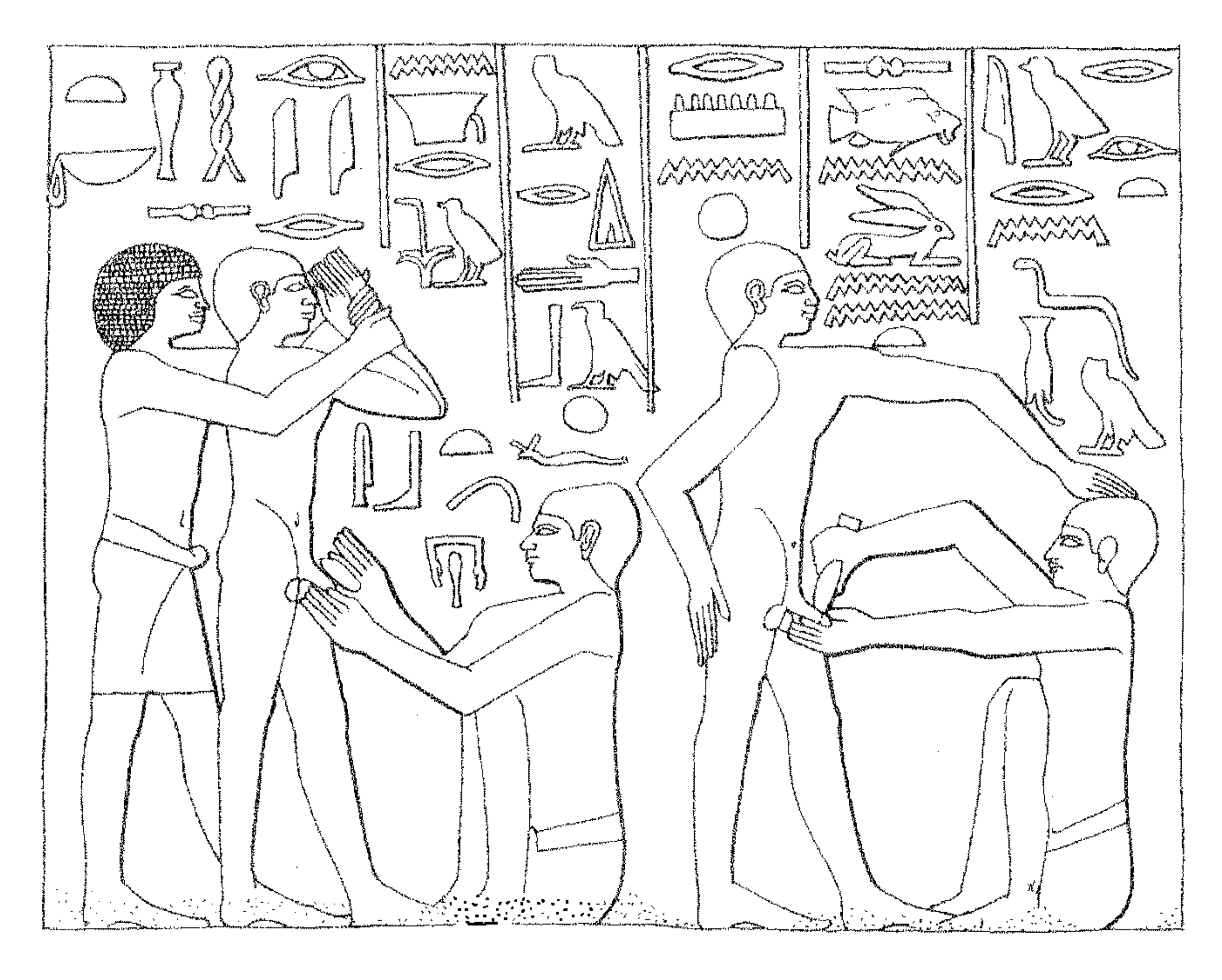
بول دموى من القضيب بسبب البلهارسيا



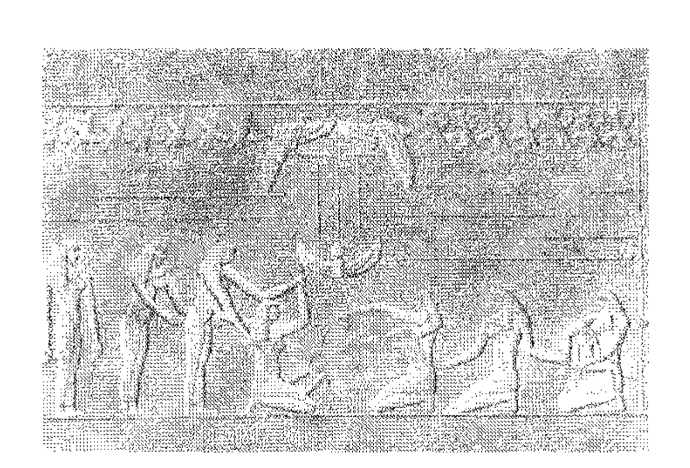
عازل ذكرى لعدم التبول فى مياه النيل

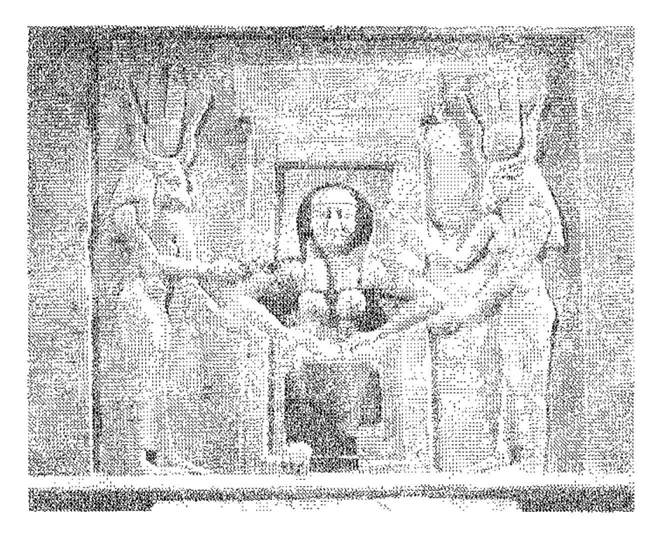


الانتيمون الذى عالج به القدماء البلهارسيا وهو نفس العلاج (الطرطير) الذى استخدمناه حتى ٢٠ سنة مضت



ختان الذكور



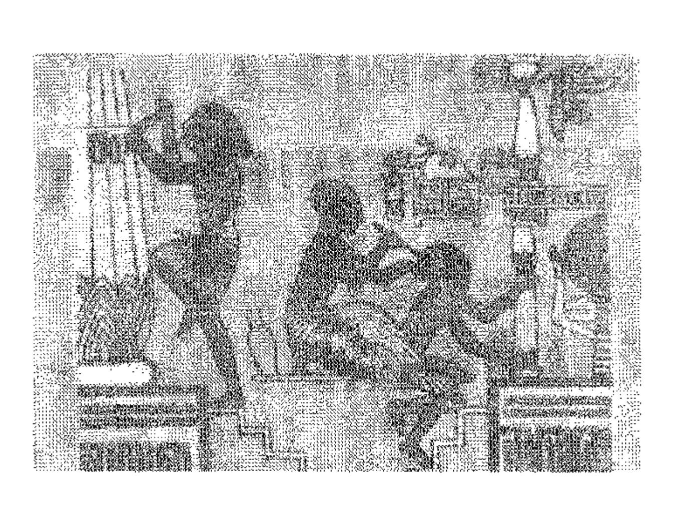


امرأة تلد على كرسى الولادة .. آلام الوضع
أقل بكثير من الوضع التقليدى اليوم

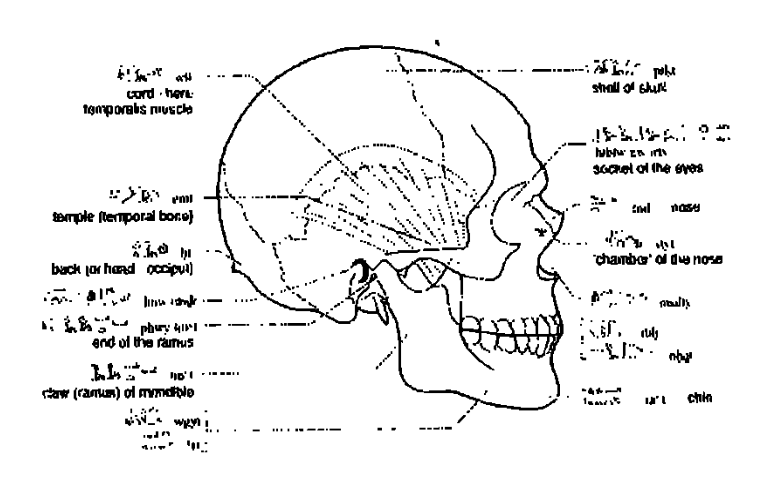




امرأة على حجرين (كرسى) للولادة



عملية كاتاركت (المياه البيضاء)

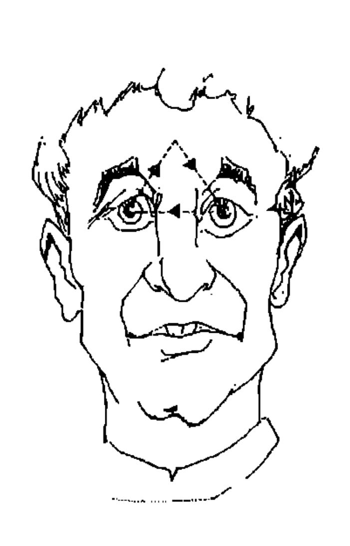


أول جراحات مخ فى التاريخ

رجل اعمى يعزف على آلة
HARP الموسيقية



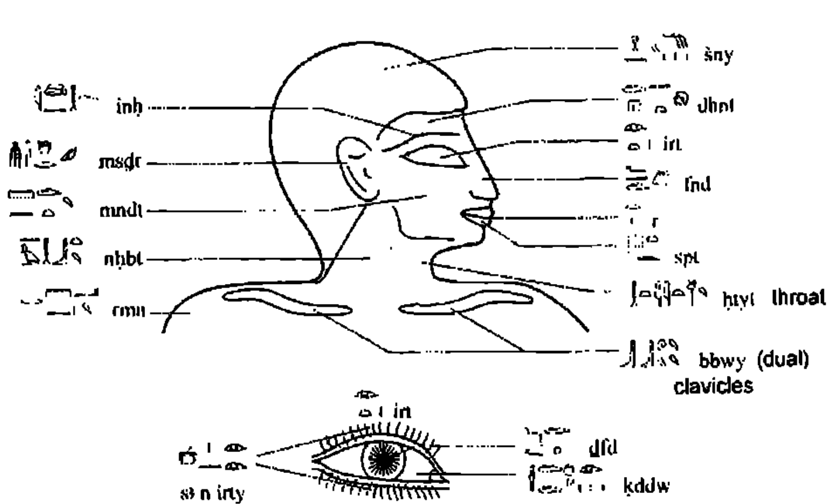
عين حورس - وهى علامة ز على الروشتات الطبية، ومعناها، سأعيد إليك صحتك، كما عادت عين حورس إليه بعد أن مزقها ست.



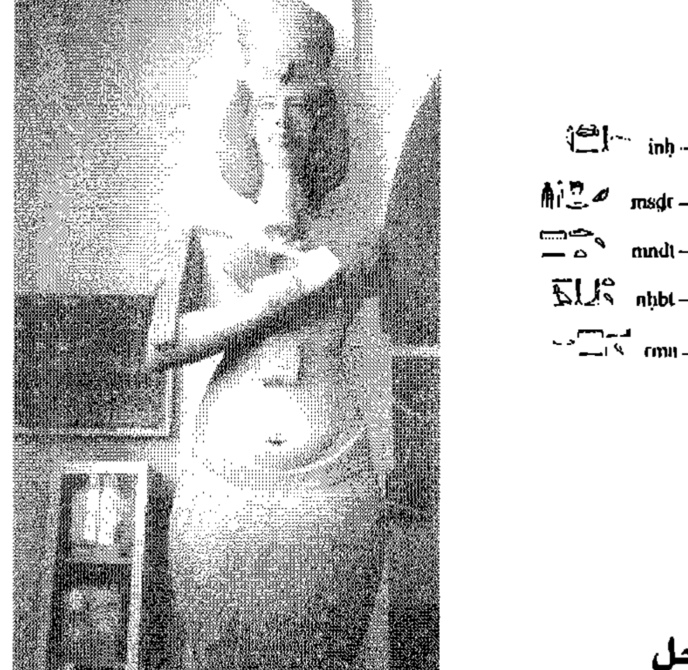


النظرة فى مثلثات

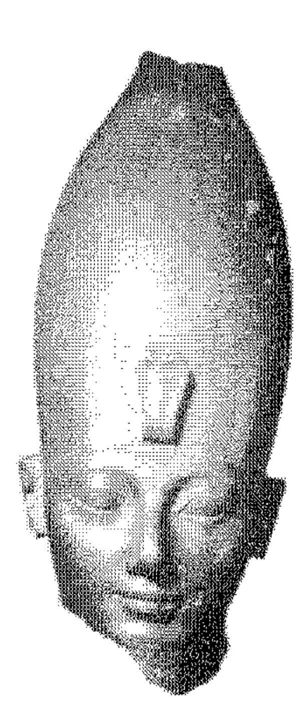
١- نظرة عمل ٢- نظرة اجتماعية ٣- نظرة ودية



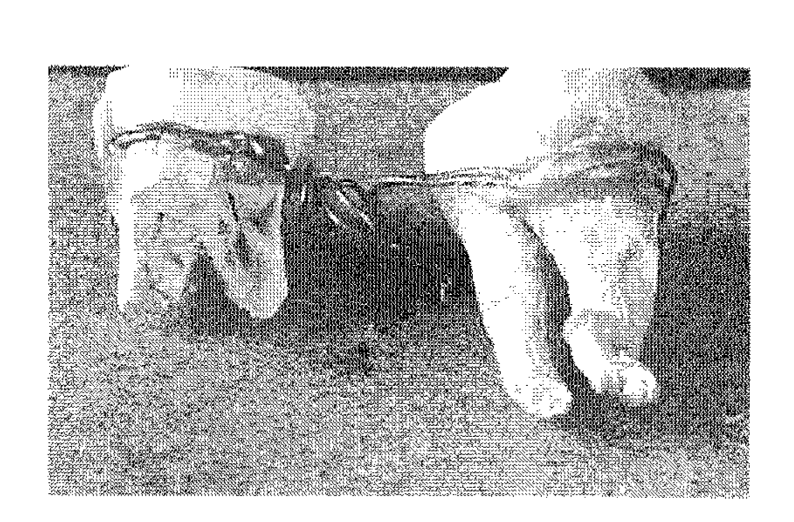
عين صناعية زجاجية (للتجميل) داخل جمجمة.



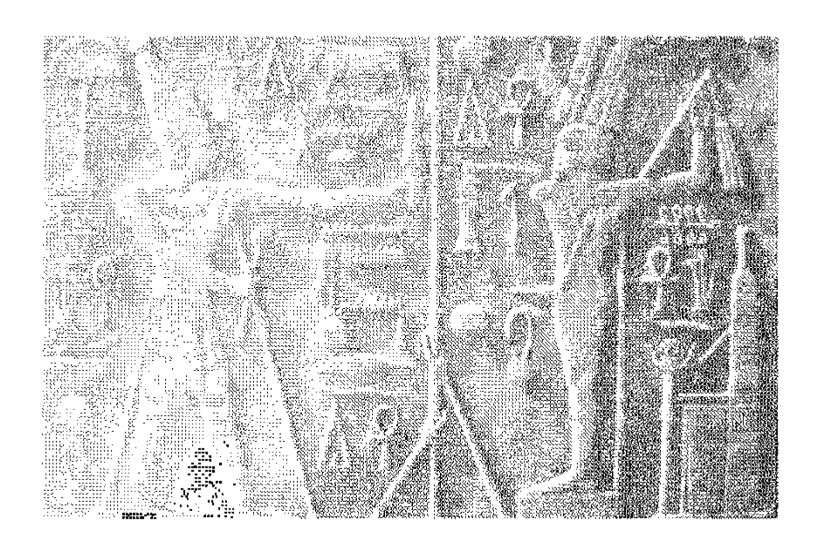
أخناتون



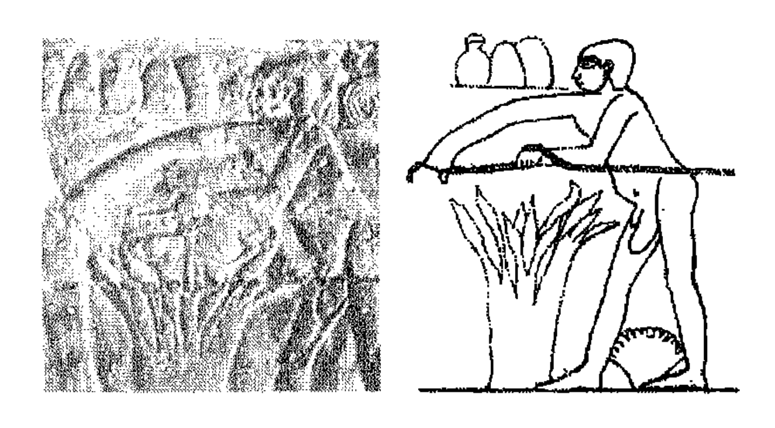
تحتمس الثالث مؤسس الامبراطورية المصرية



ضروس وأسنان حولها أسلاك من ذهب للتثبيت بواسطة الضروس أو الأسنان التى حولها.



تمثال لرب الخصوبة MIN ومنها جاءت منوى



ورم بالصفن، احتمال فتق إربى أو قيلة مائية



كرسى ولادة

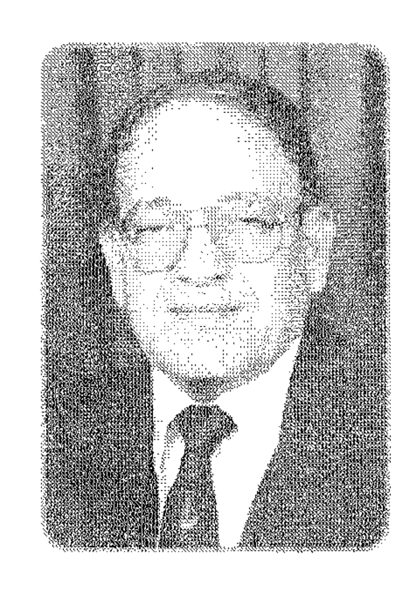
الفهـرس

إهداء ٣
مقدمة ٥
طب الفراعنة ٧
وعرف الفراعنة نوع الجنين ذكرًا.. أم أنثى ١٠
فن التحنيط ١٤
فن التوليد الفرعونى ١٨
شجرة الصفصاف ٢٢
والعقاقير.. أصلها مصرى ٢٥
أفلاطون ومثلث برمودا ٢٩
مثلث الرعب ٣٢
صباح الخير يا مصر ٣٦
تجربة فيلادلفيا ٤٠
الطريق الصحيح للعلم ٤٤
العين مرآة الروح ٤٨
ختان الإناث ٥٢
الهندسة الوراثية ٥٦
ما وراء الطبيعة ٦٠
الطوفان القادم ٦٤
أصل الحياة ٦٨
الأرض السوداء ٧١
الفراعنة والإعجاز العلمى ٧٤
شجرة الميلاد الفرعونية ٧٧
عروسنا الجميلة ٨٠
ظاهرة النفق الأسود ٨٣
بردية إدوين سميث ٨٥
حضارة متصلة وعطاء مستمر ٨٨

الزهرة المقدسة ٩٠
بحوث مصر الفرعونية ٩٣
تحذيرات طبية ٩٦
تقبيل الرجال للرجال ١٠٠
التصوير فى مصر القديمة ١٠٣
السحر ١٠٦
كيف عرفوا البييضة الملقحة ١٠٩
متحف للطب فى مصر القديمة ١١١
ريش الإوز وكبد الثور ١١٤
الولادة.. جلوسًا! ١١٧
النساء يستحممن مرتين ١٢٠
نظرية الزهرية المكسورة ١٢٢
البساطة العبقرية ١٢٤
أمراض فى مصر القديمة ١٢٧
أشعة X والآثار ١٢٩
أنت تشهد نفسك ١٣١
أعظم اختراع فى التاريخ ١٣٤
أرض السحر والذهب ١٣٦
الشمس وطاقة الحب ١٣٩
بيوت الحياة ١٤٢
عندما يأكل المريض وصدره مفتوح جراحيًا ١٤٥
عفوًا يا جدى ١٤٨
هل اكتشف الفراعنة القارة الأمريكية؟! ١٥١
الحواس ليست خمسًا فقط ١٥٤
عندما صفقوا للنيجيرى ١٥٦
يجب ألا تدين ما لا تعرف ١٥٩
الاعتراف بعميد الأطباء ١٦٢

أول أبجدية فى التاريخ ١٦٥
مؤسس الإمبراطورية المصرية ١٦٩
دعائم الحضارة ١٧٣
عائلات صقر ١٧٦
عضو التذكير ١٧٩
السحر والسحرة ١٨٢
أشجار المال والسكر ١٨٤
سر العبقرية ١٨٧
الإرث الجميل ١٩٠
ويقولون فراعنة ١٩٣
لعنة غرفة الأسرار ١٩٦
أجراس الربيع فى الحقول ٢٠٠
قداسة الرقم (٧) عند الفراعنة ٢٠٣
معجزات مصر العلمية ٢٠٦
الطب الفرعونى ٢٠٩
الشهرة والمصير المؤلم ٢١٣
اقتراح للدكتور زاهى حواس ٢١٦
العلم لا وطن له ولا دين ٢١٩
القزم السويسرى ٢٢٣
المراجع ٢٢٧





المؤلـــف:

- متخـصـص فى جراحـة المســالك البوليــة وأمـراض الذكـورة، وبـاحـث فى علم المصريات.
- صـاحب بحوث وبراءة اختراع فى ميدان تخصصه .
- طلبـــت مكتبــة الكونجرس الأمريكية أن يشارك فى تـأليف كتاب بعنوان: « الطب القديم عبر الحضارات المختلفة».
- اختـارتـه مؤسسـة WHO IS WHO ضـمـن أفضـل الشخصيــات علــى مستوى العـالـم لعـــام ٢٠٠٧، كمـا تـم اختيــاره MAN OF THE YEAR عـن نفـس العام.
- صـاحب صالون المعادى الثقافى.

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

هذا الكتاب

الإنسان كائن حى ذو تاريخ.. وإنسان نسى تاريخه.. فهو داء ألزهايمر... كذلك الشعوب... لذا قال الشاعر الإغريقى:

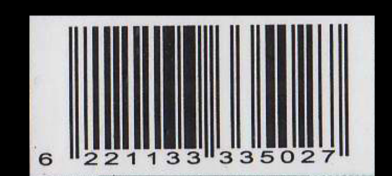
«هزمناهم ليس حين غزوناهم، بل حين أنسيناهم تاريخهم وحضارتهم».

هذا الكتاب يعرض للطب والعلوم فى مصر القديمة، ويذكرنا بأعظم حضارة قامت على الأخلاق والعلوم، عبر عنها شامبليون بقوله:

«يتداعى الخيال ويسقط بلا حراك تحت أقدام الحضارة المصرية القديمة».

الناشـــــر






Exclusive
For
www.ibtesama.com